

ابن الداية
احمد بن يوسف الكاتب

- ٣٤٠ هـ

كتاب المِكافأة وحسن العيش

حققه ، وشرحه ، وصححه

محمود محمد شاكر

ابن الداية
احمد بن يوسف الكاتب
- ٣٤٠ هـ

كتاب المكافاة وحسن العقبى

حققه ، وشرحه ، وصححه

محمود محمد شاكر

[الطبعة الأولى]

رمضان ١٣٥٩

أكتوبر ١٩٤٠

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

أصاحبها : مصطفى محمد

[جميع حقوق الطبع والنقل محفوظة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

[أبو جعفر ، أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، صاحب كتاب المكافأة وحسن العقبى ، لم نجد من ترجمه إلا ياقوت الخوى فى معجم الأدباء ج ٢ ص ١٥٧ - ١٦٠ . وهذه الترجمة - على عادة شيوخنا رضوان الله عليهم - ناقصة لم تستوعب شيئاً مما يحقّق المترجم معنى الترجمة . وذكر ياقوت فى هذه الترجمة أباه : « يوسف بن إبراهيم » ، فذكر بعض خبره ، ثم ذكر أحمد بن يوسف ، وعدد كتبه ، وذكر تاريخ وفاته ، ولم يذكر مولده . ونقل من هذا الكتاب القصتين المذكورتين برقم ١٣ ورقم ٢٦]

كانت أم « يوسف بن إبراهيم » ظئراً^(١) لإبراهيم بن المهديّ ، أخى هرون الرشيد ، [ولد إبراهيم بن المهدي سنة ١٦٢] ، وكانت مجددة العهد ببیت الخلافة . وفى سنة ١٨٠ ولد الرشيد : أبو إسحق محمد بن هرون الرشيد ، وهو المعتصم أمير المؤمنين ، وفى هذه السنة ولدت أم يوسف ، ولدها يوسف ، فأرضعته مع المعتصم . لهذا كان يوسف بن إبراهيم يعرف بابن الداية^(٢) ، لما كان أمّه من رعاية إبراهيم بن المهديّ وحضائته وإرضاعه ،

(١) الداية والظئر واحد : وهى التى ترضع ولد غيرها وتحضنه

وكان يعرف برضيع المعتصم^(١) ، لمكان رضاعه مع المعتصم وهو تسميته
والناشي معه

ونحن نرجح أن يوسف بن إبراهيم نشأ مع أبناء هرون الرشيد حتى
مات الرشيد سنة ١٩٣ . فتخلق بأخلاق بيت الخلافة حتى قال ياقوت عنه :
« كانت له مروءة تامة وعصبية مشهورة » ، ويعنى بالعصبية انتصاره لأهل
بيت الخلافة وتحقيقه بحبهم وخدمتهم . والذي زاه أنه ولى بالحساب والطب
والأخبار والكتابة ، فأخذ عن جبرئيل بن بختيشوع طبيب الرشيد ، وعن
إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، وأيوب بن الحكم ، وعن أحمد بن رشيد
الكاتب ، وصحب إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه

ثم لم يزل مع إبراهيم بن المهدي حتى صار حاسبه القائم بأمر ضياعه ،
وكاتبه الذي يتولى رسائله وصحبته وأسراره . وقد ذكر ولده أحمد بن يوسف
« ص ١٣٦ » أنه ألف كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . ولكن ياقوت الخو
خلط في ترجمته ، فذكر أن يوسف ألف كتاباً في أخبار المتطبيين ، واقتصر
على ذلك . وأدخل « كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي » و « كتاب الطبخ »
في عدة مؤلفات ولده أحمد بن يوسف صاحب المكافأة . وهذا وهم فاسد ،
فإن نص كلام أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ١٣٦ » ، يدل دلالة واضحة
على أن مؤلف هذين الكتابين هو أبوه : يوسف بن إبراهيم . وإنما رواهما

(١) انظر هذا الكتاب ص ١٣٦ ، وأخطأ ياقوت فقال : إنه رضيع إبراهيم بن المهدي

عنه أحمد بن يوسف ، وروى عنه أخبار إبراهيم بن المهدي أيضا: رضوان
ابن أحمد جالينوس الصيدلاني ، ورواه عن رضوان أبو الفرج الأصفهاني ،
وذكر بعض روايته عنه في كتابه «الآغاني» .

ومّا ترتاح إليه النَّفس أن يوسف بن إبراهيم هرب إلى مصر أو الشام ،
في المدة التي استتتر فيها إبراهيم بن المهدي بعد خلافته ومحاربة المأمون ، من
سنة ٢٠٣ إلى سنة ٢١٠ ، إذ ظفر به المأمون فأخذه وعفا عنه واستبقا . فلما
رجع إبراهيم إلى بغداد ، وعاش بها في أمان المأمون - رجع يوسف -
وبقي معه إل أن مات سنة ٢٢٤ .

وتزوج يوسف بن إبراهيم ببغداد من بنت ميمونة مولاة حمدونة أم
عبد بن الرشيد ^(١) ، وهذه الزوجة ليست أم « أحمد بن يوسف » بغير شك .
وقد ذكر أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ٥٦ » أخا له لم يسمه ، فلا ندري
أهو شقيقه ، أم أخوه أكبر منه من بنت ميمونة هذه ؟

وقد روى يوسف بن إبراهيم ^(٢) أنه نزل دمشق سنة ٢٢٥ على عيسى بن
حكم الدمشقي الطبيب ، فظاهر هذا أنه فارق بغداد بعد وفاة إبراهيم بن المهدي ،
ولكنه رجع إليها وبقي بها إلى ما بعد سنة ٢٢٧ ، وهي السنة التي مات فيها المعتصم .
ويبدل على ذلك خبر رواه أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه ^(٣) ، يستبين منه أن

(١) ذكر ذلك في المكافأة ص ١٢٧ - ١٢٨

(٢) عيون الأنباء : ج ١ ص ١٢١

(٣) ج ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٧

يوسف بن إبراهيم كان ببغداد إلى وفاة المعتصم
 فالراجح إذن أنه رحل من بغداد إلى مصر بعد ذلك ، فقد مات مولاه
 إبراهيم ، ومات رضيُّه المعتصم ، واضطربت الدولة اضطراباً شديداً . وكان
 هو قد اعتقد من المال ما يسوّفه النعمة في رغد العيش ، فنزل مصر ، وعمل
 في تقبُّل الضياع ، وحسن حاله وظاهره ، كما روى ذلك لولده «ص ١٢٦» .
 ويدلّ ما رواه أحمد بن يوسف في المكافأة «ص ١٣٦» على أن يوسف بن
 إبراهيم كان من كتاب مصر إلى سنة ٢٥٠ ، فإن حساب ضياعه كان في
 الدستورات القديمة التي طلبها أبو العباس بن بسطام ليعتبر منها عبر الضياع ،
 فلما جاء ابن طولون عزله عن ذلك لما يعرف من أسبابه بالحضرة العباسية
 ولم يزل يوسف بن إبراهيم بمصر إلى أن جاء أحمد بن طولون إليها سنة
 ٢٥٤ . فلما استقر أحمد بن طولون بها جعل يحكم أمر دولته ، ويأخذ بأفواه
 الطرق على كل من له سبب إلى الحضرة العباسية ^(١) . فمن ذلك ماجرى بينه
 وبين ابن مدبر ، ثم ما كان من حبسه يوسف بن إبراهيم في داره . وكان
 اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه . [كما قال مؤلف المكافأة «ص ٢٨»]
 ثم أطلقه بعد ذلك

وقد ذكر ياقوت أن يوسف بن إبراهيم كانت له عصبية مشهورة ، وهي
 عصبية لبیت الخلافة ، فلما توفّي بعث أحمد بن طولون خدمه فهاجموا الدار ،

« وطلبوا بكتبه : مقدرين أن يجدوا فيها كتاباً عن بغداد »^(١)، يعني الخليفة
فبين أن وفاة يوسف بن إبراهيم كانت ما بين سنة ٢٥٥ وسنة ٢٦٠ ، وهو
العهد الذي استقل فيه أحمد بن طولون بمصر واشتد فيه في ضبط المملكة لنفسه
وولده . وأولى الأقوال بالصواب أن تكون وفاته في سنة ٢٦٠ أو بعدها بقليل ؛
فقد روى صاحب المكافاة « ص ٢٩ » ، أن جماعة من مستورى مصر كانوا في
مجلس أحمد بن طولون حين قبض على يوسف ، وجاء في كلامهم أنهم قالوا : « لنا
ثلاثون سنة ما فكرنا في ابتياع شيء مما احتجنا إليه ، ولا وقفنا بباب غيره »
يعنون « يوسف بن إبراهيم » . فإذا صحَّ أنه قد دخل مصر بعد وفاة المعتصم سنة
٢٢٧ فلا شك أن القبض عليه كان حوالى سنة ٢٥٨ ، وتكون وفاته بعد ذلك
بعام أو عامين على الأرجح

والراجح أيضاً عندنا أن يوسف بن إبراهيم تزوج بعد أن دخل مصر سنة
٢٣٠ ، وأن أحمد بن يوسف يوم وفاة والده كان كبيراً مدركاً لا يقل عمره عن
العشرين « انظر المكافاة ص ٥٦ » ، فهو له إذن فيما بين سنة ٢٣٥ وسنة ٢٤٥ ،
وأقرب ذلك عندى أن يكون مولده في سنة ٢٤٠ أو نحوها ، وعلى ذلك
فأحمد بن يوسف عُمر مائة سنة تزيد أو تقل قليلاً [مات أحمد سنة ٣٤٠]
فأحمد بن يوسف إذن مصرى المولد مصرى المنشأ مصرى المربى ،

(١) المكافاة ص ٥٦

تدلُّ على ذلك روايته في كتابه هذا ، فإنه لم يرو عن غيره من المصريين ، ولم يحدث إلا عن أخبارهم ، أما أخباره الأخرى عن بغداد فهي مما رواه عن أبيه يوسف

وقد أنشأ أحمد في كشف أبيه ، فأخذ عنه ولعه بالكتابة والحساب والهيئة ، فقد قال ياقوت أنه « أحد وجوه الكتاب الفصحاء ، والحساب والمنجمين : مجسطى أو قليدسى ، حسن المجالسة ، حسن الشعر ، قد خرج من شعره أجزاء »

وقد ذكر هو من شعره في كتابه « ص ٢٢ » وفي « ٥٢ » ، وزعم أنه كتب لأبي الفياض سوار بن أبي شراقة الشاعر جزعاً منه ، فدخل به بغداد ، وعرضه على جماعة الأحرار ، واشتهر أمره ، حتى كان من ذلك ما قصه هناك من سؤال محمد بن سليمان عنه حين دخل مصر

والظاهر أن أحمد بن يوسف لم يل شيئاً من أمر الكتابة في مصر في عهد أحمد بن طولون ، لما كان يظن بأبيه من ممالاة الحضرة الباسية ، فأنصرف إلى ضياعه وضياع أبيه يقوم في أمرها . وكانت ضياعهم هذه في جهة أهناش والبهنسا ومُسطط في صعيد مصر كما ذكر في « ص ٢١ و ٣٧ » ، وعمل كعمل أبيه في تقبل الضياع ، وفرغ للتأليف والكتابة

فألف كتاب المكافأة ، وكتاب حسن العقبى [هذا المطبوع] ، ثم كتب سيرة أحمد بن طولون ، وكتاب سيرة ابنه أبي الجيش خارويه بن أحمد بن

طولون ، وسيرة هارون بن أبي الجيش ، وأخبار غلمان بني طولون ، وكتاب مختصر المنطق ألفه الوزير علي بن عيسى ، وكتاب الثمرة ، وكتاب أخبار المنجمين . وقد ذكر ياقوت في عداد كتبه : كتاب أخبار الأطباء ، وكتاب الطبيب ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . وهذه الثلاثة هي كتب أبيه بغير شك كما مضى ، وأنا أرجح أن كتاب أخبار المنجمين هو من عمل أبيه أيضاً ، ورواه هو عنه وزاد عليه .



رأيت قبل أن يوسف بن إبراهيم وولده ، كانوا على عهد أحمد بن طولون مظنة التهمة في مراسلة الحضرة العباسية ، ولذلك أخذوا شديداً ، وأخيفوا وراعهم ما يلقى أنصار الخلافة العباسية من بطش ابن طولون . واستمروا على ذلك فيما ترجح إلى وفاة ابن طولون في سنة ٢٧٠هـ .

وتولى مصر بعده أولاده : خمارويه بن أحمد بن طولون إلى سنة ٢٨٢هـ ، ثم جيش بن خمارويه إلى سنة ٢٨٣هـ ، ثم هارون بن خمارويه إلى سنة ٢٩٢هـ ، ثم شيبان بن أحمد بن طولون وفي عهده انقضت دولة بني طولون . والظاهر أن أحمد بن يوسف كان مجاملاً لهؤلاء الولاة ، فلم يلق منهم كيداً بعد الذي لقيه هو وأبوه في عهد أحمد بن طولون ، ولذلك عد من أعوان الدولة الطولونية ، وكذلك توهم هو نفسه .

فقد ذكر في « ص ٥٠ » قال : « لما دخل محمد بن سليمان مصر ، نزل في

ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية ، فاستصفي ماله بالسوط وعظيم الإخافة ، فراغنى أمره ، وخفت أن يلاحقنى عسفه « ، فلولا ما كان من اشتماله على المداينة لولاة الطولونية لما خاف هذا الخوف ، ولما استتر وتخفى من أصحاب دميانة البحرى ^(١) الذى وُكِّله محمد بن سليمان باستباحة مضر ، فنهبا أصحابه وأخذوا الأموال ، واستباحوا الأعراض ، [قال صاحب النجوم الزاهرة] : « ثم تعدّوا إلى أرباب الدولة وأخرجوهم من دورهم وسكنوها كرهاً ، وهرب غالب أهل مصر منها ، وفعّلوا فى المصريين ما لا يفعلونه فى الكفرة ، وأقاموا على ذلك أياماً كثيرة مصرّين على هذه الأفعال القبيحة »

كان ذلك فى سنة ٢٩٢ ، ولكن أحمد بن يوسف يقصّ علينا فى « ص ٥٠ - ٥٢ » كيف انتهى أمره مع محمد بن سليمان ، وكيف أجاره وحفظه ورعاه ، وكان أفضل عونٍ له فى أموره « ص ٥٢ » ، وأنه مالحقه شىء يكرهه حتى انصرف عن البلد « ص ٥١ »

وكان محمد بن سليمان هذا كاتباً ، وكان لا يسمّى باسمه ولا بكنيته ، وما كان يُدعى إلا بالأستاذ ، وقد كان أعظم ماعطفه على أحمد بن يوسف مارواه من شعره فاستحسنه ، حتى قال له : « والله لقد اشتقت الدخول إلى مضر من أجلك ! » « ص ٥٢ » . هذا ، على ما يروى من أن حكمه فى أهل مصر كان

(١) انظر المكافأة صفحة « ٢٤ و ٢٥ »

بضرب أعناقهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وتمزيق ظهورهم بالسَّياط ، وصَلَبهم على جذوع النَّخل ، ونحو ذلك من أصناف النكال . وحتى إنَّه شَرَّد رجال الدولة الطولونية ، ولم يبق بمصر مِنْهم أحد يذكر ، وخلت الديار وعفت الآثار ، وزالت الدولة الطولونية على يديه ، وكانت إقامته بمصر أربعة أشهر إلى مستهل رجب سنة ٢٩٢

وعاش أحمد بن يوسف بعد انقضاء الدولة الطولونية في ظِلِّ الولاة على ترتيبهم إلى ولاية الإخشيد ، ثم أنوجور بن الإخشيد ، ومات في السنة السادسة من ولايته سنة ٣٤٠ . ولنا نعرف على التحقيق شيئاً عن حياته في ظِلِّ هذه الدول ، ونستثنى صلته بالوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب البغدادي . فإنه ألَّف له كتاب مختصر المنطق ، كما مضى ذكره . وكان علي بن عيسى قد قدم من مكة إلى مصر ليكشفها في سنة ٣١٣ وبقى بها ثلاثة أشهر ، ثم خرج عنها إلى الرملة ، وعاد إلى بغداد . ولم نجد في كتابه هذا [المكافأة] ، ما يدلُّ على شيء من حياته وتصرُّفه في أعماله في حُكْم الولاة من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٤٠ ، ولعلَّه أقام واستقرَّ وانقطع في بعض ضياعه ، وكان دخوله الفسطاط قليلاً



كانَ عصر الدولة الطولونية في مصر من أحسن عصورها في ذلك التاريخ ، ولذلك أفردَه أحمد بن يوسف بالتأليف كما ذكرنا قبل . وهذه الكتب التي كتبها في سيرة الدولة الطولونية ، هي التي خلدت ذكره ، ووسَّمتْه بالكتابة ،

وجعلت قوله مشهوراً في تاريخ هذا العصر

وليس بين يدي الآن شيء مما كتبه في سيرة ابن طولون ، وقد بقي منها جزء ، فأراني غير مستطيع أن أكتب عن حقيقة أسلوب الرجل في التاريخ والرواية وتحرير القول . ولكن كتاب المكافأة أغنى بعض الغناء في البيان عن شيء من ذلك

فقد ساق أحمد بن يوسف كتابه هذا على مدرجة من القول في المكافأة على الحسن والقيح ، ورحمن العقبي في الصبر والتشدد ونفي الجزع عن النفس ، وهو في أكثره يروي الخبر عن حدثه به أو يصوغ في عبارته حكاية مألقيه أو شاهده أو استخرجه

وهو في بيانه قليل التكلف ، قريب اللفظ ، بعيد عن الغموض . وسهل له ذلك أنه بفطرته محدثٌ بارع ، أو كما قال ياقوت : « حسن المجالسة » . فكانت سياقة كلامه في كتابته أشبه بالحديث منها بالكتابة . وهو إذا عرض لغرض أبان عنه بوضوح وترتيب وتساق ، ثم هو في خلال ذلك جزل الرأي ، مُحْكَم الفكرة ، قريب الغور

وسبب ذلك أن أحمد بن يوسف كان صاحب منطق ، وحساب وهندسة ، كما رأيت ، ومن طبيعة التحقق بدراسة هذه العلوم أن تجعل الرأي جزالة وإحكاماً ليست غيره ممن يخدم النظر فيها والتمرس بها . وقد صدق الشافعي رضي الله عنه إذ يقول :

« من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه أنبل مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رقق طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يضمن نفسه لم ينفعه علمه » . ولم يخل أحمد بن يوسف من أكثر ذلك

وقد اعتمد أحمد بن يوسف فيما يقضه أن يتبع رأى الجاحظ في رواية بعض القول على وجهه كما يجرى في الحديث ، غير مستنكر أن يكون فيه اللحن والخطأ في اللغة ، مادلاً ذلك على حكاية لفظ يختل حاله إذا أزيل عن الوجه الذي نطق به

ومع ذلك ، ومع ما عرف عنه من حسن المجالسة ، فإنه كان ركيناً ثابتاً قليل الحظ من الفكاهة والسخرية والعبث ، فقد جرى في كتابه بعض ما لو أزيل قليلاً عن وجهه لكان غاية في استدعاء الضحك واستخراج الهزأة ، ولكنه كان يعدل عن ذلك لقلة حظّه من اللهو ، وكان ذلك كان الأدب الذي أدبه به أبوه من آيين^(١) بيوت الخلفاء ، ثم ما لقي من الأحداث الكثيرة المفزعة التي كانت تنفي عنه أفراحه ونشاطه للهو ، ثم لما لعله كان فيه من الحرص الذي هو شيمة أصحاب التقبل بالضياع والأموال وما شاكلها ، وما لازمه مع ذلك من الخوف من أول حياته ، كما رأيت من خبره يوم وفاة أبيه وما تبع ذلك ، ثم طبيعة النفس وانصرافها إلى الفكر في علم الحساب والنظر في الهيئة

(١) الآيين : هو قريب مما نسميه الآن « الإتيكيت »

وقد استعمل أحمد بن يوسف في كتابه هذا كثيراً من الألفاظ المصرية التي لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا ، وعرض بعض العادات القديمة التي لا تزال تنحدر إلينا من ذلك العصر ، ولكنه كان قليل الحقل بالبيان عنها وكشفها ووضفها واستيعاب القول فيها . وذلك لأنه كان يرمى إلى غرض بعينه ، فلم يسر في قصصه سيرة الجاحظ في الاستطراء والتوسّع ، وتشقيق المعاني العارضة في وجوه كثيرة . وكان ما تعودده من الضبط في الحساب ، هو الذي حمّله على الضبط في الحديث ، ولو فَعَلَ لكان في كتابه بعض التاريخ الاجتماعي الضائع للعصور العربية الزاهرة التي لا نعرف إلا بعض رسمها وأشتاتها من صفاتها

وبعد ، فهذا غاية ما أعان عليه الوقت ، وهو ما هو ، من ترجمة « أحمد بن يوسف » ، فإن تسكن في العمر بقية ، نأت في ترجمته بما يعين الله عليه ، مع التحرير والضبط والتفصيل بعد الإجمال . وبالله التوفيق ، ومن العجز والتقصير

محمد محيى الدين

مصر الجديدة :

١٢ رمضان سنة ١٣٥٩
١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٠

ليلة الاثنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو محمد عبد الله الفرغاني ، قراءةً مني عليه ، قال :
أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب ، قراءةً مني عليه ، قال :

سَدَّدَ اللَّهُ فِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ أَمْرَكَ ، وَكَفَّاكَ مُهِمَّكَ
إِنَّ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَحَنِّنِ مِنْ مَحَنَّتِهِ ، عُدُوْلُهُ فِي سَمْعِيهِ عَنْ مَصْلَحَتِهِ ،
وَتَسْكِبُهُ الصَّوَابَ فِي بُغْيَتِهِ . وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مِنَ الْجَدْوَى مَا تَنَى
تُسْتَنْزِلُ بِهِ عَوَائِدُهَا ، وَيَقْرُبُ مَعَهُ مَا آسَتْصَعَبَ مِنْهَا ، يَسْتَثِيرُهُ
حُسْنُ الرِّوَايَةِ ، [وَيَهْدِي إِلَيْهِ] صَالِحُ التَّوْفِيقِ

وقد رأيتك لا تزيد من رَغِبْتَ إِلَيْهِ - فيما تَحْدُوهُ عَلَى بَرِّكَ ،
وَتَحْتَهُ لِمَا أَغْفَلَ مِنْ أَمْرِكَ - عَلَى نَصِّ مَكَارِمَ مِنْ سَلَفٍ ^(١) . وَتَرَى
أَنَّهُ يَهْتَشُّ إِلَى مُسَاجَلَتِهِمْ ، فَلَا تَبْلُغُ فِي هَذَا أَكْثَرَ مِنْ إِحْرَازِ الْفَضِيلَةِ
لِلرَّغُوبِ إِلَيْهِ ، وَلَا تُوجِدُ فِي الرَّاغِبِ فَضِيلَةً تَحْتَهُ عَلَى شَفِيعِ
قَصْدِهِ ^(٢) . وَلَوْ عَدَلْتَ عَنْ مَكَارِمَ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ، إِلَى حُسْنِ مُكَافَأَةِ
مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ ، لَكَانَتْ لَكَ ذَرَائِعُ يَمْتُ ^(٣) بِهَا الرَّاغِبُ ، تُوجِدُ

(١) نص الشيء ، ينصه : رفعه وأظهره

(٢) شفييع قصده : هو المكافأة والشكر

(٣) امت إليه ، يمت : توسل إليه

المرغوب إليه سبيلاً إلى الإنعام ، وتَفْسَح أَمَلَهُ في مُوَاطَرَةِ
الإحسان (١)

ولم يُؤْتَ الجودُ من مَأْتَى هو أغمض من مُغادرَةِ حَسَنِ
المكافأة . ولو أنعمتَ النَّظَرَ فيها : لَوَجَدْتَهَا أَقْوَى الأسبابِ في
دَمْعِ القاصد ، وحيرةِ الطالب . ولو كانت تُوجَدُ مع كُلِّ فعلٍ
أَسْتَحَقَّهَا ، لَأَثَرَ النَّاسُ قاصِدِيهِمْ على أَنفُسِهِمْ ، وَلَجَرُوا على السُّنَنِ
المأثورةِ عنهم

[وقد كتبتُ لك] في هذه الرسالة أخباراً - في المكافأة على
الحَسَنِ والقَمِيحِ ، مُنْعِمٌ (٢) الخاطر ، وتقربُ بُغْيَةِ الراغب -
عما سَمِعْنَاهُ عن تَقَدُّمِنَا ، وشاهدناه بعُضْرِنَا ، وبالله التوفيق



(١) الموازنة : المتابعة

(٢) في الأصل : وتعم ،

١ - المكافأة على الحسن

١ - حدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، عن عبد العزيز بن خالد ، خالد القسري
الأموي ، عن أبيه خالد ، قال : أخبرني محارب بن سَلَمَةَ وديوانياناه
كاتب خالد القسري :

« أَنَّ دِيَوَانِيَانَ خَالِدٍ ^(١) أَخْرَجَ مِنْ دِيَوَانِهِ وَثِيقَةً عَلَى بَعْضِ
الْمُتَضَمِّنِينَ ^(٢) فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ بِرِّ تَعَجُّلِهِ مِنْهُ . فَدَعَا بِهِ خَالِدٌ وَأَمَرَ بِقَطْعِ
يَدِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : « أَتَسْتَبْقِي ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ! » ، فَقَالَ :
« وَمَا يَكُونُ مِنْ مِثْلِكَ ؟ » ، فَقَالَ لَهُ : « إِنْ لَمْ يُقَدَّرْ فِي الزَّمَانِ رِفْعَتِي إِلَى
مَنْزِلَتِكَ ، فَلَا نَأْمَنُ عَلَى حَظِّكَ إِلَى مَنْزِلَتِي ، فَيَكُونُ مِنِّي
مَا تَحْمَدُهُ ! » ، فَقَالَ خَالِدٌ : « أَطْلِقُوهُ فَفِيهِ عَظِيمٌ ^(٣) » .

فَلَمْ يَمُضْ حَوْلٌ حَتَّى وَرَدَ الْعِرَاقَ يَوْسُفُ بْنُ عُمَرَ مُتَوَاتِيًا لِعَمَلِهِ
فَخَبَسَهُ فِي حُجْرَةٍ مِنْ دِيَوَانِهِ ، وَوَكَّلَ بَبَابِ الْحُجْرَةِ جَمَاعَةً . فَتَدَسَّسَ
الدِّيَوَانِيَانُ حَتَّى دَخَلَ فِي جُمْلَتِهِمْ ، وَتَلَطَّفَ لِلْجَمَاعَةِ حَتَّى رَأَسَهَا
بِالْخُبْرَةِ وَحُسْنِ الْمَدَاخِلَةِ . وَتَحَرَّمَ ^(٤) خَالِدٌ طَعَامَ يَوْسُفَ بْنِ عُمَرَ
- خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ مَسْمُومًا - فَطَوَّسَ ^(٥)

(١) الديوانيان : صاحب الديوان وحافظه

(٢) المتضمن : السكفيل الذي يتحمل بأموال الضياع وخراجها وأدائها

لبيت المال

(٣) تحرم الطعام : أمسك عنه فلم يقربه

(٤) طوى : تعمد أن لا يأكل ولا يشرب

وتأمل من ذلك الديوانيان ، فجعل في منديل نظيف ما يكف
جوعته من طعام قد تأنق فيه ، ودخل إليه كالمستجسس عن حاله ،
فقال له : « أنا الديوانيان الذي عفوت عنه ، وهذا طعام تأمن فيه
ما تخافه من غرق^(١) » . فأقام أياماً يأتيه من طرائف الأطحمة
والفواكه ما ينسى به وحشته ، ويكف فاقته ، ثم دخل إليه فقال :
« ليس هذا الذي أفعله مقدار ما يقتضيه إحسانك إلى ؛ وقد
استأجرت الدار التي في هذه الحجرة^(٢) ، وأحضرت قوماً أثق بهم
من حذاق النقاين ، حتى نقبت سرباً إلى موضعك^(٣) ، ولم يبق إلا
أن تركض بعض بلاط هذا المجلس ركضة فتفضي إلى السرب^(٤) .
وقد أعددت في الدار نجيين^(٥) أحدهما لك والآخر لي »

فلما صلى الديوانيان العصر أغلق الباب ، ومضى إلى الموضع
المستترى^(٦) ، وتركض خالد الموضع وخرج من السرب ، وركبا
نجيديهما وحثا المسير . فما فطن بخالد إلا في غد ذلك اليوم ، فطلبت
الخيول والنجب^(٧) فقاتها . ولم يزل يوضع^(٧) في البلاد حتى لحق

(١) الغرة . الخديعة ، وفي الأصل : « في غرة »

(٢) الحجرة : الناحية

(٣) السرب : الطريق الخفي ، السرداب

(٤) ركض الشيء برجله : ضربه

(٥) النجيب : الخفيف السريع من الإبل ، والجمع نجب

(٦) اكترى الموضع : استأجره

(٧) أوضع في الأرض : أسرع

رَسَالَةِ بن عبد الملك ، فشَفَع له إلى هشام وردّه إلى عمله

ابن مرزوق
ومتضمن

٢ — وحدتني هارون بن ملول ، قال :

« كنت عند أحمد بن خالد الصريفي - وهو يتولّى الخراج بمصر ،
ووجوهها عنده ، وقد أكبّ على حاصل ما استُخرج في أمسه ، وهو
يقابل به ثبّت المصادرة ^(١) - ، فقال لصاحب خمّالته ^(٢) : « ما أرى
أسم فلان المتضمن في هذا الحاصل ، وقد صادَرنا بالأمس على
خمس مائة دينار ؟ » فقال : « ما صحّ له شيء ! » فقال : أبعثُ إليه من
يسحبُه صاغراً حتى يحمله على خُطّة المطالبة ^(٣) ، فقال له رجل من
المتضمنين يُعرف بماء الله بن مرزوق : « الخمس المائة - أيّ ذلك
الله - تصحّ لهذا الرجل في هذه العشية إن شاء الله ، إن أعفى بما قد
أمرت به فيه » ، فقال : « هي عليك ؟ » ، فقال : « نعم ! » ، فتقدّم إلى ^(٤)
صاحب الخمالة ، ألا يعرض له . فالتفت إلى ما شاء الله فقال :
« تعرف هذا الرجل ؟ » ، فقلت : « نعم ! ومن العجب ألا تعرّفه ! » ،

(١) الثبت : الفهرس أو الدفتر (أو ما نسميه الآن الكشف)
صادرت فلانا من حسابي على كذا ، وفارقتّه ، إذا قطعت الأمر بينك
وبينه على أمر وقع عليه اتفاقكما

(٢) صاحب الخمالة : من أعمال بيت المال ، ركناتها وضيقة التمام
بحساب المتضمنين

(٣) هذه العبارة كثيرة الورد في كتب هذا العصر ، ويراد بها
التعذيب للبطالة ، على طريقهم في ذلك
(٤) تقدّم إلى فلان بكذا : أمره به

فقال : « يا أخى أمر فى رجل يجرى بحرانا فى معاشنا بما لم أُطَقْ
والله احتماله ، وعندى ضعف ما طُولِبَ به ، وكانت صِيانته أحب
إلى مما حَوَيْته . فإذا لَقِيته فَعَرِّفه أنى أُورِدَ المالَ عنه لئلا يُورَدَ
المالُ مُضَعَّفاً »

وأنصرفتُ من مجلس أحمد بن خالد ، فلقيتُ الرجلَ فى
طريق ، وهو مجذود^(١) ، فسألته عن خبره وأخبرته الخبر ، فقال :
« يا أخى ! وما فى هذا من الفرج ؟ إنما انتقلتُ من غَمٍّ إلى رِقٍّ !
ومتى أقضى إلى هذا الرجل إحسانه إلى ؟ والله لو دِدْتُ أن أمرَ
السلطان نفذَ فى ، ولم أتحمل هذه العارفة منه^(٢) ! »

قال أحمد بن يوسف ، فقال لى هارون : « وحضرتُ [موت]
ما شاء الله بن مرزوق بعدَ هذا بأربع سنين - فى الوقت الذى تُوفى -
فاتفق أن كان إلى جانبي رجلٌ قد ألقى بعضَ رِدائه على وجهه ، وهو
يَعِجُّ بالبكاءِ والشهيق^(٣) ، ثم كَشَفَ وجهه فكان الرجل الذى
أورَدَ ما شاء اللهُ عنه الخمسَ مائةَ الدينار . فقال : « مَنِ الوَصِيُّ من
جماعتكم » ، فقال له الوصى : « ها أنا ذا ! » ، فقال : « عندى لهذا الرجل
رحمه الله ألفا دينارٍ وخمُسُ مائةَ دينار » ، فقلت له : « حَدِثْ بينكما
مُعَامَلةً بعدى ؟ » ، فقال : « لا والله ، ولكنها الخمس مائةَ الدينار ،
صرتُ بها إليه عند تَيْسُرِها فقال : « وما [أُبغى بها] ؟ تكون عندك

(١) يريد أنه صاحب حظ وجد

(٢) العارفة : المعروف

(٣) عيج : رفع صوته بالبكاء أو الدعاء

إلى أَوَانٍ حاجتي إليها . فسألتَه [الإذن] في شغلها . فقال : « هو مالك ، اعملْ به ما شئتَ » فلم تزل تنمي وتزيد حتى بلغتْ هذا المقدار . فقال هارون : « ووجدتُ ما خلفه ما شاء الله لبناتٍ كُنَّ معه شيئاً نزرأ ، ففسدَهنَّ الله بذلك المال »

* * *

ابن دعيم
وأعرابي

٣ — وحدثني أحمد بن دُعَيْم - وكان من خاصة قواد أحمد بن طولون - بعد أن ترك الديوان ، وحسَنَ انقطاعه إلى الله ، قال : « قلَدني أحمد بن طولون الصَّعيد الأوسط . وخرج عليه سوارٌ أبو عبد الرحمن العُمَري ^(١) ، فكتب إلي يستخبرني عن حاله ، فأعلمته ضَعْفَ يده ، وانتشارَ أمره لِقَلَّةِ المال . وقبضتُ على رئيس من الأعراب اتهمته بمكاتبة وأنهايت خبره إليه . فكتب إلي أحمد بن طولون : يأمرني بحمل الأعرابي ، [وجمع] ما قدرتُ عليه من النُجُب ، والشُّخوص إليه ؛ ليقف من مُشافهتي على ما لا تَبْلُغُه المكاتبة . فامتثلتُ أمره »

فما سِرْتُ مَرَحَلَةً حتى لَحِقَ بي وجوهُ تِجَّارِ العَمَلِ ، ومعهم شبابٌ أعرابي ، وقالوا لي : « جئناك في أمر هذا الأعرابي المحمول ، فإنَّ معنا من يَبْذُلُ في إطلاقه خمسَ مائة دينار » ؛ فقلت لهم : « قد أنهيتُ أمره إلى الأمير ! » ؛ فقال الأعرابي الذي معهم : « فَخُذْ »

(١) في الأصل : « القرني » ، وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد ، من ولد عمر بن الخطاب

الخمسة مائة على أن تجعلني مكانه ؛ قالت : « أفعل ؟ » . فأحضرت
الأعرابي ؛ وكان من عشيرتي ؛ فقالت له : « والله لقد كنتُ مغموماً
بك حتى سرتني خلاصك ! » ؛ قال : « بماذا تخلصت ؟ » فقالت : « بذل لي
رجلٌ خمسة مائة دينارٍ على أن يكون بمكانك وأطلقك ! »

فقال : « ومن هذا الرجل ؟ » ؛ فأحضرتَه إِيَّاه . فلما رآه قال :
« أمض لشأنك » ، ثم التفت إلى فقال : « يحسنُ بشيخٍ مثلي أن يستريح
في المعروف ؟ هذا رجلٌ لقيته وقد أكتب عليه خيلٌ لتسلبه ثيابه
وما كان معه ، ففرَّ فتُها عنه حتى تخلص ، فرام أن يُخلصني بحصوله في
موضعٍ لا يخرج منه أخرى الليلي ، و [هو] غرَّم ثَقِيل على مثله .
والله هذا مما لا أقبله ولا أُرْكَنُ إليه » ، فقالت له : « أنصرف في حفظ
الله فقد رضى الرجل » ، فقال : « والله لئن أمضيت هذا لأحققنك » ،
ولأخبرن الأمير بصنيعك » ، فتوقفتُ ، وبكى الأعرابي فقال : « إذا
كان محبس الأمير على ما تصف ، وليس ترجو خلاصاً منه ؛ فما أعمل
في عارِفتك عندي ؟ وأنا أنشدك الله لما قبلت مني ما بذلته وأعظم
منه ؛ وأزلت هذه العارقة عن عُنُقِي ؛ فإن عاراً ونقيصةً على الكريم
أن يموت وعليه دين من ديون المعروف » ؛ فقال له : « إذا رأيت
رجلاً أحاطت به خيلٌ تريغ سلبه ^(١) فندتها عنه ؛ فقد كافأت عارقي ؛
أنصرف مصاحباً ^(٢) . فعرض عليه مامعه من المال ؛ فقال : « ما بي إليه .

(١) تريغ : تريد وتحتال

(٢) مصاحباً : تصحبك السلامة

حاجة ! » ، فأكبَّ على رأسه ورجليه يقبلها ويبكي ؛ فأبكى جماعتنا فلما دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العُمريِّ بما سره ؛ وعَرَضت عليه النُجْب ؛ فقال : « حسنة والله » ؛ فقالت : « معي أيها الأمير ما هو أحسن من هذا » ، وحدثته الحديث . فأحضر الأعرابيَّ وخلَعَ عليه وأثبتته في ديوانه ، وأمرني بإنفاذ رسولِي معه في الأعرابيَّ الآخر ، فلما وافى خلَعَ عليه وأثبتته . فلم يزل في خاصته إلى وفاته

أبو مصلح
ومحبوس

٤ - وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح - وكان هذا من الثقات عند أحمد بن طولون -

أن أحمد كان يُراعى أمر المحبوس حتى يمضي له حول^(١) ، فإذا جازه لم يذكره . وكان يقول لي سراً : « إذا تبَيَّنْتُ من رجلٍ براءة ساحة فسهِّلْ عليه واستأمرني^(٢) ؛ فإني أستمع للتشدد للضرورة إليه » قال موسى بن مصلح : « وكان في الحبس رجل قد زاد على سنتين منقطعاً إلى الله برغبته ؛ لا يسأ لنا شيئاً من أمره ؛ وهو يُكَيِّب على الصلاة والتسبيح والتضرُّع إلى الله

فقلتُ له يوماً : « الناس يضطربون في أمورهم ؛ ويسألوني إطلاق الرقعة^(٣) إلى ذوي عنايتهم ؛ وأنت خارج عن جملتهم ؟ » ، فجزاني

(١) الحول : السنة

(٢) استأمره : شاوره

(٣) إطلاق الرقعة : يعني إرسال الرسائل

خيراً^(١). ورَقَّ قلبي عليه وكُتِبَ في نفسي محلهُ ، فقلوبُ به وقلت له : « لو استجرتُ إطلاقك بغير إذنٍ لفعلتُ ؛ وإن كنت استعنت بي في أمرك » . فقال : « والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليلج - وكان هذا الرجلُ يتولى شرطتي أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه سرّاً ؛ أو برسالة مع من^(٢) يفهمهم ؛ لرجوتُ تسهيلَ أمري » فقلت له : « والله لا تينَّ في أمرك ما أخطر به على نفسي . أنا أُطلقك سرّاً على أن تؤثقي بأيمان مُحَرَّجَةٍ أنك لا تهربُ عني ولا تُخفِرُنِي^(٣) » ، فقال : « إذا كنتُ عندك بمنزلة مَنْ يُشكُّ فيه ؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي » . فوافقته - من غير يمينٍ أرتبتهُ بها - على أن يقيمَ ثلاثة أيام ، فأطلقته ليلة الجمعة ، وفارقته على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين

فلما كان سحرُ يوم السبت ، وافاني كما فتحتُ^(٤) باب السجن ، فلما دخلَ سجدَ وحمدَ الله ، وقال لي : « بعثتُ إلى أبي طالب الخليلج امرأةً من أهلنا وطويْتُ عنه إطلاقي ، وسألته أن يُلطفَ في أمري فوعَدَ بذلك ، وخلفَ المرأةَ حتى ترجعَ إليَّ بالجواب . وركبَ إلى

(١) جزاءه خيراً : قال له ، د جزاك الله خيراً ،

(٢) في الاصل : د ممن »

(٣) أخفر ذمته : نقضها

(٤) كما فتحت : يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير

من كتب هذا العصر ؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، وَأَقَامَ إِلَى غَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : « وَاقَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرَ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي : « كَلَّمْتَهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نِجْلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ! » ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَصِيرَ بِكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَوَجَّهَ إِلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ فَيْكَ ! » . فَسَحِرْتُ ^(١) . - مَعَ مَا تَيَقَّنْتُهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيَكِ رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَحَقِّقَ مَكْرُوهُهُ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي بِهِ أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ أَنْ أَخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ ^(٢) حَتَّى وَاقَى الرَّجُلُ فَنَسَلَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ ، وَجُلُوسُهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ - فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتَهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الشَّجَرِ ^(٣) . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرِ قَبِيلِهِ ، وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بَضْدًا مَا خِفَّتُهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي عِنْدِي ^(٤) إِلَى أَنْ فَرَّقَتِ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . «

❦ ❦ ❦

ابن أسباط
والخناق

٥ — وَحَدَّثَنِي عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

(١) سحر : بكر في السحر

(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا

(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والنغر : موضع المخافة من

أطراف البلاد

(٤) من آثرهم : أي من أحبهم وأقربهم

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطيَّ - كاتبَ أحمد بن طولون -
 في داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ
 الحُجَّاب ثَبَّتَ من وقفَ بالباب ، فرأى فيه إسماعيلَ بن أسباط
 فسأل عنه . فقيل له : « وقف بالباب طويلاً وانصرف » . فقال :
 « إن هذا الرجلُ مِن عَمَر هذه المِزلة مدَّة طويَلة ، ولست أشكُ أنَّ
 نَجِيَّتَهُ لِحَاجَةٍ لَهُ ، ومن الجليلِ أن أركبَ إليه فَأَقْتَضِيَهُ حوائِجَهُ ، وأُبْلِغُ
 فيها مَحَبَّتَهُ » . ثم ركبَ وسِرْتُ معه ، حتى دخلنا دارَ إسماعيل
 ابن أسباط - وهي التي ملكها الشَّيرُ بعده - ، فرأينا داراً عاريةً من
 الستورِ والفُرُش ، وتأمَّلنا مَنْ فيها من الحَشَم على حالٍ سيئةٍ . فاستقبله
 إسماعيلُ بالشُّكر والدُّعاء له ، فقال له الواسطيُّ : « إنه لا فرقَ بينك
 الساعةَ عندى في المرتبةِ التي كنتَ فيها . ومن جَمَّالنا فيما أفضى إلينا
 أن نُحَسِّن فيه خِلافةَ من تقدَّمنا ، وأن نراهم كالآباءِ المستحقِّين
 البرَّ من أولادِهِم » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أخبرك بها بعد
 أن أحَدُكَ بشيءٍ يدلُّ على أنَّ المعروفَ ينفعُ عند مستحقِّه من
 غيرِ المستوجبين له »

« كانت لي - أيَّدك الله - دارُ خيلٍ نحو المنظر ^(١) ، وكنتُ
 أركبُ إليها في غداةِ الليلة التي أعاقرُ فيها إخواني . فركبتُ إليها
 يوماً فألفيتُ في الصَّحراء جَمْعاً من العامَّة ، وقد ضاقتْ بهم ، ومعهم
 عاملُ المَعُونَةِ . واستقبلتني امرأةٌ قد هَتَكَتِ سِتْرَهَا ، وكَشَفَتْ

شَعَرَهَا ، فَقَالَتْ : « يَا سَيِّدِي ! أَخِي ، وَوَاحِدِي ، وَكَافِلِي ، يُعَرِّضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةَ ! » . فَعَدَّتْ إِلَى صَاحِبِ الْمُعُونَةِ وَسَأَلَتْهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ ، فَقَالَ : « اجْتَمَعْنَا لِنُضْرِبَ خَنَاقٍ بِالسُّوْطِ » ، فَقُلْتُ لَهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ : « مَا حَقُّ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ » ، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِالْدُّعَاءِ لِي ، وَانْصَرَفُوا . فَسَأَلْتُهِ الْبَيْعَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَيَّ ، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ . فَلَمَّا صَلَّيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَنْفَذَ إِلَيَّ مِنْهُ شَابًا مُكَفَّهَرَّ الْوَجْهَ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : « أَمَا تَسْتَجِي مِنْ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ ؟ ^(١) » ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي لَا أَعَاوِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا » ، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ ، وَأَصْنَفْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سَهْوٍ .

« وَأَقْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَنِينَ ، وَتَقَاصَّرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا . فَلَمَّا بَلَغْنَا ^(٢) بِمَا يُطَالَبُ بِهِ ، أَشْتَخَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدَ إِلَى الْحَضْرَةِ ، فَطَالَبَنَا الْوَزِيرُ بِمَا لَفَّقَهُ آبَنُ تَمِيمٍ عَلَيْنَا ، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا ^(٣) ، فَقَالَ : « فُلَانُ ! ، فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ ^(٤) عِنْدَهُ : غَالِظُ الطَّبْعِ ، كَرِيهُ الْوَجْهِ ، تَتَأَمَّلُ الشَّرَّ فِي سَجَايَاهُ ، فَقَالَ : « اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ » .

(١) الطَّعْمَةُ : طَرِيقَةُ كَسْبِ الرِّزْقِ ، يُقَالُ : « فُلَانٌ طَيِّبُ الطَّعْمَةِ أَوْ خَيْشَهَا »

(٢) بَلَغَ الْغَرِيمَ : أَفْلَسَ

(٣) الْاِخْتِلَالُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

(٤) أَثِيرَةٌ : مَكِينَةٌ مَقَرَّةٌ

فَانْزَعَنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِفَظَاظَةٍ أَيْقَنْتُنَا بِالْهَلَاكَةِ . ثُمَّ صَارَ بِنَا إِلَى حُجْرَةٍ لَهُ فِي دَارِ الْوَزِيرِ ، فَسَأَلَنَا عَنْ بَلَدِنَا وَنَسَبَتِنَا ، فَلَمَّا سَمِعَ « أَسْبَاطُ » سَكَنَ قَوْرُهُ وَرَقَّ قَلْبُهُ ، وَقَالَ : « مَنْ تَسْكُونُونَ مِنْ إِسْمَاعِيلِ ؟ » فَقُلْتُ : « أَنَا إِسْمَاعِيلُ ! » فَبَسَى وَأَنْكَبَّ عَلَى رَأْسِي وَرَجَلِي ، وَقَالَ لِي : « يَا سَيِّدِي ! أَتَعْرِفُنِي ؟ » ، قُلْتُ : « لَا » ، قَالَ : « أَنَا الْخَنَاقُ الَّذِي أَطْلَقْتَنِي بِمِصْرَ ! وَوَاللَّهِ مَا خَنَقْتُ أَحَدًا بِحَمْدِ اللَّهِ بَعْدَ إِطْلَاقِي ، وَلَكِنْ شِرَاسَةً طَبَعِي عَدَلْتُ بِي عَنْ الزَّهَادَةِ إِلَى مَادُونِ الْخَنَقِ ، وَهُوَ اسْتِخْرَاجِي لِلْوَزِيرِ الْأَمْوَالِ بِالْتَّعْذِيبِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ عِنْدِي فِيهِ مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِي » . ثُمَّ طَعَنَ ^(١) فِي تِلْكَ الْحُجْرَةِ فَأَخْرَجَ إِلَى صَنْدُوقٍ يَحْمِلُهُ غُلَامَانِ ، فَقَالَ : « فِي هَذَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَلْقِ مَا نَسَكْتَنِي بِهِ ، فَقَوْمُوا بِنَا حَتَّى نَهْرُبَ لئَلَّا يَقَعَ بِكُمْ بَأْسٌ » . فَأَعْلَمْتَهُ أَنَّا نَخَافُ فِي الْهَرَبِ تَتَّبِعُ الْوَلَدَ وَالْأَهْلَ . فَرَجَعَ إِلَى الْوَزِيرِ يَبْسِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَحْدِّثُهُ مَحَلَّنَا - كَانَ - وَمَا أَوْلَيْنَاهُ ، فَعَجِبَ الْوَزِيرُ مِنْ رِفَّتِهِ عَلَيْنَا ، لَمَّا وَتَفَ عَلَيْهِ مِنْ فَظَاظَتِهِ ، وَكَانَ - شَهِيدَ اللَّهِ - أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَطَالِبَةِ عَنَّا

« ثُمَّ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ - بَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ - حَوَائِجَ وَقَعَ بِهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَوَكَّلَ بِهَا مُتَنَجِّزًا مِنْ خَاصَّتِهِ ، وَلَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ ^(٢) تَعْتَادُهُ إِلَى أَنْ تُؤْتِي »

(١) طعن في الحجرة : أدخل ومعد

(٢) المتعجل : الألفاظ : جمع لطف ، وهي التحفة والهدية

محمد بن علي
ومسلمة

٦ — وحدثني يوسف بن إبراهيم والدي ، قال : حدثني إبراهيم ابن المهدي عن إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه :

أنه كان مع أبي عبد الله محمد بن علي - أبي الخلفاء - برُصافة هشام بعد وفاة أبي محمد علي بن عبد الله ، وأنه أقام ثلاثة أشهر برُصافة هشام لا يأذن له هشام عليه ، إلى أن باغ أبا عبد الله إجماع مسلماته القدوم على هشام ، فتلقاه على أميال من الرصافة ، وشكى إليه جفوة هشام وتأخير الإذن عليه . فقال له مسلمة : « أرجو أن يزول هذا بقدمي » ، وأمره أن يقيم بباب هشام إذا دخل عليه مسلمة ، ولا يريم ما أقام مسلمة عنده ^(١) ؛ فأقام أبو عبد الله إلى وقت زوال الشمس

قال عيسى بن علي : فخرج مسلمة إليه ، فقال له : « قوض رحلك أبا عبد الله ! فما لك عند الرجل من خير ! لا تأتي خاطبته في أمرك - بعد ما اتقضى سلامي عليه - : » محمد بن علي بن عبد الله على شا بركة رحمه برَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يقيم ثلاثة أشهر ببابك فلا يؤذن له عليك ؟ » . فقال : « أله عنه أبا سعيد » ، فأمسكت حتى حضر الطعام ، فأعلمته أنني لا أستجيز الأكل وإنه قائم على الباب ، فغضب غضباً زاد به حوله ^(٢) ، وقال : « يسمى

(١) لا يريم . لا يبرح مكانه

(٢) كان هشام بن عبد الملك أحول

أَبْنَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَيَرْجُو بِهَذَا أَنَّ يَلِيَا الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ يَطْمَعُ
فِي خَيْرٍ مِنِّي ! وَاللَّهُ لَوْلَا مَاسَّةُ رَحْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَسَلَّمَ لَقَطَعْتُ مِنْ وَسْطِهِ شَيْبَرًا ^(١) ،

ثُمَّ عَانَقَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَالَ : « رُسُولِي إِلَيْكَ صَائِرٌ » . فَرَجَعَ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَوَّضَهُ ، وَبَقِيَ فِي حَيْرَةٍ لِعَجْزِهِ عَمَّا يُنْهَضُهُ . وَوَافَاهُ
رَسُولُ مُسْلِمَةَ يَقُولُ : « لَمْ أَقْدِرْ فِي سَفَرِي هَذَا طَوْلَ اللَّبَثِ ، وَأَشْهَدُ
لِلَّهِ أَنِّي مَا حَمَلْتُ مَعِيَ إِلَّا أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
بِالْأَلْفِ ، وَخَلَّفْتُ الثَّلَاثُمِائَةَ لِنَفْقَتِي » قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي : فُحِّدَتْ
بِهَذَا الْحَدِيثِ الرَّشِيدُ فِي حَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ فَبَكَى ، وَقَالَ : « وَصَلَتْ أَبَا
سَعِيدٍ رَحِمَهُ ، وَاللَّهُ لَا دَخْلَ الرِّقَّةُ حَتَّى أَقْضَى عَارِفَتَهُ عِنْدَنَا » . فَلَمَّا
وَافَيْنَا حَصَنَ مُسْلِمَةَ ، أَحْصَى مَنْ فِيهِ مِنْ وَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ
فَوَجَدَهُمْ أَرْبَعِينَ ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

ابن نصير
والوراق

٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ وَلِيدٍ ، قَالَ :

« وَدَعَتْ إِسْحَاقَ بْنَ نَصِيرِ الْعِبَادِيِّ فِي بَعْضِ خَرَاجَاتِي إِلَى بَغْدَادَ ،
فَأَخْرَجَ إِلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَقَالَ : « إِذَا دَخَلْتَ بَغْدَادَ ،
فَادْفَعْ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى ثَعْلَبٍ ، وَأَلْفَ دِينَارٍ إِلَى الْمُبَرِّدِ ، وَصِرْ إِلَى
قَصْرِ وَضَّاحٍ فَانْظُرْ إِلَى أَوَّلِ دُكَّانٍ لِلْوَرَّاقِينَ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَهَا -
إِنْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَمُتْ - قَدْ شَاخَ ، فَاجْلِسْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : « إِسْحَاقُ بْنُ

نُصِيرُ يقرأ عليك السَّلام : وهو الغلام الذي كان يقصِّدك كُلَّ عَشِيَّةٍ - راجلا من دارِ الروميين - بِدُرَّاعَةٍ ^(١) وِعِمَامَةٍ ونعلٍ رَقِيقَةٍ ، فيستعيرُ منك الكتابَ بعد الكتابِ ، فإذا آتَتْصِيَّتَهُ كِرَاءَةً ما فَسَخَ منه ^(٢) قال : « أَصْبِرْ عَلَيَّ إِلَى الصُّنْعِ » ^(٣) . فإذا اسْتَقَرَّتْ مَعْرِفَتِي فِي نَفْسِهِ دَفَعْتَ إِلَيْهِ هَذِهِ الألفَ الدِّينارَ وقلتُ له : « هَذِهِ ثَمَرَةُ نَصِيرِكَ عَلَيَّ »

قال لي أحمدُ بنُ وليدٍ : فَلَمَّا دَخَلْتُ بِغَدَادَ - ودَفَعْتُ الألفَ دِينَارَ إِلَى ثَعْلَبٍ والمُهَرَّدَ - ، مَضَيْتُ إِلَى قَصْرِ وَضَّاحٍ ، فَأَلْفَيْتُ الدَّكَانَ الَّتِي وَصَفَ لِي قَفَرًا لَيْسَ فِيهِ كِتَابٌ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا الشَّيْخَ الَّذِي وَصَفَهُ لِي فِي حَالِ رَثَّةٍ وَثِيَابٍ خَلَقَةٍ ^(٤) ، وَقَدْ أَفْضَى بِهِ الأَمْرُ إِلَى التَّوْرِيقِ لِلنَّاسِ ^(٥) . فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « يَا أَخِي ! مَا ظَنُّكَ بِحَالٍ : مَا تَتَأَمَّلُهُ فِي أَحْسَنُ مَا فِيهَا ؟ » ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ إِلَى أَشْيَاءَ كَانَ فِيهَا خَيْرُ إِسْحَاقَ بْنِ نُصَيْرٍ ، فَقَالَ : « قَدْ كَانَ يَجِيئُنِي مِنْ دَارِ الرُّومِيِّينَ غَلامٌ - وَوَصَفَهُ - فَأَتَمَّحُّ لَهُ بِالدُّسْخَةِ بَعْدَ الدُّسْخَةِ - يَقَالُ لَهُ : « إِسْحَاقُ » ، وَكَانَ يَعِدُنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ يَأْخُذُهُ إِلَى الصُّنْعِ ، وَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ وَقَعَ بَنَوَاحِي مِصْرَ وَمَا حَصَلَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ ؟ » فَأَخْرَجْتُ الألفَ

(١) الدَّرَاعَةُ : جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ الْمُقَدِّم

(٢) الكِرَاءُ : أَجْرُ الْمُسْتَأْجِرِ

(٣) الصُّنْعُ : يَرِيدُ صَنَعَ اللَّهِ وَلَطْفُهُ

(٤) خَلَقَةٌ : بِالْيَةِ

(٥) التَّوْرِيقُ : نَسَخُ الْكُتُبِ - عَلَى الْوَرَقِ - وَتَجْلِيدُهَا . وَهُوَ الْوَرَقُ

الدينار وقالت له ، يقول لك : « هذه ثمرة صبرك » ، فكاد والله يموت فرحاً . فقالت له : « ليست دراهم وهي دنانير ! » . وانصرفت عنه وهو أحسن من في سوقه حالاً

قال لي أحمد بن وليد : واجتزت بعد ذلك فرأيت دكانه معمورة ، وهو متصدر فيها على أحسن حال وأوفاهها ،

٨ - وكان بنحو دار العنقود شيخ يتنخس^(١) في الدواب - يُعرف بابن الزنق - قد لحق بمصر أكابرها ، ورأيت في أيام أحمد ابن طولون قد علّت سنه ، وضعف عن التصرف . وكان له ابن أخت - خفيف الروح ، مقبول الصورة ، حلو اللفاظ ، يتنخس في الدواب - خف على قلب القاسم بن شعبة . وكان شعبة من أكابر أصحاب أحمد بن طولون ، ومات في طاعته ، فرد إلى القاسم ابنه - إحدى الشرطين بمصر . فانصرف ابن أخت ابن الزنق من عند القاسم وقد خلّع عليه دُرّاعة خز من تحتها جبة ملّحم^(٢) فنظر إليها خاله ابن الزنق ، فقال : « ما هذه الخلعة الرائعة ؟ » ، فقال : « خلعتها على القائد . ! » ، يريد القاسم بن شعبة . فقال : « يا بُني ! إن كنت تصبر على التّديّ معه في محبته ، كما تتدلى في رعيته ، وإلا فاعتزله ، ولا تفضّحنا بالقعود عنه في نوائبه » ، فقال : « أرجو أن يصونه الله

ابن الزنق
والقاسم بن
شعبة

(١) التنخس : بائع الدواب . ويتنخس فيها : يتجر

(٢) الملحم : ضرب من الثياب تختلف لحمته عن لحمه غيره في نوعها

وما أنعم عليه به ، من نائبة ألم حقه ، أو مسكروه يقع به ، ، فقال : « وأنا أرجو هذا أيضاً له ، ولكن ينبغي أن لا تلتصق نصيبه منك في الشدة ، كما عني بك في النعمة »

واتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن شعبة شيء أنكره ، فحبسه ووكل بداره جماعة ، وأختفى النخاس في دار خاله . فسأله بعد يومين عن سبب ملازمته المنزل ، فقال : « وجدت علة » ، إلى أن اتصل الخبر بالشيخ ، فدخل إلى ابن أخته فقال : « قبحك الله ! سرقت معروف هذا القائد ، وخليتته يقارع شجوه بمحنته ؟ ! » . وأسرج حماراً له وركبه ، وجيرانه يناشدونه الله ألا يفعل ، فقال : والله القتل أحسن مما أتى به هذا الوغد »

ثم قصد دار القاسم بن شعبة - وعليها جماعة من الموكلين وأصحاب الأخبار^(١) - ، فوقف على الباب فقال : « كيف حال القائد أبي محمد أيده الله ؟ » ، فقالوا : « آمض يا شيخ » ، فقال : « ما أمضى حتى أبلغ عذراً ! هذا رجل قد لزمته عارضة ، وهذا أو ان قضائهما » . فوقع خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره . وقال : « ما كنت تعمله للقاسم ابن شعبة ؟ » ، قال : « أولاني في بعض أقاربى جميلاً ، فانتصبت الساعة لما يحتاج إليه ؛ وما أحق الأمير أن يفضلني بحسن المكافأة عن طاعة والده له ، فقد كان مشهوراً بها » ،

فحدثني أبو العباس الطرسوسي . أن أحمد بن طولون قال له في

هذا المجلس : « ما أحسن ما اهتدى هذا الشيخ إلى إذكرى بحق قاسم وعظمني عليه ! » ، ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خلعة رضى ، وحرّفه إلى منزله . وعدّل الشيخ ولم يدخل معه داره ؛ وانصرف إلى بيته وقد قام بما قعد عنه ابن أخته

٩ — وحدثني هارون بن ملول ، قال :

هارون بن
ملول وابن تميم

لمامات أبي ورثت منه مالا جماً ومُسْتَغَلَّاتٍ نفيسة . وكان يَقْصُرُنِي عَلَى زِيِّ التَّجَارِ ، وَيَمْنَعُنِي مِنَ التَّحْرِقِ ^(١) وَالسَّرَفِ فِي الْهَيْئَةِ . ، فَعَمَدْتُ إِلَى أَثْوَابِ وَشْيٍ سَعِيدِي ^(٢) كَانَتْ فِي الْمَتَاكِزِ الَّتِي خَلَفَهَا وَالِدِي فَقَطَعْتُهَا ، وَقَطَعْتُ لِحْدِي . أَرْتَبِطُهُمُ لِلتَّجَارَةِ . مِنَ الْمُلْحَمِ وَالذِّيَابِجِ مَا لَا يَتَسَمَّحُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ التَّرَدَةِ . وَجَلَسْتُ فِي الْوَشْيِ ، وَقَامَ الْغُلَامَانِ بَيْنَ يَدَيَّ فِيمَا قَطَعْتَهُ لَهُمَا

وَوَافَانَا إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ [بْنِ تَمِيمٍ] مُفْتَقِدًا ، فَتَأَمَّلْنِي فَقَالَ : « لَقَدْ سَرَفَنِي بَعْدُ يُتِمَّتِكَ وَحُسْنُ زِيِّكَ ^(٣) ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ ! » . ثُمَّ وَافَى جَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِ أَبِي وَأَصْفِيَاءِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْكَرَ عَلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ زِيِّ أَسْلَافِي . فَلَمَّا كَانَ فِي عَشِيِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَافَانِي رَسُولُ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ : « عِنْدِي مِنْ لَأَحَبِّ شَيْءٍ لِي ، فَتَوَنُّسْ

(١) التحرق : التوسع في العطاء والمعيشة

(٢) وشى سعيدى : ضرب من برود الين موشية تعرف بالسعيدية ،

منسوبة إلى سعيد بن العاص

(٣) اليتمة : حالة اليتيم ، ولم ترد في كتب اللغة

جَمَاعَتَنَا بِحُضُورِكَ ؟ فَقَدْ أُعْجِبَنِي الْيَوْمَ حُسْنُ زِيَّتِكَ ! » . فزِدَتْ فِي
الْخِلْعَةِ وَرَكِبَتْ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَيْهِ لَمْ أَفْقِدْ عِنْدَهُ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ
وَالِدِي . فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ الصَّحْنُ ابْتَدَرَ فِي الْغُلْمَانِ ، وَصَاحَ بِإِسْحَاقَ :
« تَوَهَّمْ يَا جَاهِلُ أَنَّ أَبَاكَ مَضَى وَاسْتَرْحَتَ ! وَلَا تَعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ
خَلَّفَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْآبَاءَ بِأَسْرِهِمْ يَرُدُّونَكَ عَنْ الْخَطَايَا بِأَلِيمِ الْعُقُوبَةِ ،
وَلَا يَشْفَعُونَ فِي مَصْلَحَتِكَ مِنْ عَظِيمِ مَا كَانَ أَبُوكَ يَرِقُّ عَنْهُ فِيكَ ؟ »
ثُمَّ يُطِاحَتْ فِي وَسْطِ الدَّارِ ، فَصَحَّتْ بِهِمْ : « يَا سَادَتِي ! وَاللَّهِ
مَا قَرِعْتَ قَطْبَ مِقْرَعَةٍ ! » ، فَقَالَ إِسْحَاقُ : « وَلَا أَتَيْتُ بِمِثْلِ هَذَا
الْفِعْلِ ! » . وَضُرِبَتْ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَلَمْ تُرْفَعْ الْمِقْرَعَةُ عَنْهُ حَتَّى
حَلَفَتْ لَهُمْ أَلَّا أَزِيدَ عَلَى مَعْرِضِ وَالِدِي وَآقْتِصَادِهِ ، فَأَقَمَتْ عَلَى هَذَا
إِلَى الْيَوْمِ »

وَمَا زَالَ عَنْهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ

❦

المؤلف
١٠ - وَلَمَّا اسْتَفْجَلَ أَمْرُ ابْنِ الْخَلِيجِ ، انْحَاكَزَ عَنْهُ جَيْشُ مِصْرَ و عَرَابِ مِنَ
إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَخَلَا الْفُسْطَاطَ مِنْهُمْ ، وَكَانَتْ بِمَدِينَةِ أَهْنَسَ (١) ،
وَأَضْطَرَبَتِ النُّوَاحِي ، وَاحْتَجَّتْ إِلَى مُشَاهَدَةِ الْفُسْطَاطِ . فَتَخَفَّرَتْ
بِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ مِنَ الْقَيْسِيَّةِ ، كَفَعَتْ إِلَيْهِمْ عِشْرِينَ دِينَارًا وَخَرَجَتْ مَعَهُمْ ،
فَأَحْسَنُوا الْعِشْرَةَ ، وَأَجْلَوْا الصُّنْبَةَ . وَكُنَّا لَا نَجْتَازُ بَحِيَّ وَلَا جَمَاعَةَ
إِلَّا كَفُونَا مَوْوَنَةً كَلَامَهُمْ ، وَصَرَفُوا عَنَّا بِأَتَمِّهِمْ . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ

(١) أَهْنَسَ : بَلَدَةٌ بِالصَّعِيدِ مِنْ عَمَلِ الْبَهْنَسَا

دَأْبُنَا حَتَّى بَلَغْنَا قَصْرَ الْجِيزَةِ ، فَأَقْبَلَتْ رَعْلَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ (١) -
 قَدَّرْتُهَا بِرَأْيِ الْعَيْنِ خَمْسِينَ فَارِسًا - كَانَتْ مِنْ غَيْرِ حِيَّتِهِمْ ، فَصَمَّمَتْ
 نَحْوَنَا بِرِمَاحِهَا ، وَعَمِلَتْ عَلَى نَهْنِئِنَا وَقَتْلِنَا ، وَرَأَيْتِ الْمَوْتَ فِي أَسِنَّتِهِمْ .
 وَأَحْسَنَ الْأَرْبَعَةَ - الَّذِينَ تَخَفَّرْنَا بِهِمْ - لِقَاءَهَا وَالتَّضَرُّعَ إِلَيْهِمْ ،
 وَنَاشَدُوهُمْ أَلَّا يُخْفِرُوا ذِمَّتَهُمْ ، وَأَجْمَلُوا التَّائِيَّ حَتَّى انْصَرَفُوا (٢) .
 وَجَدَدْنَا فِي السَّيْرِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَيِّ الْمُخَفَّرِينَ لَنَا ، فَقَالَ
 الْمُخَفَّرُونَ : « قَدْ بَلَغْتَ إِلَى مِنْ تَأَمَّنُهُ ، فُحِطَ رَحْلُكَ ، فَمَا تَسْتَقِلُّ (٣)
 دَوَابُّكَ الزِّيَادَةَ عَلَى هَذَا السَّيْرِ » . فَزِلْتُ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى الْغُلَامَانِ فِي
 إِطْعَامِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ لِلطَّعَامِ مَسَاغًا مِنْ فَرَطٍ مَا لَحِقَنِي مِنَ الرَّوْعِ .
 وَعَمِلْتُ فِي الْمُخَفَّرِينَ هَذِهِ الْآيَاتُ :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَعْشَرًا حَقَّقُوا دَمِي
 وَقَدْ شُرِعَتْ نَحْوِي الْمُشَقَّةُ السَّيْمُ
 دَرَاهِمُهُمْ مَبْدُولَةٌ إِضْعِيفُهُمْ
 وَأَعْرَاضُهُمْ مِنْ دُونِهَا الْغَفَرُ وَالسَّيْرُ
 إِذَا مَا أَغَارُوا وَاسْتَبَاحُوا غَنِيمَةً
 أَغَارَ عَلَيْهِمْ فِي رِحَالِهِمُ الشُّكْرُ
 وَإِنْ نَزَلُوا قُطْرًا مِنَ الْأَرْضِ شَاسِعًا
 فَمَا ضَرَّهُ إِلَّا يَكُونُ بِهَا قَطْرُ

(١) الرعلة : القطعة من النخيل قدر عشرين

(٢) تَأْنِي لِلشَّيْءِ : تَرْفُقُ لَهُ وَأَتَاهُ مِنْ وَجْهِهِ

(٣) تستقل : تتحمل

فَلَحَظْنِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَكْتُبُهَا ، فَظَنَّ أَنِّي أَكْتُبُ إِلَى السُّلْطَانِ
فَأَشْتَكِي مَا كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ لَقُونَا بِقَصْرِ الْجِيزَةِ ، فَقَالَ :
« قَدْ سَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا فِي حُسْنِ
الْإِجَابَةِ لَنَا ، فَلَا تَكْتُبْ فِيهِمْ بَشْيَءٌ » . فَقُلْتُ : « وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ
فِيهِمْ وَلَا فِي غَيْرِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ بَشْيَءٌ » ، فَقَالَ لِي شَيْخٌ مِنَ الْمُخَفَّرِينَ
- وَقَدْ قَرُبَ مِنِّي - : « فَمَا تَكْتُبُ ؟ » ، قُلْتُ : « أَكْتُبُ أَيَّامَنَا
مُدْحَشُكُمْ فِيهِمَا » ، فَقَالَ : « وَإِنَّكَ لَتَقْرِضُ الشَّعْرَ ؟ » ، قُلْتُ :
« نَعَمْ ! » ، قَالَ : « أَنْشِدْنِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ » ، فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ :
« بَرَكَ اللَّهُ وَوَصَّلَكَ ! »

ثُمَّ صَاحَ بِالثَّلَاثَةِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَنْشَدَهُمْ إِيَّاهَا ، فَمَا خَرَمَ - شَهِدَ
اللَّهُ - حَرْفًا وَاحِدًا ، فَعَجِبْتُ مِنْ حِفْظِهَا وَلَمْ أَعِدْ عَلَيْهِ حَرْفًا
مِنْهَا ، وَتَبَيَّنَتِ الْقَرَحُ فِي سَائِرِهِمْ ، وَحَفِظُوهَا بِأَجْمَعِهِمْ . ثُمَّ صَاحَ
بِهِمُ الشَّيْخُ : « مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ أَرَحْضُوا ^(١) السَّوْءَةَ عَنْكُمْ » . فَأَدْخَلُوا
أَيْدِيَهُمْ فِي جُيُوبِهِمْ ، وَجَمَعُوا شَيْئًا أَخَذَهُ الشَّيْخُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِي :
« قَدْ شَكَرْنَا صَدِيقَتَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَجْمَعُ بَيْنَ شَعْرِكَ وَوَفْرِكَ ! » ، وَوَضَعَ
الْعَشْرِينَ الدِّينَارَ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَكْبَرْتُ ذَلِكَ وَأَعْظَمْتُهُ . فَقَالُوا لِي :
« الصَّوَابُ أَلَّا يَعْلَمَ بِهَا عَشِيرَتُنَا ، فَيَرْجِعَ عَلَيْكَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا
خَفَفْتَهُ مِّنْ لِّقَيْكَ بِقَصْرِ الْجِيزَةِ » . وَرَكِبْتُ فَسَرْتُ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ
مِنْهُمْ وَهُمْ يَلْشُدُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، فَالْتَمَسْتُ أَنْ يَقْبَلُوا مِنِّي بَرًّا فَلَمْ

أَصِلْ إِلَى ذَلِكَ ، وَرَأَوْا أَنَّ الشَّعْرَ أَحْسَنُ مَوْقِعاً مِمَّا مَلَكَتْهُ

المؤلف
وعباسي

١١ - وَنَزَلَ فِي حَارَتِنَا غَلامٌ أَمْرَدٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَكُنْتُ
أَسْلَمَ عَلَيْهِ إِذَا أَجْتَزْتُ بِهِ ، كَمَا أَفْعَلُ هَذَا بغيرِهِ مِنْ جِيرَتِي .
فَانْصَرَفْتُ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِي فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا عَلَى بَابِهِ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ رَقْعَةً
يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ عَبَّاسِيٌّ مِنْ وَلَدِ الْمَأْمُونِ ، وَيُسْأَلُنِي فِيهَا بِرَّهِ . وَدَخَلَ
مَنْ كَانَ مَعِيَ بِدُخُولِي ، فَقَضَيْتُ شُغْلِي بِالْجَمَاعَةِ حَتَّى أَنْصَرَفُوا ، وَوَضَعْتُ
الْمَائِدَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبَّاسِيِّ فَأَكَلْنَا ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُنِي فَلَا يَجِدُ فِيَّ شَيْئًا
قَدَّرَهُ . فَلَمَّا غَسَلَ يَدَيْهِ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ دَنَائِرَ ، وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ
مِنْ تَقْصِيرِي فِي حَقِّهِ ، وَأَنْصَرَفَ وَقَدْ رَأَيْتُ تَبَجُّلِي فِي حَمَالِيْقِ
عَيْلِيهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بُسْنِيَّاتٍ ^(١) - وَأَنَا فِي ضِيَاعٍ تَقَبَّلْتُ بِهَا ^(٢)
وَلِي فِيهَا غَسَلَةٌ ^(٣) بِمَالٍ جَسِيمٍ ، نَفِخْتُ أَنْ أَدْخُلَ الْفُسْطَاطَ فَتَنَحَّرَبَ
الضِّيَاعُ وَتَتَعَطَّلَ عِمَارَتُهُمَا ؛ فَكُنْتُ أَكْمُنُ نَهَارًا فِي بَعْضِ مَنَازِلِ
الْفَلَاحِينَ ، وَأُظْهِرُ لَيْلًا فَأَعْقِدُ مِنْهَا مَا تَهَيَّأُ إِلَى عَقْدِهِ ^(٤) . فَإِنِّي لَكَا مِنْ
فِي يَوْمٍ مِنَ الْآيَامِ حَتَّى سَمِعْتُ رَجَّةً شَدِيدَةً ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ

(١) تصغير سنوات

(٢) تقبل بخراج أو جباية : تكفل بها والتزمها بعقد

(٣) الغلة : الدخل من كراء دار ، أو أجر غلام ، أو فائدة أرض

(٤) يعقد منها : يريد يجمع منها

غُلْبَانِي . فقال : « دَخَلَ أَصْحَابُ دُمِيَانَةَ الضَّيْعَةِ ، وَعَمِلُوا عَلَى نَقْلِ الْغَلَائِ ! » ، وَأَيَقَنْتَ بِتَلْفٍ أَكْثَرَ مَا أَمْلِكُكَ ، ثُمَّ سَكَنَتْ أَصْوَاتُهُمْ

ودخل إلى غلام لي فقال لي : « يا مولاي ! كانت هذه الضياع قد أشفّت على نقل ما فيها ^(١) ، حتى نَظَرَ إِلَى الْعَبَّاسِيِّ الَّذِي كَانَ فِي جِوَارِنَا ، فَقَالَ لِي : « أَلَسْتَ غَلَامَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ؟ » قُلْتُ : « نَعَمْ ! » ، قَالَ : « فَهَذِهِ ضِيَاعُهُ ؟ » ، قُلْتُ : « نَعَمْ ! » ، أَصَاحَ بِالْجَمَاعَةِ الَّتِي دَخَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ دُمِيَانَةَ : « أَخْرِجُوا بِأَسْرَمِكُمْ عَنْهَا » ، فَخَرَجُوا . ثُمَّ قَالَ لِي : « قُلْ لِمَوْلَاكَ : يَا سَيِّدِي ! مَحَلِّي عِنْدَ الْإِمِيرِ دُمِيَانَةَ مَحَلُّ الْإِخْ ، فَأَظْهَرْ وَارْكَبْ إِلَيْهِ ، فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ عَلَى أَنْفُسِكَ وَمَالِكَ » . فَسَأَلْتُ الْغَلَامَ : « مَا كَانَ زِيَّتُهُ ؟ » ، فَقَالَ : « كَانَ عَلَيْهِ كِسَاءٌ صَوْفٍ مِمَّا يُنَامُ فِيهِ ، وَتَحْتَهُ خُفَّتَانِ » ^(٢)

فَأَحْضَرْتُ بَعْضَ شَايِخِ الضَّيْعَةِ ، وَحَمَلْتُ مَعَهُ إِلَيْهِ دُرَاعَةَ خَزٍّ كُحْلِيَّةً ، وَهُطَرَفَ خَزٍّ ^(٣) ، وَخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ نَاحِيَّتِي . فَقَبِلَ الدَّرَاعَةَ الْخَزَّ ، وَرَدَّ الْمَطْرَفَ وَالْدَنَانِيرَ ، وَقَالَ لِرَسُولِي : « وَاللَّهِ لِلثَّلَاثَةِ الدَّنَانِيرِ - الَّتِي وَهَبَهَا لِي لِشَرَفِي لَا لِشَيْءٍ مِمَّا ظَنَنْتُهُ بِهِ - أَحْسَنَ مَوْقِعًا عِنْدِي مِمَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْهِ ،

(١) أشفى على كذا : أشرف وقارب

(٢) الخفتان : ضرب من الثياب ، وكأنه قريب مما نسميه (القفطان)

(٣) المطرف : ثوب يكون في أطرافه وشي وأعلام

فَكَثَّرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ !
فَلَمْ يَزَلْ عَصْدًا لِي وَسِئْرًا عَلَيَّ ، حَتَّى انْصَرَفَ دِمْيَانَةُ عَنْ
النَّاحِيَةِ

١٢ - وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْفَضِيلِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ نَجْهٍ - وَكَانَ هَذَا
الرَّجُلُ حَسَنَ الْكِتَابَةِ - ، قَالَ :

يَحْيَى بْنُ نَجْهٍ
وَالرَّخَبِيُّ

« تَرَدَّدْتُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ فَرْجٍ الرَّخَبِيِّ مُدَّةً ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ . فَقَالَ : « قَدْ أَنْضَيْنَاكَ ^(١) ! قَدْ اسْتَنْمَمْتَ فِي
هَذَا الْيَوْمِ سَنَةً » ، وَوَقَعَ لِي بِتَقْلِيدِ عَمَلِ سَنِيٍّ . وَاضْطَرَبْتُ فِيهَا
أَحْتَاجُ إِلَى التَّجَهُّزِ بِهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عَلَيَّ إِلَّا نَصٌّ ^(٢) رِكَابِي ، بَرَزْتُ
ظَهْرِي وَثَقَلِي ^(٣) ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَنَصِّرِ
أُنْتَظِرُ تَوْدِيْعَ عُثْمَانَ وَالخُرُوجَ إِلَى عَمَلِي . فَرَأَيْتُ غُلَامَانِ عُمَرَ يَتَسَلَّلُونَ
فَسَأَلْتُ عَنْ السَّبَبِ ، فَقِيلَ لِي : « سَخِطَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عُثْمَانَ »
فَحِرْتُ ، وَخِيفْتُ أَنْ أَرْجَعَ إِلَى مَنْزِلِي فَأُخْسِرَ جَمِيعَ مَا أَنْفَقْتُهُ .
فَإِنِّي إِنِّي تِلْكَ الْحَيْرَةَ حَتَّى خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ فَرْجٍ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ
شَيْعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ لِي : « أَيْنَ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعِيَ ؟ » ، فَقُلْتُ
« تَسَلَّلُوا لِلْحَادِثِ ! » ، فَقَالَ : « وَقَدْ وَكَّلَ بِي هَذَا الشَّيْعِيُّ عَلَى

(١) أَنْضَاهُ : أَنْعَبَهُ

(٢) نَصُّ الرِّكَابِ : تَسْيِيرُهَا

(٣) الثَّقَلُ : مَتَاعُ الْمَسَافِرِ وَحِشْمُهُ

أَنْ يَنْفِيَنِي إِلَى بِلَادِ السُّرُكِ ، وَلَمْ أُعِدَّ شَيْئاً وَلَا أُجَدَّ مِنْ يُعِثُّهُ لِي ،
قُلْتُ : « هَذِهِ قُبَّةٌ وَظَهْرُهُ يُقَالُ لَهُ ، وَأَنَا أَصْحَابُكَ شُكْرًا عَلَى مَا أَسْلَفْتَنِي
مِنَ التَّقْلِيدِ »

فَرَكِبَ الْقُبَّةَ ، وَأَحْضَرَ الشَّيْعَى قُبَّةً لَهُ ، وَرَكِبْنَا وَأَنَا أُعَادِلُهُ ^(١) ،
وَانْتَهَى الْمَسِيرُ بِنَا إِلَى خُرَاسَانَ . وَكُنَّا لَا نُفْضِي مِنْ بُلْدَانِ خُرَاسَانَ
إِلَى بَلَدٍ إِلَّا وَجَدْنَاهُ أَغَاطَ طَبْعاً مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي فَارَقْنَاهُ ، حَتَّى بَلَّغْنَا
بُخَارَى ، فَرَأَيْنَا قَوْمًا فِي نَهَائِهِ مِنْ غِاطِطِ الطَّبَاعِ ، فَقَالَ لِي - حِينَ
رَأَيْتُنِي أَتَعَجَّبُ مِنْهُمْ - : « كَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ السُّرُكَ وَبُلْدَانَهُمْ ؟ يَقْتُلُونَ
الْمُسْتَجِيرَ بِهِمْ ، وَيُخْسِرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيَهْلِكُ النَّازِعُ إِلَيْهِمْ
بَيْنَهُمْ ^(٢) ! » ، فَزَادَنِي هَذَا الْقَوْلُ تَهْيِئاً لِلْمَسِيرِ مَعَهُ ، ثُمَّ مَلَسْتُ
مَا اسْتَغْرَبْتُ ^(٣) مَنِي ، وَتَمَسَكْتُ

وَجَدَّ بِنَا السَّيْرَ عَنْ بُخَارَى إِلَى أَرْضِ السُّرُكِ ، وَإِنِّي مَعَهُ فِي الْقُبَّةِ -
وَهُوَ يُحَدِّثُنِي بِشَيْءٍ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ تَبَيُّنِهِ مَا يُقْلِقُنِي مِنْ رُكُوبِ
مَا أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ - حَتَّى سَمِعْنَا حَلَقَ الْبَرِيدِ ، فَتَشَوَّفْنَا لَهَا ،
وَوَافِيَ بِهَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكِتَابُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِالْحَضْرَةِ : مِنَ الرِّضَا
عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ ؛ وَيَأْمُرُهُ فِيهِ بِكَشْفِ مَدُنِ خُرَاسَانَ ، وَتَجْرِيدِ
عُقُودِهَا عَلَى أَصْوَابِ مَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِثَارَةِ التَّوْفِيرِ بِهَا وَالزِّيَادَةِ

(١) عادله : ركب معه في الجانب الآخر من يحمل البعير

(٢) النازع : الطائر الغريب

(٣) ما استغرب مني : ما تباعد عني من عزمي ورأيت

فيها . فلما استتم قراءته ؛ حمِد الله وألقى الكتاب إلى ؛ وقال : « بَارَكَ
الله لك في الخلاص وهَنَّاكَ المَزِيَّة » . وورد إلى تأمل ما أَمَر به
أمير المؤمنين من كَشَف عُقُود النِّوَاحِي «

فانصرفت إلى منزلي بمائة ألف دينار ؛ مع ارتهان شكر المعاملين
وإححاد السلطان ^(١) «

❦ ❦ ❦

والد المؤلف
ومصطنعيه

١٣ — وحدّثنا أحمد بن يوسف ، قال :

« حَبَسَ أحمد بن طولون يوسفَ بن إبراهيم والذي في بعض
داره . وكان اعتقال الرجل في داره يُؤَيِّس من خلاصه ^(٢) ، فكاد
سِتْرُهُ يَنْهَتِك لَخُوف شَمْلِهِ عليه . وكان له جماعة من أبناء السِّتْرِ
يَتَحَمَّلُونَهَا ، مَقِيمة عليه لا تنقطع إلى غيره . فاجتمعوا - وكانوا
زُهَّاءَ ثَلاثين رجلا - فركبوا إلى دار أحمد بن طولون ، فوقفوا بباب
له يعرف بباب الجبل ، واستأذنوا عليه فأذن لهم . فدخلوا إليه ،
وعنده محمد بن عبد الله بن الحَكَم وجماعة من أعلام مُسْتُورِي مصر ،
فابتدروا كلامه بأن قالوا : « قد اتفق لنا - أيد الله الأمير - من
حُضُورِ هذه الجماعة مجاسه ، مارَجُونَا أن يكون ذريعة إلى ما نأمله ؛
ونحن نرغب إلى الأمير في أن يسألها عنا ، ليقفَ على منازلنا » .
فسألهم عنهم ، فقالوا : « قد عرِضَت العَدَالَةُ على أكثرهم فامتنع

(١) أحمد السلطان : رضى فعله ووجده مستحقا للحمد

(٢) آيسه الأمر : مثل آياسه

منها» (١)

فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس؛ ونسألهم تعريفه ما قصده رآله؛
فقالوا: «ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر به في يوسف بن
إبراهيم، لأنه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يُقدّمنا إلى
ما اعتزم عليه فيه: إن آثر قتله أن يقتلنا؛ وإن آثر غير ذلك أن
يسلف بنا» (٢)، وهو في حل وسعة منه، قال: «ولم ذلك؟»
فقالوا: «لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في آتباع شيء مما آحتجنا إليه؛
ولا وقفنا بباب غيره. ونحن والله أئبها الأمير نرتمض (٣) البقاء
بعده من السلامة من شيء من المكروه وقع فيه»، وعجوا بالبكاء
بين يديه. قال أحمد بن طولون: «بارك الله عليكم فقد كافأتم إحسانه
وجازيتم إنعامه»، ثم قال: «على بيوسف بن إبراهيم»، فأحضر.
فقال: «خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا». فخرجوا معه؛ وانصرف
بهم إلى منزله.

١٤ — قال:

المؤلف
«وطالبني بعض عمال الخراج بمصر بمال زاد على ما في حاصلي؛ وبعض التجار

فاحتجت إلى مُعاملة بعض التجار عليه؛ فدللت على رجل من

(١) العدالة: تركية الشهود عند القاضي وتعديلهم، أي أن يقول
لهم عدول، وكانت من وظائف القضاء

(٢) يسلف بنا: يبدأ بنا ويجعلنا سلفاً، والسلف: المتقدمون

(٣) ارتمض الرجل من الشيء: إذا اشتد فأقلقه كأنه يقف في
الرمضاء، وهي حر الحجارة من شدة حر الشمس

أهل الشام يعامل برُهون ؛ فصار إلى - وأنا في بيت المال -
منهُ شيخُ حَسَنُ الصورة جميلُ اللقاء ، فقال : « إلى كم تحتاج ؟ »
قلت : « إلى مائتي دينار » . فأخرج من كُمِّه مالا فوزَّنه ، واستزاد
من غلام كان معه دنانيرَ حتى أكمل المائتين ، ثم سلَّمها إليّ واقتضاني
خطَّابها ، وقال : « قد كُفِّيتْ مؤونة الرهن » ، فقلت : « فكيف
أكتب الخط ؟ » ، قال : « بمائتي دينار كما أعطيتك » ، فقلت له :
« سبيلُ المعاملة غيرُ هذا ! » ، فقال : « والله لا قبِلْتُ منك فيهِارِ بِجًا ،
ولو وهبْتُها لك لكان من أصغرِ حقوقك عليَّ » ، ثم قال لي :
« تعرُفني ؟ » ، قلت : « لا ! »

قال : « ركبْتُ مرَّ كَبًا أريدُ الفُسطاط من تَنِّيس ، وحمات فيه
تجارةٌ لي ما كنتُ أملكُ غيرَها ، حتى إذا بلغتُ المَحَلَّةَ ووازيْتُ
ضياعا كانت في يدك ، كُسِرَ بنا ، وغَرِقَ جميع ما أملكه ، وسلَّمتُ
بُحْشاشة نفسي ^(١) . فجلستُ على الشَّطِّ أبكي وأنتحب ، فأقبلت في جماعة
معك فسألتنِي عن حالي فأخبرتُك بها ، فنبَّشت في حَشْدٍ من يغوص
على المركب ومافيه وحطَّطت على الشَّطِّ ، فأخرجوا بَزًّا كان
لي وتَافَ ما سواه ؛ واستحلقتني على ماذهبَ لي فأخبرتُك به -
وكانت قيمته سبعين دينارًا - فقَسَّمْتُها لي على وُكلائك وكتَّابك

(١) الحشاشة : بقية رفق الحياة والروح في المريض والغريق

فلما حصّأت لي أعطيتني دنائيرَ من عندك وقلت لي : « هذا أَرْضُ^(١) ما لحقك في الشّباب » ، وأمرت أن يُكسّرى [لي] إلى تَنْيِس ، وكنيت لي إلى جماعة معامليك بتنيس بما لحقني ، وبمعوتني على أمرى ، فرجع بك إلى ما أملك ، واكتسبت جاهاً بتنيس تضاعف مالى به ، وحسنت معي حالى »
« وأخذ خطي بالمال وأنصرف »

أحمد بن إسحاق
وصاعد

١٥ - وسمعت أبا العباس أحمد بن إسحاق يحدث أبا الطيب

أحمد بن علي ، قال :

« لما سخط الموفق على صاعد وكل به من يطالبه ، وأقرني والطائي على ما كنا نتفاديه له . وكان صاعد محسناً إلينا ، جميل العشرة لنا ، فلم نترك شيئاً نصل إليه مما خفف عنه إلّا بأغناؤه . وكانت بيني وبين الطائي إحنة^(٢) ، فدعاني الموفق في يوم من الأيام - ونحن بواسط وقد بآح^(٣) صاعد ، واستنزل المستخرج جميع ما وصل إليه منه - ، فقال لي : « أحمد ا ادخل إلى صاعد فقل له : أظنك أرضيت المستخرج حتى فتر في مطالبتك ، وتالله لئن لم تخرج محتجبك ، لا تولّين تعذيبك بنفسى ا »

فدخلت إليه وأديت الرسالة ، فقال لي : « يا أحمد ا والله ما بقى

(١) الأرض : دية الجراحات والجنايات التي ليس لها قدر معلوم وهو

الذى نسميه « التعويض »

(٢) إحنة : حقد وعداوة

(٣) بلح : أفلس

لى شىء ، وما ملكتُ قَطُّ ما هو أحبُّ إلى من نفسى ، فتقول له :
ياسيدى ! والله ما أملك على الأرض ولا فيها ديناراً ولا درهما ولا
جوهرأ ، وأنت أولى بالتطوُّل^(١) على خادمك . فأنصرفت من عنده
وأنا أخاف أن يُغريه ذلك الجوابُ . ودخلتُ إليه وقلت له :
يقول لك : « ياسيدى ! ما أملك على وجه الأرض ولا بطنها غير
مائة ألف دينارٍ عند الطائى » . فأمر بإحضاره ، فلما مَثَلَ بين يديه ،
قال له : « المائة الألف الدينار التى لصاعدٍ عندك ، قد بعثت إلى
يحاف أنه لا يملك غيرها » . فقال له : « وهى بمدينة السلام ، فيُنظرنى
الأميرُ مسافة الطريق ، وأنا أستسلف له ما تيسر منها من التجار
ها هنا ؟ » . فقال له : « اكتب خطك بها » . فكتبه وسلمه إلى
الموفق ، فسلمه إلى غلام من خاصته ، وأنصرف الطائى

فاستقبلته ما صدر منى فيه ، وعظم فى نفسى لتصديقه صاحبه ،
وترك معارضته بما يدفع به المرء عن نفسه . فدنوتُ من الموفق
وقلت له : « أيها الأمير ! جميع ما أديته إليك عن صاعد منى تقولته ،
وقد قبُح فى عينى ، وسيدى الأمير مخيرٌ بين الصفح عنه والعقوبة
عليه » . فقال : « أحسنت ! بارك الله عليك » . ثم أمر بردَّ
الطائى ، فقال : « لِمَ لم تتقرب إلى بذكر هذا المال ؟ » فقال :
« أيها الأمير ! يمنعنى من ذلك ما تولاه من اصطناعى » فقال له :
« ليس يُنْعِنى إلا أن تحلف برأسى على هذا المال ، وفى أى وقت

(١) تطوُّل عليه : تفضل عليه وأحسن إليه

دفعه إليك . فقال : « يعينني الأمير من ذلك » . فقال : « والله لا فعلت » . فقال : « وحق رأس الأمير ماله عندي درهم واحد فضلا عنه ، والسكنى لمارأيتُه قد عاذ بالدعوى عليّ ، تيقنتُ أنه لم يبق له حيلة في المدافعة عن نفسه ، فعملت على تحمّل هذا المال ، والله ما أملكه ، ورجوتُ أن أصل إليه بجاهي ولطيف حيلتي » . فاستحضر الموفق الخطّ ودفعه إلى الطائي ، فقال له : « خرّقه » . ثم تقدّم بإعفاء صاعد من المطالبة .

نجاح بن سلمة
وابن تميم

١٦ - وكان نجاح بن سلمة - مع ما يؤثّر عنه من زعارة أخلاقه ، ^(١) وقبح تسلّطه - يحبّ التبسّط على طعامه ، ويحسن المكافأة عليه . فحدثني يعقوب بن إسحاق بن تميم ، قال :

أقام إسحاق والدي ببغداد خمساً وعشرين سنة في رفع حسابيه ، ينقّض الكتاب جماعاته ويسلطون الإعانات عليه ، قال لي يعقوب ، فحدثني أبي : أن أغاظ الكتاب بأشْرهم كان عليه ، نجاح بن سلمة . قال : « فلما أفرط على سوء تحكّمه ، جلست في منزلي ، فمرّ به آسَمي ، فقال : « قد عزم إسحاق بن تميم على أن يتربّص بنا كما كان يتربّص بمن كان قبلنا ؟ » . ثم نظر إلى بعض المضمومين إليه فقال : « بكر إلى إسحاق ابن تميم فأخبره الدار إلى أن أنصرف » . قال : فباكرني فظّ من الجنْد لم أملك نفسي معه حتى صار [بني] إلى دار نجاح ، فوجدناه

(١) الزعارة : الشراسة وسوء الخلق

قد ركب

فخصاني على الباب وجاس^(١) ، وتعالى النهار واشتدَّ جوعى ،
 فقلت له : « آهض معى إلى المنزل لنا كل جميعاً ونرجع ا » فأبى .
 فقلت لحاجب نجاح - ورأيتَه متمكناً من داره : - « أصلحك الله ،
 إنى قليل الصبر على الجوع ، وأخاف أن يتأخر الأستاذ وأضعف
 عن حجتى فى حضوره لعلَّه الصَّفرَاءُ علىّ ، وقد سألتُ هذا الرجل
 أن يُطلق لى الذهاب إلى منزلى لأكل وأرجع فأبى » ، قال : « لم
 لا تأكل هاهنا ؟ » . وأجلسنى فى بُشْخانة^(٢) فيها ، واستحضر الطعام ،
 فأحضرت مائدة نجاح بن سلمة ، ولم يبق حُلُوٌّ ولا حاءِضٌ ولا حارٌ
 ولا باردٌ إلا نُقِلَ علينا . حتى إذا بلغتُ إلى الحُلُوءِ من الطعام ،
 دخل الدار نجاح فجاس فى المجالس ، ورآنى فى دخوله ، ومكانى من
 البشْخانة^(٣) ، فبعث إلى غلاما له [يقول] : « بحياتى استَتمَّ أكلُك
 ولا تتجوز فيه » . فأقمت حتى فرغ الطعام ، وجاؤنى بالُغُسْلِ
 والبُخُورِ ، ثم قمتُ . فلما رآنى ضحك إلى وقال : « من علمك على
 هذا ؟ » ، قلت : « التوفيق » ، قال : « أجل ا » ، ثم قال لى : « ارفع
 حسابك كيف شئت واحشيه ، فقد أمَّنتك الله من اعتراضك بشىء .
 تَكرمه »

(١) حصله على الباب : يريد ، وصل به إليه وأبقاه

(٢) فى الأصل : ، بناخه ، فى الموضعين ، وأقرب ما أعرف إلى هذا

الرسم هو : ، بشْخانه ، قال الخفاجى : يقال لها الناموسية ، عامية معربة
 « بشه خانه » أى بيت البعوض ، أو كما أخبرنى بعضهم أنها بيت الحاجب

قال يعقوب : قال لي أبي : « فغدوتُ إليه بحسابي ، فوالله ما زاد على التوقيع في الجَماعات بإهـضائِها وتخليدها . ثم قال : « متى تعزم على بلدك ؟ » ، فقلت : « ياسيدي ! إنما أتنظرُ فيه إـذْـنـك » ، فكل شيء لي مفروغٌ منه » ، فقال : « اجعله بعد صلاة الجمعة » ، قلت : « أفعل » . ثم قال لي : « تروح إلى لالـقـاك في حوائج لي ؟ » ، فقـدـرتُ أنْ يحمِّلني في الحوائج غُرم الألف الدينار

فلما رحتُ إليه ، دخلتُ وهو خالٍ ، فقال لي : « إنك ترجع إلى بلدٍ قد يئس منك فيه أهله ، فأدخل الجارُ من جيرانك الخشبة في حائطك ، والجارُ في البستان قد تحيف حدودك ^(١) ، فهب لي ما بينك وبينهم » . قلت : « أفعل »

قال : « وترى ببلدك جماعة قد ارتفعوا ، أبناء غاملين ، فلا تنهرهم بدقّة ^(٢) أصولهم ، وانصرف ^(٣) عما كان عليه سلفهم ، فإنه يزرع لك المقت في قلوبهم » . قلت : « أفعل »

قال : « وأصحاب البريد ، فاحذر أن يرد في كتبهم ذكرٌ لك بخير ولا شرٍ » . قلت : « أفعل »

ثم أومئى إلى يعانقني ، قلت : « ياسيدي ! حوائجك ؟ » ، قال : « هي ما عددته عليك ، إنك قد حالت مني بانبساطك محلّ القرابة

(١) تحيف الشيء : نقصه وأخذ من جوانبه وحافاتِه وأطرافه

(٢) دقة الأصل : خسته ولؤمه

(٣) في الأصل . والصدق

الذي أُسِرَ بصوابه ، وَيَغْنُمُنِي زَكَاةُ . فَإِنْ حَزَبَكَ ^(١) أُمِرْتُ فِي بَلَدِكَ
فَلَا تَعْدِلْ بِهِ عَنِّي ، وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ
» فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ وَأَنَا عَلَى غَايَةِ مِنَ الشُّكْرِ »

✽ ✽ ✽

محمد بن يزيد
ومسافر

١٧ - وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ - وَكَانَ حَسَنَ التَّقَشُّفِ ، سَدِيدَ
الرَّأْيِ - قَالَ :

أُطْلِقُ جَمَاعَةً مِنْ سَجِسِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ بِهِمْ ظَنَّةٌ
بِالتَّلَصُّصِ ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ كُورَةَ أَهْنَأَسَ . فَإِنِّي عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِ
الْأَكْسِيَّةِ حَتَّى وَافَاهُ غَلَامٌ أَصْفَرٌ ، خَبِيثُ الْمَنْظَرِ ، مَتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ ،
مِنَ الْخَارِجِينَ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَحَّبَ بِهِ ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ ، وَهَذَا بِسَلَامَتِهِ .
ثُمَّ سَأَلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ مِنَ الْحَبْسِ كَمَا تَرَانِي ، وَمَا
مَعِيَ نَفَقَةٌ تَبْلُغُنِي مَنْزِلِي »

فَقُلْتُ لَهُ : « مَا أَسْمُكَ ؟ » ، فَقَالَ : « مُسَافِرٌ » ، فَقُلْتُ لَهُ : « يَافِقِي !
قَدَّمَ اللَّهُ فِي أُمُورِكَ وَلَا تَعْدِلْ عَنْهُ ، فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي ظِلِّهِ » ، فَقَالَ
لِي : « يَا سَيِّدِي ! الْحَقُّ فِيمَا قُلْتَهُ ، وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَالتَّوْفِيقُ
إِلَى اللَّهِ دُونَ خَلْقِهِ » ، فَأَعْجَبَنِي جَوَابُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « كَمْ يَكْفِيكَ إِلَى
مَنْزِلِكَ ؟ » فَقَالَ : « دِينَارٌ » ، فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : « إِذَا حَدَّثْتُكَ
نَفْسُكَ بِإِخَافَةِ السَّبِيلِ فَأَبْعَثْ إِلَى حَتَّى أُمْسِكَ مِنْ رَمَقِكَ ،
وَأَكْفَ فَاقَتَكَ »

فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهنسا بتسلط
رُجُلٍ من اللصوص - في جمع كثير ، على كثيرٍ من المواضع ،
وكثيهم الضياع . وكانت لي أسلاف ^(١) بسُططا ونواحيها ،
فخرجت لقبضها في رُفقةٍ من التجار ، قد حملوا البزَّ والطيب
وما يُحتاج إليه للأرياف . فإنا بنواحي المحرقة ، حتى لقينا قطعةً
من اللصوص ، فساقتنا بأسرنا إلى موضعٍ منقطعٍ عن المارة ،
وفيه شابٌ أصفرُ راكبٌ فرسٍ ، ومعه مقدار خمسة فوارس ،
فَعَرِضَتِ الجماعةُ عليه إلى أن بلغني ، فتأملتُهُ فوجدته « مسافراً » ،
فأكبَّ على رأسي وتَحَفَّى بي ^(٢) . ثم قال لأصحابه : « أخطأ والله
حَزْرُكم ^(٣) ، هذه رُفقةٌ شيخي وسيدي ، والله لادخلَ إلى
منها شيء » . وسار معنا حتى أخرجنا إلى الأمن ، ثم قال لي :
« أنا أعلم أنك لا تأكلُ طعامي ، ولا تقبلُ شيئاً مني ، وقد والله
ياسيدي حببتَ إلى بجانبه ما أنا بسيدٍ له ، فنشدُك الله كما
جعلتني طريقك في الرجعة » . فتضمنت له ذلك

ودخلنا مدينة أهناس ، فشاع خبرُ ما أولاني في الناس . وكان
المتقلدُ لها رجلاً من أصحاب أحمد بن طولون - يُعرَفُ بفهم -

(١) الأسلاف : القروض ، جمع سلف وهو القرض بغير فائدة

(٢) تحفى به : احتفى ، وبالع في إظهار السرور والفرح به ، وأكثر

السؤال عن حاله

(٣) الحزر : التقدير ، حزر الشيء : قدره بالظن

مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُ ، أَثِيرًا لَدَيْهِ ^(١) فَبَعَثَ إِلَيَّ ، وَعَرَفَ مَذْهَبِي ، فَقَالَ :
 « قَدْ أَحْضَيْتُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ هَذَا الْغُلَامِ ، فَرَأَيْتُهُ لَا يَرَى الْقَتْلَ ،
 وَلَا هَتَكَ الْحَرِيمَ ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِأَطْرَافِ الْأَمْوَالِ وَلَا يَبْلُغُ
 الْاجْتِيَا حَ ^(٢) . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْفِرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ^(٣) ، فَإِنِّي أَوْمَنَهُ
 وَأَكْرِمَهُ وَأَقْلُدُّهُ سِيَارَةَ الْبِلَادِ » . فَرَجَعْتُ فِي حَاجَةِ فَهْمِ إِلَيْهِ ،
 فَأَلْقَيْتُهُ وَالْجَمَاعَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَدَّيْتُ إِلَيْهِ رِسَالَتَهُ ، وَأَعْلَمْتُهُ أَنَّ هَذَا
 الرَّجُلَ صَحِيحُ الضَّمَانِ ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي الْأَعْمَالِ
 إِلَّا أَنْسُ النَّاسِ بِهِ » . ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « مَنْ يُسَاعِدُنِي عَلَى الْخُرُوجِ
 إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ » ، فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : « نَحْنُ ! » . فَسَارَ مَعِيَ
 حَتَّى إِذَا قَرُبْنَا مِنْ أَهْنَاسٍ ، وَضَعَ حَبَالًا فِي عُنُقِهِ وَقَالَ : « ادْخُلْ
 بِي فِي زِيِّ الْأَسْرَى وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ » ، فَدَخَلُوا ، وَالنَّاسُ يَبْكُونَ
 لِمَا اتَّفَقَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْهَدَايَةِ ، وَرَأَى النَّاسُ عَجَبًا مِنْ سَوْقِ
 شَيْخٍ مِثْلِي ضَعِيفٍ رَجُلًا قَدْ أَعْجَزَ خَيْلَ السَّاطَانِ . فَطَلَبَ فَهْمُ أَنْ
 يَقْبَلَ لَهُ خِلَاعَةً ، فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَضَافَ أَصْحَابَهُ إِلَى فَهْمٍ ،
 وَأَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ رَاجِلًا ، ثُمَّ فَقَدْتُهُ »

المقرئ وراعى
غنى

١٨ — وَحَدَّثَنِي أَبُو حَبِيبٍ الْمُقْرِي ، قَالَ :

(١) الأثير : المحبوب المقرب المقدم على غيره

(٢) الاجتياح : الاستئصال والحق

(٣) سفر بين المتخاصمين : سعى بينهما في الإصلاح

« ضاقتُ أحوالى ، فلم يبقَ لى إلّا جاريةُ أحبّها ، ومنزلاً
أسكنّه . فبعتُ المنزلَ بألف دينار ، وخرجتُ إلى مكةَ بالجارية ،
فقلتُ لها : « يكون هذا المال فى وسطك » فكانت إذا نزلت فى
منزلٍ حَفَرَتْ فى خِيَمَتِهَا حَفِيرَةً ، وأودعت المالَ فيها وطمّتها ^(١) .
فإذا نُودِيَ بالرحيلِ أثارتَه وشدّته فى وسطها
قال : فاتفق أن رَحَلْنَا عن مَنَهْلٍ ونسيتِ المالَ فى الحفرة ،
فأخبرتني الجاريةُ بذلك ، قال : فخارَ فِكْرى ، وطاشَ رُوعى ^(٢) ،
ولم أدِرِ ما أعمل . ودخلنا مكةَ ، فحدّثتُ نفسى ببيعِها فلم يُطعنى
قلبي . فلما رَجَعْنَا ونزلنا المَنَهْلَ الذى خَلَفْتُ فيه الكيسَ ،
رأيتُ صحراءَ ، وغلامٌ على رابيةٍ يرعى غُنياتٍ له ، وأقبلتُ
أدور وأنظر إلى الأرض ، فقال لى : « ويحك ! ماتطأب ؟ »
قلت شيئاً أودعته أرضُ هذا المَنَهْلِ ، فقال لى : « صفه لى » ،
قلت : « كيسٌ أحمرٌ فيه مال » ، فقال : « ومالى فيه إن دَلَلْتُكَ
عليه ؟ » ، قلت : « نصفه ! » ، قال : « هاهو ذاك فى الرابية » .
فلما رَأَى تحيّرى فيه ، قام حتى أخرجَه ووضعَه بين يديّ ،
فحمدت الله ، وقسمت الكيسَ قسمين وخيرته أحدهما ، فقال
لى : « إني أرى قِسْمى منه كثيراً ، وأنا أكتفى بنصف أحد
القسمين » ، فقسمته بقسمين ، فقال : « تقسّمه أيضاً بقسمين » ،

(١) طم الحفرة : كبسها ، بالتراب

(٢) الروع : القلب

ففعلتُ ، فقال : « ما أعجب أمرِك ! أتُرْكُه كله حراماً ، ونصفه حلالاً ، وأخذ منه شيئاً ! هذا مالا يكون ، أنصرف بمالك » .
فقلت له : « يا غلام ! أنت حرٌّ أو مملوك ؟ » ، فقال : « مملوك » ،
فقلت : « لمن ؟ » ، فقال : « لشيخ هذا الحى »

فدخلت الحى فألقيت الشيخ والناس عنده ، فقلت له : « رأيتُ غلاماً فى المنهل يرمى غنيماتٍ وأسألك أن تبيعنيه » ، فقال :
« اشتريته بعشرة دنانير » ، فقلت : « أنا آخذه بعشرين » ، فقال :
« إن لم أبعه ؟ » ، قلت : « أعطيك به ثلاثين ديناراً » ، فقال لمن حوله :
« أما تسمعون ما يقول ؟ وما يحملك على أن تبذل به هذا الثمن ؟ » ، فقلت : « جمع على ضالة » ، فتذرتُ أن أُعتيقه وأبتاع الغنم يرهاها له ، وأملكه إياها » ، فقال : « نذرتُ أن تفعل به هذا لفعله واحدة من الجليل أولاً كها^(١) ، ولنا فى كل يوم منذ ملكناه حسنة تقتضى أكثر مما نأتيه له ؟ وأنا أشهد الجماعة أنه حرٌّ لوجه الله ، وأن ما رعاه له »

فانصرفت عن الشيخ وقد بلغ بى ما أملاه له

١٩ — وقلت يوماً لأحمد بن محمد المعروف بابن أبى عصمة . ابن أبى عصمة وابن طغان

كاتب أحمد بن طغان — وكان لي صديقاً مصافياً — : « قد كثر الناس

(١) أولاه الجليل : فعله ابتداء من غير مكافأة على جميل سابق

في إصابتك ^(١) مع ابن طغان ! » ، فقال : « ما أخطموا في التكثير ،
وكان صاحبي ستمجاً ^(٢) ؛ ولقد أصابني منه في جهة واحدة ثلاثون
ألف دينار » ، فسأله عن تلك الجهة ، فقال : « كان لا يُمسكُ
مالاً ، ولا يعتقدُ ذخيرة ^(٣) » ، فقال لي يوما : « لم يُصبح في حاصلي
درهم واحد ، فاستسلف لي شيئاً أنفقه » . فمضيتُ إلى منزلي
فحملتُ إليه ألف دينار . فلما وضعتهَا بين يديه ، فتَحَّ السكيسَ
وقلَّبَ ما فيه ، فلما رأى الدنانير صحاحاً جيدة ، قال : « ما هذه
دنانير صيرفي ، فيحياتي من أخذتها ؟ » ، فقلت له : « كانت عندي » ،
فقال : « ما ظننت هذا موضعك ! » ، وسكت

وكان له في كل شهر ألف دينار نُزْلٌ ^(٤) ، فجئته به عند
استيجابه لإياه ، فقال لي : « ما هذا ؟ » ، قلتُ : « النزل » ، فقال :
« آقِضْ به دنانيرَ الرجل » . ثم جئته به مرة أخرى بنزل الشهر
الثاني ، فقال : « اصرفه إلى الرجل » ، قلتُ : « قد قضيته ! » ، فقال :
« اصرفه إليه كما أمرك » . فلم يزل يفعلُ بي هذا حتى مضى
ثلاثون شهراً حصلتُ فيها ثلاثين ألف دينار

(١) كثروا في إصابتك معه ، أي : أكثروا وتزيدوا في تقدير ما استفادوا
من الأموال

(٢) السمع : الجواد السخي السهل العطاء

(٣) الذخيرة : ما يدخره الرجل ويحفظه . واعتقدها : أمسكها وجمعها
وكأنه عقد عليها عقدة

(٤) النزل : رزق العامل وأجره - (المرتب)

٣٠ - حدثني هرون بن مَلُول ، قال ، حدثني ياسين بن زُرَّارَةَ ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصرانيٌّ من أهلها كثيرُ المالِ ، فاشى النِّعْمَةُ ، سَمَّحَ النَّفْسَ ؛ وكانت له دارُ ضيافةٍ ، وجَرَاياتُ^(١) واسعةٌ على ذوى السَّيْرِ بالفُسْطَاطِ . فَهَرَبَ من المتوَكِّلِ رجلٌ - كَتَبَ عن اسمه - خطيرُ المنزلةِ ، لميلِ كان من المنتَصِرِ إليه ، وتبرأ من حاشيته ولبسَ جُبَّةَ صوفٍ ، فأنهى به المسير إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، فخاف أن يُعرَفَ فنَزَعَ إلى أريافها^(٢) ، فأنهى به المسير إلى ضياع النصراني ، فرأى فيها منه رجلاً جميلاً الأمر . وسأله النصرانيُّ عن حاله ، فذكر أنَّ الاختلالَ^(٣) انتهى به إلى ماظهر عليه ، فغَيَّرَ هَيَأْتَهُ ، وفَوَّضَ إليه شيئاً من أمره ، فأحكمه فيما أَسَدَّ إليه واضطَّلع به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهاربِ من النصرانيِّ ، يفضِّلُ كلَّ ما ذَهَبَ له

وَوَرَدَ على النصرانيِّ مُسْتَحِثٌّ بِحَمْلِ مالٍ وَجَبَ عليه ،^(٤)

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لا تنقطع

(٢) نزح إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : افتقر واحتاج ، والخلَّة : الحاجة والفقر

(٤) المستحث : الذى يستحثه ويستعجله

[وسأله] النصراني عن خَبرِ الناس بالفُسطاط ، فقال : « ورد
خَبرُ قتلِ المتوكل وتقلدِ المنتصر ، ووافى رسولٌ من المنتصر في طلبِ
رجل هَرَبَ في أيامِ المتوكل يُعرَفُ بفلان بن فلان ، ويُوَعِزُّ إلى
عَمالِ مصر والشام بأن يتلقَّوه بالتَّكْرِيمَةِ والتَّوَسُّعَةِ ، فيلحقَ
أَمِيرَ المؤمنين في حالِ تُشْبِيهِ محمَّله عنده »

فعدل النصراني بالمستحيث إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا
الهاربُ بالنصراني فقال : « أحسن اللهُ جزاءَكَ ا فقد أولَّيتَ غايةَ
الجميل ، وأحتاج إلى أن تأذن لي في دُخولِ الفُسطاط » ، فقال :
« يا هذا ! إن كنتَ استقصرتني ^(١) فأحتسب في مالي ، فإنني لا أَرُدُّ
أمرَكَ ، ولا أزيل عن حُكْمِكَ ، ولا تنأى عني » ، فقال له : « أنا
الرجلُ المطلوبُ بالفُسطاط ، وقد خلقتُ شَمَلاً جَمَّاً ونعمةً واسعةً ،
وإنما عدَلتُ بي الخوفُ على نفسي » ، فقال له : « ياسيدي ! فالمالُ
في يدِكَ ، وما عندكَ من الدوابِّ فأنتَ أعرفُ به مني ، فأحتسبُ فيه »
فأخذَ بغالا وما صلحَ لمثلِهِ ، وخرجَ النصراني معه ، وقدمَ كتاباً إلى
عاملِ المَعُونَةِ ^(٢) من مُستَقَرِّهِ « فتلقَّاه عاملُ المَعُونَةِ في بعضِ طريقِهِ ،
ووصَّاهُ وجميعَ العُمَـالِ بالنصراني . وصارَ إلى الحضرة ، فأصدرَ
إليهم الكُتُبَ في الوَصَاةِ به ؛ إلى أن قدمَ بعضُ العمالِ المُتَّجِرَةِ ، ^(٣)

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) عمل المَعُونَةِ كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يجعلون سلطان عملهم تجارة ، فيظلمون الناس

ليستكسبوا منهم

فتتبّع النصراني ورامّ الزيادة عليه ، فخرج إلى بغداد
قال لي هرون ، أن ياسين قال له ، أن النصراني حدّثه ، : أنه
دخل بغداد فلم يرَ بها أوفى محلاً وأكثر قاصداً منه
« ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير ، فخرج أكثرُ غلمانِه حتى
استقبلوني ، فلما رآني قام علي رجله ثم قال : « مرحباً بأستاذي
وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني » ، وأجلسني معه . وانكبَّ
عليّ ولده وشمّله ، وأنا أتأمل مواقع الإحسان من الأحرار .
وسألني عن حال في ضياعي ، فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه
في مجلسه ، فنظر إليه من كُنّا عنده وقال له : « كنتُ السبب في
تقليد أخيك ، فصار أكبر سبب في مسأاتي ! » . فكتب من مجلسه
كتاباً إليه بجمليّة الخبر وأنفذه . وأقتُ عنده حولا في أرغد عيشة .
وأعظم ترفّه . وورد عليّ كُتب أصحابي ، فخبروني بانصراف العامل
عن جميع ما كان اعترضَ عليه في أمري ، وأخرج أمرَ السلطان
في إسقاط أكثر خراج ضياعي ، والاقتصار بي علي يسير من مالها .
قال ياسين ، فكتب النصراني ببغداد حجة ^(١) أشهد فيها علي
نفسه أن أهمّمة في جميع الضياع التي في يده - وسمّاها وحدّها -
لهذا الرجل الذي كان هرب ، وصار بها إليه ، فقال له : « قد
سوغك الله هذه الضياع » ، ^(٢) فإني أراك أحق بها من سائر الناس ،

(١) الحجة : كتاب يكتب ليسكون وثيقة وحجة

(٢) سوغه الشيء ، أي : جعله له سائغاً سهلاً

فامتنع الرجلُ من ذلك ، وقال له : « عليك فيها عاداتٌ تُحسِّنُ
ذكرك ، وترُدُّ الأضغانَ عنك ، ولست أقطعُها بقبضِ هذه
الضياعِ عنك »

ورجع النصراني إلى الفسطاط بجُودِ الشهادةِ له فيها . فلما
توفي النصراني أقرَّها في يد أقاربه ، ولم ي زالوا معه بأفضل حالٍ



يحيى البرمكي
والفضل بن
سهل

٢١ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه ، قال :

« كان يحيى بن خالد بن برمك قد تبنى الفضل بن سهلٍ
وأجراه مُجَرِّى الوَلَدِ - ونظر إليه ولده بعينِ الأخر لهم - . فضمَّه
إلى المأمون . وكان يحيى بن خالد حَسَنَ المعرفة بالنجوم ،
والفضلُ بارِعاً فيها ، فاتفقا على ما تُرَجِّهُ النجوم في مُدَدِ البرامكة ^(١) ،
وتبييناً سعادةً تلتهمى إليها حالُ الفضل ، وكان كلُّ واحدٍ منهما
كالشاهد لما آتتهى إليه

وأوقع الرشيدُ بالبرامكة ، فاعتصم الفضلُ بمجَلِّه من خِدمة
المأمون ؛ وكانت يده تَعِجْزُ عَمَّا يُصْلِحُ يحيى وولده عند الرشيد ،
فوجه إليه : « سيدى ! قد كَرَبْنِي أَمْرُكَ ^(٢) ، ولست أُصِلُ إلى

(١) المدد : جمع مدة ، ويريد : مدد بقاء سلطان البرامكة

(٢) كربه الامر : ضيق عليه الكرب وشدده

حُسْنُ الدِّفَاعِ عَنْكَ ، فَأَحِلَّ ذِمَامَهُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ ^(١) ؛ فَإِنِّي أَرْجُو

أَنْ أَنْضِيَهُ عَنْكَ عِنْدَ أَنْتَهَائِي إِلَى سَعَادَتِي «

قال ابن أبي يعقوب : فحدثني أحمد بن أبي خالد الأحمول ،

قال : « أَتَّصَلَ بِي مِنْ ضَيْقٍ يَحْيِي مَا كَدَّرَ عَيْشِي . وَذَكَرْتُ

إِحْسَانَهُ إِلَيَّ ، وَحُسْنَ صَدِيقِهِ بِي ، فَضَاقَ بِيَ الْعَرِيضُ . وَوَجَدْتُ

مَا أَمْلَكُهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَقَسَمْتُهَا قِسْمَيْنِ ، وَحَمَلْتُ أَحَدَهُمَا ،

وَتَوَصَّلْتُ إِلَى الدَّخُولِ إِلَيْهِمْ فِي مَحْبِسِهِمْ ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيَّ يَحْيِي

ابن خالد ، فَقَالَ لِي : « لَيْسَ يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَعْرُكَ مِنْ أَنْفُسِنَا ،

وَلَا أَنْ نَعِدَّكَ عَنَا مَا لَا تَفِي بِهِ الْأَيَّامُ لَكَ ، وَقَدْ أَنْتَهَى أَمْرُنَا ،

فَإِنْ كُنْتَ تُقَدِّرُ أَنْ أَحْوَالِنَا تَصَاحُ فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ مَا لَكَ » ،

فَقُلْتُ : « مَا ذَهَبْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا لِقَضَاءِ بَعْضِ الْحَقِّ عَنِّي » . فَأَخَذَ

بِیضَاءَ ^(٢) فَكَتَبَ فِيهَا : « يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَيْدِكَ اللَّهُ ! هَذَا رَجُلٌ

خَلَصَ عَلَى تَجْرِيقِنَا ^(٣) ، وَأَحْسَنَ بِنَا مَعَ اسْتِحْكَامِ يَأْسِهِ مِنَّا ، وَأَنَا

أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ ، وَأَرْغُبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ عَنِّي ، وَتَخْفِيفِ ثِقَلِهِ

عَلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَوْنَكَ ، وَكَفَاكَ مَا أَعْجَزَكَ » . ثُمَّ ثَنَّاها وَقَطَعَهَا

عَرْضًا بِقِطْعَتَيْنِ ، وَقَالَ لِي : « احْفَظْ هَذَا النُّصْفَ مَعَكَ ، وَلَا

تَهْرُطْ فِيهِ فَيَفُوتَكَ حَظٌّ كَبِيرٌ » ،

(١) الذمام : العهد والميثاق ، وأحل الذمام : جعله حلالا لا يلتزم

عهده وشرطه

(٢) يريد : ورقة بيضاء

(٣) خلاص على التجربة ، أي : تبين إخلاصه بعد التجربة والمحنة

ثم فرق ذلك المال في قوم ضُفِّتْ أحوالهم بما لحقه ،
وانصرفت من عنده وقد آيسنى من رجوع حاله ، وأعطاني
نصف رُقعة لا أقف على ما توصل إليه . وتَقَضَّى أمرهم ^(١) ،
ومات الرشيد بطوس ، وغلب الفضل بن سهل على المأمون
بخراسان ، وخلفه على جميع أمره ، وشَجَرَ الأمر بين الأمين
والمأمون ^(٢) ، فظهر المأمون عليه ^(٣) ، وصَحَّت وزارة الفضل
ابن سهل للمأمون ، ووردت بادرَةُ المأمون ^(٤) بذلك إلى سائر
النواحي . وطالت عُنْطاتي ، واشتَدَّتْ فاقتي ، وفقدت من كان
يُؤَثِّرُنِي وينعاشُ إليَّ ^(٥)

فإني لجالس في منزلي - في يوم قد أعوزني فيه قوتُ يومى ،
وعلى ثوب خَاقٍ ، وليس لى إلا خِلعة أركبُ فيها - حتى دخل
إلى غلامى فقال : « بالباب جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين ا » ،
فلبستُ ثيابَ رُكوبى ، وأذِنتُ لهم ، وتقدّمهم رئيس لهم تبيللت
إعظامى في نفسه ، فقال : « الأمير طاهر يسألك المسيرَ إليه » .
فتمضتُ ، فلما دخلتُ قَدَمْنى وأعْظَمْنى وقال : « ورد كتابُ الوزير
أيده الله علىَّ في حملك إلى حضرته على حالٍ تَكْرِمَةٍ ، ومعك

(١) تقضى أمرهم : انتهى وانقضى

(٢) شجر الأمر بين الصديقين : إذا اختلفا وتنازعا وتشاجرا

(٣) ظهر عليه : غلبه وفاز به

(٤) البادرة : أوائل من يأتى بالأخبار والبشرى

(٥) انعاش إليه ، يريد : اكثرت له ، أو اجتمع إليه .

نصفُ الرُّقعة التي دفعها إليك يحيى بن خالد ، وأمرني بدفع ألفي دينار إليك لحُمولتك ومُخلفيك^(١) ،

فَقَوَيْتُ نَفْسِي ، وَاَنْفَسَحَ رَجَائِي ، وَخَرَجْتُ بِمَدِّ قَبْضِ الْمَالِ
مَعَ رَسُولِ طَاهِرٍ . فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ، لَقِينِي بِأَجْمَلِ
لِقَاءٍ ، وَسَأَلَنِي عَنْ نَصْفِ الرُّقْعَةِ فَأَحْضَرْتُهَا ، ثُمَّ أَمَرَ إِلَى بَعْضِ
خَاصَّتِهِ شَيْئًا ، فَمَضَى ، وَجَاءَ بِرُقْعَةٍ فَوَصَلَهَا بِهَا فَسَكَمْتُ ، فَلَمَّا اسْتَمْتَمَ
قِرَاءَتَهَا بَكَى ، ثُمَّ قَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْعَبَّاسِ ! فَمَا كَانَ أَعْرِفَهُ
بِتَصْرِيفِ الْأَيَّامِ ، وَاسْتِدْعَاءِ الشُّكْرِ فِيهَا ، وَالتَّحْزِينِ مِنَ الذَّمِّ
بِهَا ! »^(٢)

ثُمَّ أَدَخَلَنِي إِلَى الْمَأْمُونِ ، وَوَكَدَ أَمْرِي عِنْدَهُ^(٣) ، حَتَّى بَلَغْتُ
مَعَهُ إِلَى أَخْصِّ أَحْوَالِ كِتَابِهِ ، وَمَنْ وَثِقَ بِهِ فِي مُهِمِّ أَمْرِهِ »

٢٢ — وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ الْمُتَطَبِّبُ الْمَعْرُوفُ بِالْدِيدَانِ - وَكَانَ
عَلَى الْمُتَطَبِّبِ
وَوَلَدَ
أَفْلَاطُونِ
حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بَكْتُبِ أَفْلَاطُونِ وَرُمُوزِهِ ، وَمَبْرُزٍ فِي الطَّبِّ - ،
قَالَ :

« خَرَجْتُ مَعَ رَجُلٍ - يُعْرِفُ بَابْنَ بَرُوحٍ - مِنْ قَوَادِ السُّلْطَانِ إِلَى

(١) الحِمْلَةُ : مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْقَاعِدُ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَالْمُخْلِفُونَ ، يَرِيدُ :

أَهْلَهُ الَّذِينَ يَخْلِفُهُمْ وَرَاءَهُ

(٢) تَحْزِينٌ مِنَ الذَّمِّ : تَنْهَجِي عَنْهُ وَتَأْخِرُ

(٣) وَوَكَدَهُ وَوَكَّدَهُ : أَوْثَقَهُ

طَرَسُوس ، فغنم سُبُيا كثيراً ^(١) ، وكان السَّبْيُ في دارِ خرابٍ في
الموضع الذي نزلَ فيه ، فدخلتُ لتأمله ؛ فوجدتُ في السَّبْيِ شاباً
حسنَ الصورة جميلَ السمْتِ ^(٢) ، وأكثرُ السَّبْيِ حوله ، ومكانه
منهم مكانُ المولى من المماليك : يتسرعون إلى جميع ما أومى إليه ،
ويكفون أخذَه بنفسه . فكلّمتُ فيه بعضَ السَّبْيِ وسألتُه عنه ، فقال
لى : « هذا من ولد أفلاطون ا » ، فارتحلتُ إليه لانتفاعي بجَدِّه ،
ودخلتُ إلى ابن بروخ فقلت : « هب لى من هذا السَّبْيِ غلاماً » ،
فقال لى : « خُذْهُ »

فدعوتُ بَغْلَامٍ يشتمل على أمرى ^(٣) ، ووصفتُ له الشابُ
الذى في السَّبْيِ ، وقلت له : « إذا سلَّه إليك غلامُ ابنِ بروخ
فأطعمه ممَّا أعددتَ من طعامى ، وألبسه من فاخِرِ ثيابى ، وطيبه
ومكَّنه من مجلسى إلى أن أنصرفَ إليكم » . وتشاغلْتُ بأُمُور ابنِ
بروخ إلى آخر النهار ، وأنصرفتُ ، فوجدتُه على الهيئَةِ التى
آثرتُها ، ورامَ منى ما يفعله غُلَامَانِ من الوقوف ، فننعتُه من ذلك ،
فقال لى بالرومية : « ياسيدى ! ما الذى وعدتُك به نفسك مِنِّى ؟
فإن كان عندى بذلُّه لك وكنتَ حقيقاً به ، وإن لم يكن لدى
صدَّقْتُكَ عنه ، ولم أتغنم منك ما لا يشبهنى تغنُّمُه » ^(٤) ، فقلت له :

(١) السبى : الأسرى من العدو

(٢) السمْت : الهيئة والمنظر والحركة

(٣) يشتمل على أمره : يخدمه فى جميع أمره ويحوطه

(٤) تغنم الشيء : طلب أن يجعله غنيمه بغير جهد

« قد اقتبسنا من جدك أنواراً أحسن بها أثره علينا ، ووجب علينا بها
وِقَايَتُكَ بَأَنفُسِنَا » ، فقال : « والله إنَّ الطَّبَاعَ التي لَأَسْلَافِنَا معنا ،
ولكننا شغلناها في رَعْيِ الخنازير ، فبَسَعْدَتْ بها مَن قَرَّبْتَنِي له ،
وأكرمْتَنِي بسببِهِ »

تُخِيرَتُهُ بين الدخول معي إلى مصر ، على أن أَشَاطِرَهُ مِلْكِي .
وعيشي ، أو أحتالَ له في رَدِّه إلى بلده ؟ فاختار رَدَّهُ إلى بلده .
فلَطَفْتُ له ^(١) - بإِنفَازِ بعض من أُنقِ به مع الرُّسُلِ المتوجِّهين معه - حتى .
وَصَلَ إلى بلده »

٢٣ - وكانت تَلْتَابُ عَجَائِزَنَا ^(٢) عجوزٌ جميلةُ المذهب ، ضعيفةُ
الحال - تُعرَفُ بِأَمِّ مُحَمَّدٍ - ، فيجتمَعُنَّ على كُلِّ صالِحَةٍ ، وكنت
أُخَصِّمُها بِكُفَايَتِهَا . فلَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِصْرَ ، نَزَلَ في
ظَاهِرِهَا ، واستَدْعَى الواحدَ بعدَ الواحدِ من أسبابِ الطُّولُونِيَّةِ ^(٣) ،
فاستَصَفَى مَالَهُ بِالسُّوْطِ وعَظِيمِ الإِخَاقَةِ ^(٤) ، فَرَاغَنِي أَمْرُهُ ، وخَفْتُ
أن يَلْحَقَنِي عَسْفُهُ

محمد بن سليمان
والمؤلف

(١) لطف له وبه . ترفق

(٢) انتاب القوم : إذا قصدهم ، وأتاهم مرة بعد مرة

(٣) الأسباب : الموَدَّات ، ويريد أصدقاء بني طولون الذين يمدون

إليهم بسبب

(٤) استصفي مال الرجل : استخلصه وأخذ صفوه ، واستخرج

أكثره

فإني لجالس في يوم من الأيام وأنا غائب ، حتى دخلت جارية
أم محمد العجوز ، فسألت عليّ ، فظننتها والله تقتضي بعض
ما عودتها ، فقالت : « سيدي أم محمد تقرأ عليك السلام وتقول :
« جاءني الساعة رسول ابن عمي وسيدي أبي عليّ محمد بن سليمان
يسأل عني فعرفته أني كنت في كفايتك » ، والرسول عليّ الباب
يريد الوصول إليك » ، فقلت : « يدخل »

فدخل شاب حسن الصورة يُعرف بناشي ، فقال : « جزاك
الله خيراً ! فقد وصفتك أبنه عم سيدي بما أرجو أن يحسن أقره
عليك » . ودعا بأصحاب الأرباع ، فتقدم إليهم بأن يمتنعوا من
تعريضني ، فعرضت عليه برأ فقال : « وأى بر أكثر مما أتيتك
إلينا ؟ » ، وانصرف عنا

فرجع إلى ناشي هذا برقة بخط ابن سليمان : « سر إلينا لننظر في
أمرك ، ونبلغ فيه محبتك ، فإني أرعى لك متقدّم حرمتك ، ووَكيد
أسبابك ، إن شاء الله » . وما لحقني منه شيء أكرهه حتى انصرف
عن البلد

٢٤ — وكان أبو الفياض سوار بن أبي مُرَاعَة الشاعر صديقاً ابن أبي شراعة
والمؤلف

لي ، ومائلا إلى ، فلما اعتزم على الرجوع إلى العراق ، سألتني أن
أكتب له شيئاً من شعري ، فكتبته له مقدار خمسين ورقة منه ،
وكان يستحسنه ويُعجب به . فصار إلى بغداد وعرضه على جماعة

الأحرار^(١)، وأحسن وصفي لهم بسلامة مذهبه ، وطهارة نيته
 ودخل محمد بن سليمان مصر ، وقد رُدَّ البريدُ بها إلى
 أبي عبيد الله أحمد بن صالح ، فسأله عند دخوله إيَّاهَا عن أحمد
 ابن يوسف ، فأحضر أحمد بن يوسف — كاتباً كان لأحمد بن
 وصيف ، ولآبَن الجصاص بعده — ، فقال له : « تعرف
 أبا الفيَّاض ؟ » ، قال : « لا ! » . فقال لهم : « ليس هذا الرجل
 الذى طلبتُ » ، فأحضرتُ ، فلما رآنى استَشَرَفَ إلى^(٢) ، وقال :
 « تعرف أبا الفيَّاض ؟ » ، فقلت : « ذَكَرَكَ اللهُ وإيَّاه بكلِّ
 صالحةٍ ! نعم أعرفه ، وكان خِلاً لى ! » ، فقال : « هل أنشدك
 من شعره ؟ » :

ظَلَّلْنَا بِهَا نَسْتَنْزِلُ الدَّنَّ صَفْوَه

فَيَسْنِزِلُ أَقْبَاً بِغَيْرِ لَهَبٍ

قلت : « لا ياسيدى ! ولكنى أنشدته إيَّاه من شِعْرِى ! » ،
 فضحك وقال : « والله لقد اشتَقْتُ إلى الدخولِ إلى مصر من
 أجلك ! » . وكان والله أفضلَ عَوْن لى على أمورى

٢٥ — وحدثنى أحمد بن سقلاب ، قال :

« كان بمصر رجلٌ من الفقهاء مشهورُ الإِسْم ، وله حَلَقَةٌ

علائق بن
المغيرة وقتيه

(١) الأحرار : الأشراف والأفاضل ، جمع حر

(٢) استَشَرَفَ إليه : تطاول وتطلع إليه ، ثم خرج إلى لقائه

عظيمة بالجامع . فبينما هو في صدرها إذ وَاَقَى عَلَّانُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ^(١) ،
فلما رآه مقبلاً نحوه قام إليه على رجليه ، ثم خطا إليه حتى لَقِيَهُ .
فَأَكْثَرَتِ الْجَمَاعَةُ قِيَامَ شَيْخٍ مِثْلِهِ إِلَى حَدَثٍ ^(٢) مِثْلِ عَلَّانِ ،
وتَحَقَّقَ بِهِ ، وَعَرَّضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُ شَيْئاً يَفْعَلُهُ تَابِعٌ
بِمَتَّبَعٍ إِلَّا بِذَلِكَ ، وَأَسْرَرْنَا الْمَوْجِدَةَ عَلَيْهِ ^(٣) . فلما قام عَلَّانُ
قال لجماعتنا : « ما أعلمني بما أضمرتم ! ولكني أرىكم عُذْرِي فيما
خرجتُ إليه :

« كانت عندي أَلْفُ دِينَارٍ وَدِيعَةٌ لِرَجُلٍ بِالْمَغْرِبِ قَدْ طَالَ مُقَامُهَا ،
وَطَالَبَ زَوْجُ ابْنَتِي بِادْخَالِ اسْرَأْتِهِ عَلَيْهِ ، فَجَاسَتْ أُمُّهَا بِحَضْرَتِي
فَقَالَتْ لِي : « ما الذي تراه فيما قد أُلْحَ فِيهِ هَذَا الرَّجُلُ ؟ » ، فَقُلْتُ
لَهَا : « نَسْتَعْمِلُ فِيهِ التَّجْوُزَ » ^(٤) ، فَقَالَتْ لِي : « لَنَا حُسَّادٌ نَخَافُ
شِمَاتِهِمْ ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى التَّجَمُّلِ » ، فَقُلْتُ : « إِنْ كَانَ
مَا تُرِيدِينَ فِي قَدَرْتِي لَمْ أَبْخُلْ بِهِ عَلَيْكُمْ » . قَالَتْ : « هُوَ فِي قُدْرَتِكَ ! »
قُلْتُ : « مَا هُوَ ؟ » ، قَالَتْ : « تَمَكَّنْتُ مِنْ هَذِهِ الْوَدِيعَةِ ، وَنَحْتَاطُ
فِيهَا نَتِيعَهُ مِنَ الْجَهَازِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْنَا ثَمَنُهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ أُرَدُّنَاهُ ،
وَنُدْخِلُ هَذِهِ الصَّبِيَّةَ عَلَى زَوْجِهَا . فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ بِعُنَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « ابْنُ عَلَّانِ بْنِ الْمَغِيرَةِ » ، ثُمَّ ذَكَرَهُ فَقَالَ . « عَلَّانُ »

(٢) الْحَدِيثُ : الْحَدِيثُ السَّنُ الصَّغِيرُ

(٣) الْمَوْجِدَةُ : الْغَضَبُ الْمَكْتُومُ

(٤) التَّجْوُزُ : التَّسَاهُلُ

ما آسَرنَاهُ ولم نُوضَعْ فيه ^(١) إِلَّا مَا يسهل علينا غَرْمُهُ ، قلت :
« هذا قبيح عند الله وعند خلقه ! » . فلم تزل تلجج بي وتحتال
عليّ ، حتى أجبتها . ففهرت آبتها بجميع المال ، وأدخلتها
على زوجها

فلم يمض بنا بعد ذلك إلا شهران حتى وافى صاحبُ الوديعة
يطلبُها ، فقالت لها « ما تفعلين ؟ » ، فقالت : « أَمْضِي فَأَحِلَّ الْمَتَاعَ
وَأَبِيعْهُ » . فمضت إلى ابنتها ورجعت إلى . فقالت : « لَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ
بهذا المتاع ، فقد حالف زوجها بطلاقها أنه لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ
عن منزله » ، فَسَقَطَ فِي يَدَيَّ ^(٢) . ورأيتُ الفضيحةَ في الدَّارَيْنِ
متصديّةً لي : فَوَضَعَ إِفْطَارِي بَيْنَ يَدَيَّ فلم أَطْعَمْ ، وَأَعْتَرَانِي
ما خفتُ منه على عَقْلِي ، وَبُتُّ بِإِيلَةِ مَا بُتُّ بِمِثْلِهَا ، وَأَنَا أَتَبِينَ سَهْوَةَ
ذلك على زوجتي في حَنْبٍ مَا أَحْرَزْتَهُ لِبَنَتِهَا . ثم أَنْتَبَهْتُ قَبْلَ
الفجرِ بِمَنَازِلَ ، فَصَحْتُ بِالْغَلَامِ « أَسْرِجْ لِي ! » ، فَقَامَ ^(٣)
وَأَسْرِجَ ، وَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَيْنَ تَمْضِي ؟ » ، فقالت : « لَيْسَ
لَكَ الْإِعْتِرَاضُ عَلَيَّ »

وَرَكِبْتُ وَسِرْتُ بِطَوْعِ عِنَانِي ، فلم يزل يَغْلِي يسير حتى دخلتُ

(١) أَوْضَعَ فِي الْمَسَالِ (بِالْبِنَاءِ لِلْجَهْوَلِ) : وَكَسَ وَغَابَ وَخَسِرَ
(٢) سَقَطَ فِي يَدَيْهِ : (بِالْبِنَاءِ لِلْجَهْوَلِ) : إِذَا زَلَّ الرَّجُلُ وَأَخْطَأَ فَزَدَمَ
عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ
(٣) أَسْرِجْ لَهُ : أَيِ وَضَعَ عَلَى الدَّابَّةِ سَرَجَهَا

فُتِحَ عِلَّانُ بَنِ الْمَغِيرَةِ ، فَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَصَاحَ الْغِلَامُ
بِالْبَوَّابِ وَعَرَّفَهُ بِمَوْضِعِي . فَسَمِعْتُ حَرَكَةً فِي دَارِهِ ، ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ
وَأُذِنَ لِي بِالْدُخُولِ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ شَمْعَةً وَهُوَ
يَكْتُبُ جَوَابَاتِ كُتُبٍ وَكَلَامِهِ . فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَامَ إِلَيَّ ، وَقَالَ لِمَنْ
حَضَرَهُ مِنَ الْغِلْمَانِ ، « تَنَحَّوْا ! » ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ
بَعَثْتَ إِلَى لَسْرَتِ إِلَيْكَ وَلَمْ أُجِشُّمَكَ السَّعَى إِلَيَّ ، فَاشْرَحْ لِي أَمْرَكَ » ،
فَعَلَبَتْنِي الْعَهْرَةُ وَحَالَاتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فَمَا زَالَ يُسَكِّنُنِي حَتَّى
تَنَصَّصْتُ لَهُ [نِفَاقَ الْوَدِيعَةِ ^(١)] ، وَهُوَ مَغْمُومٌ بِأَمْرِي . ثُمَّ قَالَ :
« فِكُمْ هَذِهِ الْوَدِيعَةُ ؟ » ، فَقُلْتُ « أَلْفُ دِينَارٍ ! » ، فَمَضَحَكَ ، وَقَالَ :
« فَرَجَتْ وَاللَّهِ عَنِّي ! مَا تَوَسَّيْتُ أَنْي أَمْلِكُهَا ^(٢) » ، فَكَانَ الْغَمُّ يَقَعُ
بِهَا ، فَأَمَّا وَهِيَ فِي الْقُدْرَةِ فَمَا أَسْهَلَهَا عَلَيَّ ، وَأَخَفَّهَا لَدِي ! » ، ثُمَّ قَالَ
لِغِلَامِهِ : « جِئْنِي بِتِلْكَ الصَّرَارِ ^(٣) الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَغْرِبِ فِي
هَذَا الشَّهْرِ » ، فَجَاءَ بِأَرْبَعِ صِرَارٍ فَنَظَرَ فِيهَا عَلَيْهَا وَجَمَعَهُ وَقَالَ :
« هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ وَخَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ ، أَلْفٌ لِلْوَدِيعَةِ ، وَخَمْسُ مِائَةِ
تَصْلِحُ بِهَا مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ عِنْدَكَ » ، ثُمَّ قَالَ لِي : « مَتَى أَشْكُرُ
إِفْرَادَكَ إِيَّايَ - بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَهُ - بِتَأْمِيلِي فِي حَادِثَةٍ
حَدَّثْتَ عَلَيَّكَ ، فَأَعَانِي اللَّهُ عَلَى مَكَافَأَتِكَ ؟ » . وَأَضَافَ إِلَيَّ مِنْ
خَفَرَنِي إِلَى مَنْزِلِي .

(١) نص الحديث إلى فلان : رفعه إليه وأظهره

(٢) توسم الشيء : توهمه وتخيله

(٣) الصرار : جمع صرة ، وهي التي تصر فيها الدراهم

فَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ : « قَدْ سَمِعْنَا عُنْدَكَ ، وَعَلَيْنَا عَهْدُ اللَّهِ إِنَّ لَقِينَاهُ .
أَبْدَأُ إِلَّا قِيَامًا »

الطالبي ووالد
المؤلف

٣٦ - وَبَعَثَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ - فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُؤْتَى فِيهَا
يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي - بِخَدَمٍ فَهَجَمُوا الدَّارَ ^(١) ، وَطَالَبُوا
بِكُتُبِهِ : مُقَدِّرِينَ أَنْ يَجِدُوا فِيهَا كِتَابًا يَمْنُ بِبَغْدَادَ . فَحَمَلُوا صَنْدُوقَيْنِ
وَقَبَضُوا عَلَى وَعَلَى أَخِي ، وَصَارُوا بَنَّا إِلَى دَارِهِ . وَأَدْخَلْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ
فِيهَا جَالِسٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ الطَّالِبِينَ . فَأَمَرَ بِفَتْحِ
أَحَدِ الصَّنَدُوقَيْنِ ، وَأَدْخَلَ خَادِمٌ ^[يَدُهُ] ، فَوَقَعَ دَفْتَرُ جَرَائِئِهِ
عَلَى الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ . فَأَخَذَ الدَّفْتَرَ بِيَدِهِ وَتَصَفَّحَهُ - وَكَانَ جَيِّدَ
الِاسْتِخْرَاجِ - فَوَجَدَ اسْمَ الطَّالِبِيِّ فِي الْجِرَايَةِ ، فَقَالَ لَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ :
« كَانَتْ عَلَيْكَ جِرَايَةُ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؟ » ، فَقَالَ ^[لَهُ] : « نَعَمْ ! »
أُثْبِتُهَا الْأَمِيرُ ! » ، دَخَلَتْ هَذَا الْبَلَدَ وَأَنَا مُمْلِقٌ ^(٢) ، فَأَجْرَى عَلَى فِي
كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِي دِينَارٍ وَمَائَتِي إِرْدَبَّ قَمْحٍ ، أُسُوءَ بَابِنِي الْأَرْقُطِ
وَالْعَقِيقِ وَغَيْرِهِمَا . ثُمَّ أَمْتَنَّتْ يَدَايَ بِطُولِ الْأَمِيرِ ^(٣) فَاسْتَعْفَيْتُهُ
مِنْهَا ، فَقَالَ لِي : « نَشَدْتُكَ اللَّهَ إِنْ قَطَعْتَ سَبَبًا لِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ! » ، وَتَدَمَّعَ الطَّالِبِيُّ ^(٤) ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ

(١) هجم الدار : دخلها بغتة بغير إذن

(٢) أملق الرجل فهو مملق : نفذ ماله فهو فقير

(٣) امتنت يده بكذا : اتصلت . والطول : الفضل والإحسان

(٤) تدمع : أي سالت دمعته وبكى ، ولم يوجد في اللغة ، ولكنه

كثير في كتب عصر ابن طولون

طولون : « يرحمُ الله يوسف بن إبراهيم ! ». ثم قال لنا : « انصرفوا إلى منازلكم ، لا بأس عليكم »

فانصرفنا فاحققنا جنازة والدنا ، وحضّرنا العلوى وقد أحسن مكافأة والدنا في مُخلفيه

٢٧ - وحدثني موسى بن مُصلح ، قال :
 أنفذ إلى حسن بن مهاجر - كاتب أحمد بن طولون - عشرة رجال من التجار

من التجار ، وقال : آتَقِلْهُمْ بِمَعَزِلٍ عن المسجونين ، حتى أعْرِضْهُمْ في عَدِ على الأمير . فتسلمت منه قوماً تشهد لهم القلوب بالفضل ، فآنستُ وَحَشَتَهُمْ ، وَفَسَحْتُ رِجَاءَهُمْ . فقالوا لي : « قد شكرنا جميل صديعك ، ولنا إليك حاجة » ، قلت : « ماهي ؟ » ، قالوا : « فينا فتى يضعف قلبه عن لقاء الأمير ، فتقبل مِنَّا بدلاً به ، ولك علينا مائة دينار » ، قلت : « أنا أفعل ، إن وجدتم من يُجيب إلى هذا » . وكان عندي أنه كالممتنع - فأخذ شيخ منهم رُقعةً وكتب فيها إلى رجلٍ كان قد أولاه عارفةً ، فسأله ذلك ، فأجابه الرجل : « إني بإثر رُقعتي »

قال موسى : « فتوهَّمتُ أن هذا قولٌ لا ثمرة له ، فلم أشعر به حتى وَاثَى فقال : « ما أخّرني عنك إلا أتى جدّدت وصيةً ، وأحكمتُ ما خُفّت أن يقطعني عنه مادَعَوْتَنِي إليه » ، وقال : « لست أُجيبك إلى ما التمسْتِ ، حتى تكون المائة الدينار من عندي دون جماعتكم » ،

وأخرجها من كُفِّهِ ودفعها إلى ، وصرفتُ الرجل . وأقامَ هذا مكانه ، فلم أتبيّن منه غمًّا بهذا ولا قلقاً له . وظلُّوا إليّهم يتحدّثون ويتناشدون ، والسلامةُ غالبيةٌ على خواطرهم ، حتى أصبحوا . وأخرجهم حسن بن مُهاجر فعرضهم على أحمد بن طولون ، فتبيّن تحامُّله عليهم ، فأمره بترك التعرّض لهم . فأنصرفوا . وكانت أُلطافهم تَرِدُ عَلَيَّ حتى فَقَدْتهم ^(١)

٢٨ - وحدثني أحمد بن أيمن كاتب أحمد بن طولون ، قال : « دخلتُ بالبصرة إلى تاجر ذَهَبَ عَنِّي اسمُهُ ، فرأيتُ بين يديه ابنين له في نهاية من النظافة ، فلما رآني أقبل بنظري إليهما ، قال لي : « أَحَبُّ أَنْ تُعَوِّذَهُمَا ^(٢) » ، ففعلتُ ، وقلتُ له : « استجذبت الأمَّ فَحَسَنَ نَسْلُكَ ! » ، فقال : « ما بالبصرة أقبحُ من أمّهما ، ولا أحبُّ إلى منها . ولها معي خبر عجيب » ، فسألته أن يُحدِّثنيهِ ، فقال :

تاجر
وزوجته

« كنت أنزل الأُبُلَّةَ وَأَنَا مُتَعَمِّشٌ ^(٣) ، فحملتُ منها تجارةً إلى البصرة فربحتُ ، وحمَلْتُ من البصرة إلى الأُبُلَّةِ فربحتُ ولم أزلُ أحمل من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر ، حتى كُثِرَ مالي ، وتعلّم الناس إقبالي ، وآثَرْتُ السُّكْنَى بالبصرة ، وعلمتُ أنه لا يحسن بي

(١) الألفاظ : جمع لطف ، وهي الهدية والتحفة

(٢) عقّذه من العين والحسد ، قال : « أعينك بالله وأسمائه من كل

ذى شر وكل داء وحاسد وعين »

(٣) المتعيش : الذي يتكلف أسباب المعيشة بالقليل من العمل والتجارة

المقام بها بغير زوجة ، ولم يكن بها أجل قدرأ من جد هذين الغلامين .
 وكانت له بنت قد عَضَلَهَا ، ^(١) وتعرض لعداوة خطابها . فحدثتني
 نفسي بلاقائه فيها ، فجئته على خلوة ، وقلت له : « يا عم ! أنا فلان بن
 فلان التاجر » ، فقال : « ما خفي عني محلك ومحل أبيك ! » ، فقلت :
 « قد جئتكم خاطباً لا بعتك » ، فقال : « والله ما بي عنك رغبة ، ولقد
 خطبها إلى جماعة من وجوه البصرة وما أجبتهم ، وإني لكاره من
 إخراجها عن حضي إلى من يُقَوِّمها تقويم العبيد » ^(٢) ، فقلت : « قد
 رفعها الله عن هذا الموضع ، وأنا أسألك أن تُدْخِلَنِي فِي عَدَدِكَ ،
 وَتَخْلُطَنِي بِشَمْلِكَ » ، فقال : « ولا بُدَّ من هذا ! » ، قلت : « لا بُدَّ ،
 وهو زائد في فضلك علي ، واصطناعك إياي » ، فقال : « اغد علي
 بِرِجَالِكَ » .

فانصرفْتُ عنه إلى مَلَأٍ مِنَ التَّجَارِ ذَوِي أخطارٍ ، ^(٣) فسألتهم
 الحضورَ مَعِيَ فِي غَدٍ ، فقالوا : « إِنَّكَ لَتُخَرِّكُنَا إِلَى سَعْيٍ ضَائِعٍ » ،
 قلت : « لا بُدَّ من ركوبكم مَعِيَ » . فركبوا على رِقَّةٍ من أَنَّهُ يَرُدُّهُمْ ،
 وَغَدَوْنَا عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ وَزَوَّجَنِي ، وَأَطْعَمَ الْقَوْمَ وَنَحَرَ لَهُمْ ،
 وَانصرفوا

ثم قال لي : « إِنْ شِئْتَ أَنْ تَبَيِّتَ بِأَهْلِكَ فَأَفْعَلْ ، فَلَيْسَ لَهَا

(١) عضل المرأة : حبسها ومنعها الزوج

(٢) قوم السلعة والعبد : قدر قيمتها في الشراء والبيع

(٣) المَلَأُ : الرؤساء وأشرف القوم ووجوههم . والَاخطار : جمع

خطر ، وهو القدر والمنزلة الرفيعة

ما يحتاج إلى التلوم عليه ^(١) ، فقالت : « هذا يا سيدي ما أحبه » . فلم يزل يحدثني بكل حسن حتى كانت المغرب ، فصلاًها بي ، ثم سبّح وسبّحت ، ودعا ودعوت ، إلى أن كانت العتمة فصلاًها ^(٢) بي ، وأخذ بيدي . فأدخلني إلى دارٍ قد فُرِشت بأحسن فرشَةٍ ، بها خدّهم وجوّارٍ في نهاية من النظافة ، فما استقرّ بي الجلوس حتى نهَض ، وقال : « أستودعك الله ، وقدّم الله لكما الخيرة ، وأحرز التوفيق » . واكتنفتني عجائزٌ من شمله ، فجُلُون ابنته على ^(٣) . فما تأملت طائلاً وأرختِ الستورَ علينا ، فقالت : « يا سيدي ! إني سرٌّ من أسرارِ والدي ، كتمه عن سائر الناس وأفضى به إليك ، وراك أملاً لسُتْره عليه ، فلا تُخفِظْنه فيه . ولو كان الذي يُطلب من الزوجة حُسنُ صورتها دون حسن تدبيرها وعفّاؤها ، لعظمت محنتي . وأرجو أن يكونَ معيَ منهما أكثرُ ما قَصَر بي في حُسن الصورة » ثم وثبت فجاءت بمالٍ في كيسٍ ، فقالت : « يا سيدي ! قد أحلَّ الله لك معي ثلاثَ حرائرَ وما آثرتهُ من الإماء ^(٤) ، وقد سوَّغْتُكَ تزوّج الثلاثَ وابتاع الجوارى من مالِ هذا الكيس ، فقد أوقفتهُ .

(١) تلوم على الشيء : انتظر وقلبت

(٢) العتمة : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، وهو وقت صلاة

العشاء . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تسمية صلاة العشاء « العتمة » .

(٣) جلا العروس على بعلها يجلوها : زينها وصقلها وأدخلها عليه ،

وذلك « جلوة العروس » ،

(٤) الحرائر : جمع حرة ، وهي المرأة التي لم يجر عليها الرق ، فتكون

أمة ، وهي المملوكة ، وجمعها إماء

على شَهَوَاتِكَ ، وَلَسْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَّا سَتْرِي فَقَطْ »

فَقَالَ لِي أَحْمَدُ : خَلَفَ لِي النَّاجِرُ : « إِنَّهَا مَلَكَتْ قَلْبِي مَلَكًا لَمْ
تَصِلْ إِلَيْهِ حَسَنَةٌ بِحُسْنِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : جِزَاءُ مَا قَدَّمْتَنِي مَا تَسْمَعِيهِ ^(١)
مَعْنَى : « وَاللَّهِ لَا أَصِيبُ مِنْ غَيْرِكَ أَبَدًا ، وَلَا جَعَلْتُكَ حَظِّي مِنْ دُنْيَايَ
فِيمَا يُؤْثِرُهُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ » ، وَكَانَتْ أَشْفَقَ النِّسَاءِ ، وَأَضْبَطَهُمْ ،
وَأَحْسَنَهُمْ تَدْبِيرًا فِيمَا تَتَوَلَّاهُ بِمَنْزِلِي ، فَتَبَيَّنَتْ وَقُوعَ الْخَيْرَةِ فِي ذَلِكَ .
وَلَحَقْتَنِي السَّنُّ ، ^(٢) فَصَارَتْ حَاجَتِي إِلَى الصَّوَابِ أَكْثَرَ مِنْهَا إِلَى
الْجَمَاعِ . وَشَكَرَ اللَّهُ لِي مَا تَلَقَّيْتُ بِهِ جَمِيلَ قَوْلِهَا ، وَحُسْنَ فَعْلِهَا ، فَرَزَقَنِي
مِنْهَا هَذَيْنِ الْاِبْنَيْنِ الرَّائِعَيْنِ لَكَ ، وَنَحْنُ مَنقُطِعُونَ إِلَى جُودِهِ فِينَا ،
وَأِحْسَانِهِ إِلَيْنَا »

هرثمة بن أعين
والرشيد

٣٩ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ قَالَ :

« أَنْكَرَ الْمَهْدِي عَلَى هَرْثِمَةَ بْنِ أَعِينَ تَحَكُّمَهُ بِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ ، وَأَمْرَ
بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، فَكَلَّمَهُ الرَّشِيدُ فِيهِ ، وَأَسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ
عَلَيْهِ ^(٣) . وَمَاتَ مَعْنٌ ، وَزَادَتْ حَالُ هَرْثِمَةَ ، وَشَكَرَ لِلرَّشِيدِ مَا كَانَ
مِنْهُ ، وَأَفْضَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى مُوسَى الْهَادِي ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُ هَرْثِمَةُ .

(١) هَذَا حِكَايَةُ قَوْلِ النَّاجِرِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَبْدَلْ مَا فِيهِ مِنَ اللَّحْنِ وَالخَطَا ،
وَسَيَمُرُ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ

(٢) لِحَقَّتْهُ السَّنُّ : أَدْرَكَهُ الْكِبَرُ فِي السِّنِّ الْعَالِيَةِ

(٣) السَّخِيمَةُ : الْغَضَبُ وَالْمَوْجِدَةُ فِي النَّفْسِ . وَاسْتَلَّهَا وَسَلَّهَا :
أَخْرَجَهَا بَتَانٍ وَرَفَقَ

وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد ، وجمع الناس على تقليد آبنه .
 العهد بعهدده ، وعلم بهذا هرثمة ، وتذكر عارفة الرشيد ، قتمارض
 وجمع الهادي الناس ودعاهم إلى خلع الرشيد ونصب آبنه مكانه ،
 فأجابوه وحافوا له . وأحصر هرثمة ، فقال له : « تباع يا هرثمة ؟ »
 فقال : « يا أمير المؤمنين ! يعني مشغولة ببيعتك ويساري مشغولة ببيعة
 أخيك ! فباي يد أبايع ؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكذت في الرقاب
 من بيعة آبنك ، أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته ، ومن
 حنث في الأولى حنث في الأخرى ^(١) . ولولا تأول هذه الجماعة
 بأنها مكرهة ، وإسرارها فيك خلاف ما أظهرت ، لأمسكت
 عن هذا » . فقال جماعة من حضر : « شأنت وجوهكم ! والله لقد
 صدقني مولاي وكذبتموني ، وأنصحتني وغششتموني »
 وسلم إلى الرشيد ما قدره الهادي فيه »

٣٠ - وسمعت يوسف بن إبراهيم والدي يقول :
 « لم يتمكن أحد من أحد تمكن أبي يوسف القاضي من
 الرشيد . ولقد سألت إبراهيم بن المهدي عن السبب في ذلك ، فقال :
 « كان يستحق هذا منه لما حدثني به مسرور الكبير ، قال :
 « كنت في خدمة المهدي ، وكان الرشيد حفيبا بي ^(٢) ، محسنا
 إلي ، فلما انتقل أمر الخلافة إلى الهادي ، قال لي الرشيد : « إن

أبو يوسف
والرشيد

(١) حنث في اليمين : نقضها بعد توكيدها

(٢) يقال : هوحنى به ، أى : مبالغ في الكرامة والبر

أخى قوَى الشَّرَاسَةِ ، وأنا أخاف إيقاعه بى وجمَعَ الناس على بيعة
أبْنه بعده . وأنا على غايةٍ من الثِّقة بك ، فأَعدِلْ إليهِ وكن لى عَيْنَا
عليهِ ^(١) . فتقدَّمتُ عند الهادى حتى تولَّيت سِتْرَ بيت خَلْوَتِهِ .
وكان المهديُّ قد قَرَنَ أبا يوسف بالهادى فتمكن منه ، وقيل
فى مُهِمَّاتِهِ مَشُورَتِهِ ، فلَمَّا خَلَا بقلبه شاوره فى ذلك ، فقال :
« يا أمير المؤمنين ! لا تَحْمِلْ نَفْسَكَ على قِطِيعَةِ رَحِمِكَ ، وأولياءِكَ
على الحِنْتِ بِأَيْمَانِهِمْ ، وأَسْتَدْعِ مِنَ اللَّهِ زِيَادَتَهُ بِمَا يُرِضِيهِ عَنْكَ » ،
فتوقَّف بعض التَّوَقُّفِ . وسُعى إليه بالرشيد ، وقيل له : « لِمَ [عاملٌ]
على أن يَغْتَالَكَ » . فدعا بأبى يوسف وأخبره بما تَأَدَّى إليه ؛ فقال :
« يا أمير المؤمنين ! لا تَسْمَعْ هذا ، وأنا الضامنُ لكُ حُسْنَ طَاعَتِهِ
وَوَكِيدُ مَوَالَاتِهِ » . فكنتُ أُنْهِى جَمِيعَ ذَلِكَ إلى الرشيد فيشتدُّ
سروره به ، ويرغبُ إلى الله فى مَعُونَتِهِ على مكَافَأَتِهِ

فلَمَّا أفضت الخِلافةُ إليه ، دعا به وقال له : « يا يعقوب ! لو جاز
لى إدخالك فى نَسَبِي ، ومشاركتك فى الخِلافةِ المَفْضِيَةِ إلىَّ ،
لكنتُ حَقِيقًا به ! أَلستُ القائلُ لأخى وقت كذا : كذا ؟ وفى وقت
كذا : كذا ؟ » فقال : « يا أمير المؤمنين ! من أنبأك بهذا ؟ فوالله
ما كان معنا ثالث ! » . فضحك الرشيد وقال : « مسرورٌ كان يتولى
سِتْرَ بيت خَلْوَتِهِ ، وكان يُنْهِى إلىَّ جَمِيعَ مَا صَدَرَ عَنْهُ »

قال مسرور : « فوالله ! ما برحتُ بى عنايةُ أبى يوسف حتى

بَلَغْتُ مَعَ الرَّشِيدِ هَذَا الْمَبْلَغَ !

٣١ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْفَقِيهَ ، أَنَّ ابْنَ الشَّالِجِي
أَبُو يُوسُفَ وَبَذَلَ
حَدَّثَهُ ، أَنَّ بَشْرًا الْمَرِيضِيَّ - وَكَانَ مَتَزَهِّدًا - قَالَ :

« مَا أَشْتَهَيْتُ مِنْ مَرَاتِبِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَرْتَبَةً رَأَيْتُ أَبَا يُوسُفَ
بَلَّغَهَا فِي عَشِيَةِ مِنَ الْعَشَايَا . كُنْتُ آجِزْتُ بِهِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ
لِي : « تُقِيمُ عِنْدِي الْعَشِيَّةَ لِنَتَنَاظُرِ فِي طَائِفَةِ مِنَ الْعِلْمِ ؟ » . فَإِنِّي لَجَالِسٌ
عِنْدَهُ - وَقَدْ آبَتْدَأُ فِيهَا أَثَرُنَاهُ - حَتَّى وَافَى إِلَيْهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لِي : « انتظرني » ، وَمَضَى . فَغَابَ عَنِّي مَقْدَارَ
سَاعَتَيْنِ ، وَرَجَعُ ، وَخَلْفَهُ غُلَامَانِ يَحْمِلُونَ مَالًا ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَأَنْصَرَفُوا فَقَالَ : « دُفِعْتُ اللَّيْلَةَ إِلَى عَجَائِبِ ! » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ،
قَالَ : « دَخَلْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَتْهُ بِي رَسُولُهُ إِلَى سِتْرِ
مُسَبِّلٍ عَلَى بَابٍ ^(١) ، مُسْرُورٌ الْكَبِيرُ يُمَسِّكُهُ ، فَقَالَ لِي : « سَلِّمْ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! » ، فَسَلَّمْتُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ [السلام] يَا يَعْقُوبُ !
أَدْخُلْ وَحَدِّثْ » ، فَزَفَعَ السِّتْرَ حَتَّى دَخَلْتُ ، فَأَلْفَيْتُ عِنْدَهُ مُحَمَّدَ
ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ - مَوْلَى الْجَارِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبَذَلٍ - وَوَجْهُهُ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْوَلٌ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ سَيْفٌ
مَشْهُورٌ

فَقَالَ لِي : « يَا يَعْقُوبُ ! هَذَا الرَّجُلُ يُدِيرُنِي مِنْ الظُّهْرِ عَلَى قَتْلِهِ ! » ،

فقال له : « ترضى به حكماً بيننا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، قال : « ألقى هذا السيف من يدك » ، وأرض بالحق لك وعليك . وأستدارا جميعاً حتى جلسا مجلساً الحُصوم بين يديَّ

ثم قال الرجل : « سألقى أمير المؤمنين أن أبيعه جاريةً على فيها أيمانٌ محرّجة لا كفارة لها ، ألا أبيعها ولا أهبها » ، قال فقلت له : « قدّسمح بها لأمر المؤمنين إن أخرجتك من يمينك ؟ » ، قال : « إني والله ! وإنّ ذلك لسهلٌ عليّ » ، فقلت : « هب لي نصفها ، وبعه نصفها » ، فقال : « قد أجبتُ ، وجعلتُ ثمن النصف هديةً لك » . وتعانقا جميعاً ، وأنصرفا إليك ، ولحقني هذا المال . فوجدنا المال المحمول خمسة وعشرين ألفاً ، فقلت في نفسي : « أحي نفسي ، وأصلح بين خليفة وأبن عمه في مقدار ساعتين من النهار ! »

قال بشر : « فوالله ما فرغنا من صلاة المغرب حتى أبتدّرنا الغلمان يحملون مالا وبزاً وطيباً ^(١) ، ومعهم جارية حصيفة ^(٢) » ، فقالت : « تقرأ عليك السلام سيدي وتقول لك : « أجازني سيدي أمير المؤمنين بما حملته إليك ، فجعلته ثواب الفتيا التي كانت سبب وصولي إليه »

فكان المال منه خمسة وعشرين ألفاً

☆☆☆

(١) البز : الثياب

(٢) حصيفة : جيدة الرأي بحكمة العقل

رجلى من صنائع الأمويين والمنصور

٣٣ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : حدثني أبي أبو يعقوب ،
عن جدّي واضح مولى المنصور ، قال :
« كنتُ بين يدي المنصور ، وقد أحضر رجالاً من رجال
هشام بن عبد الملك ، وهو يُسألُه عن سيرة هشام لأنها كانت تُعجب
المنصور . فكان الرجل يترحم عند كل جارية من ذكوره ، فأحفظ ذلك
جماعتنا ^(١) ، فقال له الربيع : « كم تترحم على عدو أمير المؤمنين ؟ » ،
فقال الرجل للربيع : « مجلس أمير المؤمنين - أيده الله - أحقُّ
المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المُجمل ، وهشام في عُنُقِ قِلَادَةٍ
لا يَسْنِزُهَا إِلَّا غاسلي » ، فقال له المنصور : « وما هذه القِلادة ؟ » .
قال : « قلّدتني في حياته ^(٢) ، وأغناني عن غيره بعد وفاته ! » ، فقال له
المنصور : « أحسنت بارك الله عليك ! وبجسّن المكافأة تُستَحَثُّ
الصنائع ، وتزكو العوارف ^(٣) » ، ثم أدخله في خاصته »

بعض أقوال الفلاسفة في حسن المكافأة

وقد مثل بعض الفلاسفة إحسن المكافأة ، بالحسام الصقيل .
الذي يُحدث له وقوع الشمس عليه : أنبعاث شعاع منه يجلو غيابه .

(١) أحفظه : أغضبه

(٢) قلّدتني : يريد قلده عملاً من أعمال السلطان

(٣) استحث الصنائع : جعلها سريعة متتابعة متصلة ، والصنعة :

الجميل والإحسان ، والعوارف : جمع ، عارفة ، وهي المعروف . زكا
المعروف يزكو : نما وازداد

الأمكنة المظلمة ، ويكون وفور شعاعه على حسب صدقائه
وقال أفلاطون : « من حسنت مكافأته ، لم تُغضب به خبيثته فيها
لتمسه ؛ لأنه يُقيم العوارف مقام دُيونٍ يتحملها لا يسعه إغفال
قضائها . وإنما يغضب من المنع : مَنْ آثر تحصيل العارفة وإغفال
المكافأة عليها »

خاتمة المؤلف
لهذا الباب

ولأنَّ المرغوب إليه إذا كان يحتاج إلى مُطالعة حُسنِ المكافأة
للإحسان فيشأ بر عليه ، وسوء المكافأة على الإساءة فيتأخر عنه ، كان
الراغب محتاجاً إلى أن يكونَ في خَلده من أخبار من أساء الصنيع
فساءت مكافأته ، ما يوازي ما أثبتناه من حُسنِ المكافأة للإحسان

٢ - المكافأة على التقيح

ملك الهياطلة
وفيروز

٣٣ - حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه ، عن جده مولى عبد الله بن المقفع - أن عبد الله حدثه ، قال

« كان فيما ترجمته من سِيرِ الفُرس : أن فيروزاً لما تقلد مملكة فارس حدثته نفسه باجتياز بلد الهياطلة . وكان به للهياطلة ملك صحيح الرأي حسن الجوار ، فجمع ذوى الرأي في بلده وسألهم عما يرون ، فعرضوا عليه أموالهم والخروج معه ، فجزأهم خيراً وأنصرفوا . وخلا به وزيره - وكان عالي السن ^(١) - فقال له : « أيها الملك إن يسير الحيلة ربما بلغ أوفى منازل المكافأة والذي عندي من الرأي أن تُظهر السُخَطَ على فتقطع يدي ورجلي ، وتنفيني إلى أقاصي عمّلك ، وتكتب إلي عاملك هناك في حبسى ، وتظهر أنك تبيّنت مني ميلاً إلى فيروز » ، فقال له : « إن حسن الحيلة إنما يقع بغير إضرار يلحق صاحبها ، وإذا بلغنا بك هذا ، فقد جاوزنا بك ماتخافه من فيروز لو حصلت في يده »

فقال : « أنا منذ تكامل تمييزي أحسب ما لي وعلي ، فإذا وهبت لي نعمة علمت أن علي فيها محنة ، وأن الرغائب بالنوائب ^(٢) . وقد

(١) عالي السن : كبيراً مسناً

(٢) الرغبة : الشيء العظيم المرغوب فيه

عشتُ في سلطانك - أيتها الملك - في هذه السن العالية ، عزيزَ
الجانب ، خصيب الأُفنية ، وشَملي في نهاية من رَفَاة العيش .^(١)
وليس من الجليل أن أُمسِكَ عن قضاء حقِّ النعمة على لسلطاني
وشَملي وأهلي وولدي ، وصِيانَتهم ، مما عَرَّاهم بنفسي^(٢) . وأعلم
أنني لو خدمتُ السلامةَ لنفسِي ، لمات ذِكْرى بموتِي ، ولم أبق شَرْفاً
لأهلي ! ولعلَّ أجلى قريب ، فأفوز بحُسن الذكر فيما أتيتُه
وقضيتُ به حقَّ سَوالف الإِنعام على ، والإِحسان إلى . وإنَّما
أَعتمدتُ هذا الأمرَ الفظيحَ لأعدلَ بفكر فيروز عن الحيلة ،
وأضطرُّه إلى السكون إلى »

« فلما رأى أنه لا يرجع عما أشار به عليه ، دعا به وقطع يديه
ورجليه ، ونفاه إلى آخر مسالحه^(٣) ، فكان محبوساً هناك

« وجد فيروز في سفره ، فوافي الموضع الذي فيه الوزير ، فوجده
خالِباً بمن كان فيه ، ولم ير به غير رجلٍ مقطوعِ اليدين والرجلين ،
فسأله عن حاله فقال : « كنت وزيراً لهذا الخائنِ فاستشارني ، فأشرتُ
عليه أن لا يناهضك ، وأن يسألك إقراره في البلد ، وحملَ خراجَه

(١) رفاة العيش : سعته وخصبه

(٢) عراه الأمر الشديد : أصابه وغشيه

(٣) المسالح : جمع مسلحة ، وهو الموضع المخوف يكون فيه جماعة
بسلاحهم يرفبون العدو لكلا يطرقهم على غفلة ، فإذا رأوه أعلوا
أصباحهم ليتأهبوا له

إليك . فاستشاط ، وسوّلت له نفسه مُناوأةكَ ، وقد جمع جيشاً له كثيرٌ
العَدَد قوَى النُّكاية ، وقَدَّر أن يلقاك في هذه الطريق . وعندي حيلةٌ
أجازيه بها على سوءِ صديقه »

« واستجلى فيروزُ الوزير^(١) فقال له : « إن عَدَلتَ عن هذه
الطريق وتجشّمت قطعَ بَرِيَّةٍ يُقيم السائرُ فيها يومين ، تحتاج إلى حمل
الماء إلى مسيرة يوم منها ، ثم تُفَضِّي إلى مياهٍ متدفقة . فإذا قطعتها
وصلت إلى بلد الهَياطلة ، وهو وجمعه في الطريق الذي آثرت سلوكها ،
فتدخل البلدَ بغير حربٍ »

« فخمانته الاستئمانُ إليه - لما رآه به - على تصديقه^(٢) ، ولَحَجَّ
في البريةَ بجميعِ جيشه^(٣) ، - وقد كان واطاً [الوزيرُ] الملكَ على
تكمين جمعٍ له آخر في البرية^(٤) - فسار يومه وبعضَ غدٍ في قفرٍ
لا يوجد به ماء ولا نَبْتٌ ، فتساقطت الدوابُّ من العطش ، وأُفترق
الجيش لطلبِ الخلاص ، وخرَجَ عليه منسَرٌّ من جيش الهَياطلة
فأَمَرُوا عليهم^(٥) ، وأخذوا فيروزاً أسيراً . فنَّ عليه ملكُ الهَياطلة

(١) في الاصل : « واستخلى فيروز الملك » . واستجلى صاحبه
الامر : طلب أن يحلوه له ويكشفه

(٢) استئمان إليه : اطمأنّ وسكن ، حتى كأنه في نوم وغفلة

(٣) لحج في البرية : مال إليها ، ودخل فيها

(٤) واطأه على الامر : وافقه عليه اتفاقاً . كمن الجمع تكميناً : جعله
كميناً مختفياً في مكمن لا يفتن له العدو

(٥) المنسر : جماعة الخيل ما بين المساة إلى المسائتين تنقض على العدو .
أَمَرُوا عليهم : كثروا عليهم فغلبوهم

بالإمساك عن قتله ^(١) ، وجمع وجوه بلده وأضاف إليهم وجوهاً من عسكر فيروز ، واستحلف فيروزاً بحضرتهم أنه لا يجاوز حَجَرًا جعله فصلاً مشتركاً بينه وبينه . وأثبت المفارقة في صحيفة بخط فيروز ^(٢) ، وأشهد عليه الجماعة ، وأطلقه على غاية من التبجيل والإكرام

« فدخلت فيروزاً خجلةً من رجوعه إلى مملكته بعد أن سر ملك الهياطلة له وتغفيره به ^(٣) ، وحادثته نفسه بمعاودة قتاله ، فخرج إليه . وسوّلت له نفسه أنه إن حمل الحجر حتى يدخل به بلد الهياطلة لم يَحْتَثْ في يمينه ، فحمله بين يديه وسار بجمع كثير . وخرج إليه ملك الهياطلة ، فالتقيا في مُنتَصَف طريقيهما

« فلما تراآى الجمعان ، انفرد ملك الهياطلة عن جمعه ، وسأل فيروزاً مَوَازاته لئسمع منه شيئاً . فبرز فيروز . فقال له : « أنا وإياك في قبضة من حنثت في اليمين به ، وهو عز وجل يشكر للحسن إحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته . وقد أنعمت عليك ، وأحسنْتُ إليك ، وأنا أخوفك الله وأحذرُك سَطَوَاتِهِ ، فإني أعلم أن حيائك مما جرى عليك هو الذي ردّك ، فينبغي أن يكون استحياؤك من الله عز وجل أشد من

(١) من على الأسير : أنعم عليه بإطلاقه بعد الظفر به

(٢) المفارقة : العهد الذي يقع عليه الاتفاق بين اثنين ثم يفترقان على الوفاء به

(٣) في الأصل : « وتمعيده به » ، وهي محرفة . عفره وعفر به : ألصقه بالعفر وهو التراب ، يريد : أذله وحقره

استحيائك من خلقه . وليس يُخْرِجَكَ من يمينك حملُ هذا الحجر .
بين يديك ، لأنَّ اليمين إنما تكون على نية المستحلف لا على نية
المستحلف . فتدبرْ قولي : واعلمْ أن من سمعك من أصحابي على غاية
من الثقة بالله في نصره ، ومن سمعك من أصحابك على ذعر من أن
تَهْلِكَ بِحَوْكِ^(١) . فقال له : « لست أرجع عن قتالك »

« فأمر أن تُرَكَّبَ الصَّحِيفَةُ على أطول رمحٍ في العسكر وتحمَلُ
عليه ، فَهَزِمَ جيشُ فيروز ، وقُتِلَ فيروز في المعركة »



٣٤ — وسمعتُ أبا جعفر محمد بن هرثمة يقول :

ابن الزيات
والمتوكل

« كان محمد بن عبد الملك الزيات يسعى على المتوكل - في أيام
الوائق - ويحرِّضه عليه ، فتغيَّرت عليه نيَّته ، حتى أدَّاه ذلك إلى حبسه .
عند محمد بن عبد الملك »

« فسمعت المتوكل يقول - في اليوم الذي تقدَّم في إدخاله إلى
التَّوْر الحديد^(٢) - : لم يُمَنَّ أحدٌ بمثل ما مُنيتُ به من ابن الزيات !
ضيق على محبسي ، ومنَعني مما اقتضَيْتُ به عادتي . وكنتُ قد رَبَّيتُ

(١) الحوب : الإثم العظيم

(٢) كان محمد بن عبد الملك الزيات الوزير قد اتخذ تنوراً (موقداً)
يعذب فيه من يتعمد عقوبتهم . فإذا بلغ بأحد العذاب وقال له : « ارحمني .
أيها الوزير » يقول له : « الرحمة خور في الطبيعة » ، فلما أدخله المتوكل
في تنوره ، استعاذ به وقال ما كان يقال له : « ارحمني يا أمير المؤمنين » ،
فقال له : « الرحمة خور في الطبيعة »

وَفَرَّةٌ فَلَمْ يُطْلَقْ [لِي] تَنْظِيفُهَا^(١) ، فَكَثُرَتِ الدَّوَابُّ فِيهَا . وَتَأْدَى
ذَلِكَ إِلَى الدَّقِي ، فَكَتَبْتُ إِلَى الْوَائِقِ رُقْعَةً ، فَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :
« أَطْلِقْ لَجَعْفَرِ طَمَّ شَعْرِهِ^(٢) ، وَتَنْظِيفَ ثَوْبِهِ وَتَطْيِيبَهُ ! » . فَانْصَرَفَ
كَالْمَغِيطِ وَضَرَبَ الْمَوَكَّلَ بِي ، وَقَالَ : « تَرَكْتَ مُحَبِّسَ جَعْفَرٍ شَارِعًا
مِنَ الشَّرَارِ حَتَّى سَهَّلَ شَكْوَى أُمِّهِ ! » . ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِي ، فَخَرَجْتُ ،
فَوَجَدْتُ أَمَارَاتِ الْغَضَبِ فِي وَجْهِهِ ، فَوَقَفْتُ سَاعَةً لَا يَرْفَعُ فِيهَا
وَجْهَهُ إِلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : « نَطْعُ^(٣) » ، - فَأَوْهَمَنِي أَنَّ الْوَائِقَ أَمَرَ بِضَرْبِ
عُنُقِي - فَبَسِطَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَوْمَى إِلَى الْغُلَامِ بِإِدْخَالِي فِيهِ ، وَلَمْ أَشْكُ
فِي الْقَتْلِ ، ثُمَّ قَالَ : « الْحِجَامُ^(٤) » ، فَقُلْتُ : « أَظَنَّهُ يَخْلَعُ أَضْرَاسِي قَبْلَ
قَتْلِي » ، وَأَنَا فِي سَائِرِ هَذَا قَائِمٌ . فَلَمَّا وَافَى الْحِجَامُ قَالَ : « أَحْلِقْ
شَعْرَهُ » ، فَأَجَاسَنِي يَحَاقُ شَعْرِي . فَأَلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنِّي لَا أَسْتَبْقِيهِ
لِحُظَّةٍ إِنْ ظَفِرْتُ بِالْخِلَافَةِ . فَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالتَّنُورِ فِي
الْيَوْمِ الثَّالِثِ «



(١) الْوَفَرَةُ : شَعْرُ الرَّأْسِ إِذَا بَاغَ إِلَى شَحْمَةِ الْأُذُنِ . أَطْلَقَ لَهُ أَنْ
يَفْعَلَ كَذَا : أَذُنَ لَهُ

(٢) طَمَّ شَعْرَهُ : جَزَّاهُ ، أَوْ عَضَّ مِنْهُ وَلَمْ يَأْخُذْهُ كُلَّهُ

(٣) النَطْعُ : فَرَّاشٌ مِنْ جِلْدٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَوْضَعُ عِنْدَ الْقَتْلِ لِيَكُونَ فِيهِ
الدَّمُ لئَلَّا يَفْسُدَ الْبَسَاطُ

(٤) الْحِجَامُ : هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الدَّمَ الْفَاسِدَ بِالْمَحَاجِمِ الَّتِي تَمْتَصُّهُ ، وَكَانَ
الْحِجَامُ فِي زَمَانِهِمْ يَتَوَلَّى بَعْضُ الطَّبِّبِ تَكْلِيعَ الْأَضْرَاسِ وَعِلَاجَهَا وَمَا إِلَى
ذَلِكَ

٣٥ - وحدثني نسيم خادم أحمد بن طولون ، قال :

« صار إلى ابن سليمان بن ثابت - وكان ابن سليمان هذا يكتب
لخادم يعرف بشقيّر ، يتقلّد الطراز من خادم السلطان ^(١) ، ثم عمل
سليمان بعد ذلك لأحمد بن طولون على أملاكه - ومعه رُقعة ، فقال :
« توصّلها لي إلى الأمير ؟ » . فقرأتها ، فكان يذكر فيها أن شقيّراً أودع
أباه أربع مائة ألف دينار . فلما قرأها الأمير قال : « انظر ما تقول
وأصدّقني عنه ! » ، فقال : « الأمر والله على ما وصفته للأمير » ، فقال :
أمسك عن هذا ، وأطو مجيئك إلى عن أبيك وعن سائر الناس ،
وأنصرف مكلّوا ^(٢) ،

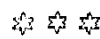
فقال : « فكأن تعجّبي من إمساكه عن ذكر هذا لا يبيّه . فلم يمض
حول حتى مات سليمان بن ثابت ، فأظهر غمّاً به وتفجّعاً عليه . ثم
دعا بابنه الرافع الرقعة ، فردّ إليه ما كان بيد أبيه من أملاكه ، وضمّ
إليه من الرجال من تقوى به يده . وأقام به شهوراً ثم دعاه وأنا قائم
بين يديه ، فقال له : « كيف حالك مع مخافتي أبيك ؟ وهل أنكرت
شيئاً منهم ؟ » ، فقال : « قد أعزّ الله جانبي بالأمير ومنع مني » ، فقال
له : « أحمل إلى الأربعمئة ألف التي عندكم لشقيّر الخادم » ، فالتجّج ،
فردّ أمره إلى أحمد بن إسماعيل بن عمار ، وأمره بمطالبة بالأسوط .

(١) الطراز : هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب - معامل الثياب

(٢) كلاًه : حفظه وحرسه ، ومكلّوا محفوفاً محروساً ، وترك

الهمزة فصارت (مكلّوا)

فَضْرِبَهُ خَمْسِينَ سَوْطًا ، وَأَصْطَفَى مَا كَانَ لَهُ ^(١) ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ مَا تَقَوَّلَهُ عَلَى أَبِيهِ . وَعَاوَدَ مَطَالِبَتَهُ ، فَضْرِبَهُ مَرَّةً أُخْرَى فَمَاتَ
فَقَالَ لِي : « فَعَجِبْتُ مِنْ هَلَاكِ هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الضَّرْبِ . فَأُخْبِرْتُ
أَنَّ هَذَا الْمَضْرُوبَ كَانَ يَسْتِزِيرُ الْفَوَاسِدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي وَفُورِ حَالِهِ ^(٢) ،
فَزَارَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَتْ رَبِيطَةً لِلْجَلَادِ بِالسَّوْطِ ^(٣) ، وَعَلِمَ الْجَلَادُ بِذَلِكَ
فَبَكَرَ إِلَيْهِ وَوَقَفَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ، أَنْكَبَّ عَلَى نَحْوِهِ وَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ
قَالَ : « يَا سَبْدَى ! قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ مَسَائَتِي بِمَا بَسَطَهُ مِنَ الرِّزْقِ عَلَيْكَ
وظَاهَرَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ لَدَيْكَ ^(٤) ، وَكَانَتْ مُهْجَتِي عِنْدَكَ الْبَارِحَةَ .
فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَهَبَّهَا لِي أَفْلَكَ مِنْهَا عَوَظٌ ، وَلَيْسَ لِي عَنْهَا مَعْدِلٌ ! » ،
فَصَاحَ فِي وَجْهِهِ وَأَمَرَ بِإِبْعَادِهِ . فَلَمَّا شُدَّ بِالْعُقَابَيْنِ ^(٥) ، تَقَدَّمَ الْجَلَادُ
فَضْرِبَهُ ضَرْبَ الْقَتْلِ فَأَتَى عَلَى نَفْسِهِ »



العمري
وغلبانه

٣٦ — وَحَدَّثَنِي نَسِيمُ الْخَادِمِ أَيْضًا :

« أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ طَوْلُونَ كَانَ مَذْعُورًا مِنْ خُرُوجِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) اصطفى واستصنى : استخرج أكثر ماله وخياره

(٢) استزاره : طلب زيارته . وفور الحال : سعته ووفرة

(٣) الربيطه : هي في اللغة الدابة ترتبط للخدمة ، وأراد بها هنا المرأة ترتبط في المنزل وتبقى لحاجة سيدها وخدمته ومتاعه وتكون من سوا قط النساء

(٤) ظاهر الإحسان : ضاعفه وأكثره

(٥) العقابان : خشبتان يشبح الرجل بينهما مشدوداً فيجلد ، وهي

العُمَرَى^(١) ، فوافاه الخبرُ بِقَتْلِ غُلَامَانِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِيَّاهُ وَانْتِشَارِ
أَمْرِهِ . ثُمَّ صَارَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ تَقَارِبُ الْعَشْرَةَ وَمَعَهُمْ رَأْسُ فَقَالُوا :
« نَحْنُ غُلَامَانِ الْعُمَرَى ، وَهَذَا رَأْسُهُ ! » . فَجَمَعَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَأَدْخَلَهُمْ
إِلَيْهِ ، وَاسْتَحْضَرَ قَوْمًا اسْتَأْمَنُوا إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ الرَّأْسِ ، فَأَجْمَعُوا
عَلَى أَنَّهُ رَأْسُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأَنَّ الْغُلَامَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ .

« فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونٍ لَهُمْ : « هَلْ كَانَ سَيِّئًا إِلَيْكُمْ ؟ » . قَالُوا :
« لَا وَاللَّهِ ، وَلَقَدْ كَانَ مُحْسِنًا إِلَيْنَا ، وَمُفَضِّلًا عَلَيْنَا » . قَالَ : « فَمَا
تَحَاكَمَ عَلَى قَتْلِهِ ؟ » ، قَالُوا : « طَلَبْنَا الْخَطْوَةَ عِنْدَكَ ، وَالْمَكَانَةَ مِنْكَ ! » ،
فَقَالَ : « قَتَلْتُمْ مَوْلَاكُمْ الْمُحْسِنَ إِلَيْكُمْ بِالتَّطَرُّبِ^(٢) إِلَى الْمَزِيدِ ؟ »

« ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَشُقَّ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ^(٣) ، وَأُخِذَتْهُمْ السَّيَاطُ حَتَّى سَقَطُوا
وَضُرِبُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالشُّدُوحِ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا^(٤) . وَأَمَرَ بِدَفْنِ
رَأْسِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ »

متسلط عامل ٣٧ — وَسَمِعْتُ أَبَا عَمِيدَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الْقَاضِي يُحَدِّثُ قَالَ :

(١) انظر ص (٧)

(٢) تطرب : أخذه الطرب والفرح ، وتطرب إليه : اهتز له وطمع
فيه

(٣) شق عنهم : أى شقوا عنهم ثيابهم يهينونهم للجلد بالسياط

(٤) الشدوخ : جمع شدخ ، وهو الرخص الطرى من الشجر ، يضرب
به حتى يشدخ رأس المضروب

« كانت لي بواسطِ حصّة أُؤدّي عنها إلى السلطان خُرْجا ^(١) فقَدِم علينا عاملٌ قد جُمِعَ من الظُّلم ، وسوءِ التَّسلُّط ، وفَظَاطة الطَّبِيع . فجمَعَ المَعامِلين بأَسْرهم على التَّحْيِيل له بما لا يُوصِل إليه من أُملا كَهم ، ولا يَستحقُّه عليهم ، فضرب قوما ، وأسْتخَفَّ بآخري ، فقال له رجل مَن حضر : « إن رأيتَ أن تؤخِّرني إلى نصف النهار ! » ، فقال له : « لعلك تَمَن يقول : إن من عَمودٍ إلى عَمود فَرَجاً ! » فقال له الرجلُ : « أنا والله أعتقد من لحظة إلى لحظةٍ فرجا يُرَجى مِن الله » ، فتضاحك من كلامه . فوالله ما مضت ساعة حتّى دخلتُ إلينا - في الموضع الذي كان فيه - رَعْلَةٌ من الخوارج وهي تقول : « السُّلَيطِين السُّلَيطِين !! » ^(٢) ، ففَقَطَعْتُهُ بِأَسِيفِهَا وخرجت ، ولم تقتل غيره ، ولا طلبت شيئاً لأحدٍ . فعلبتُ أَنهم عَقُوبَةُ آعْتَمَدته ،

عامل الصدقة
ومتظلم

٣٨ - وحدثني عمر بن يزيد البَرَقِيُّ - وكان جميل المذهب -

قال :

« حضرت مُصَدِّقاً شديداً الاستِحلال ^(٣) ، بعيداً من الرَّأفة ، وهو جالس على رابية ، وبين يديه حِوَاءٌ يَحْتَازُ به ما يُحْصَلُ له من

(١) الحصّة : النصيب الموروث من الأرض ، والخرج : المال الذي

يؤدّى على الأرض

(٢) تصغير سلطان

(٣) المصدق : هو الذي يأخذ حقوق الصدقة من الإبل والغنم

الإبل^(١) . قال : « فُعِرِضَتْ نَعْمُ رَجُلٍ حَسَنِ الطَّرِيقَةِ ، مُتَعَاكِمٍ
بِعِفَافِ الطُّعْمَةِ^(٢) . فَنَخِرَ عَلَيْهِ الْمَصَدَّقُ مَا احْتَازَهُ مِنْ إِبِلِهِ ،
وَأَسْتَعْمَلَ مِنْ سُوءِ التَّحَكُّمِ عَلَيْهِ مَا لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . فَأُؤَسَّكَ ،
ثُمَّ فَظَرَ بَعْدَ انْفِصَالِ مَابَيْنَهُمَا إِلَى فَصِيلٍ سَمِينٍ كَانَ فِي إِبِلِهِ ؛ فَقَالَ
لِغُلَامَانِهِ : « خُذُوا هَذَا الْفَصِيلَ حَتَّى يُصَالِحَ إِنَا غَدَاءً » ، فَقَالَ صَاحِبُ
الإبل له : « قَدْ أَخَذْتُ زِيَادَةً عَلَى حَقِّكَ ، فَمَا هَذَا ؟ » ، قَالَ :
« لَا بَدَّ لِي مِنْ أَخْذِهِ » ، قَالَ : « فَإِنِّي لَا أُسَلِّمُهُ »

فَأَمْرٌ بِوَجْعِ عُنُقِهِ^(٣) ، وَأَخَذَتْ مَقَادَتَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَصَاحَ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ : « كُلُّ هَذَا بِحَيْنِكَ يَا جِبَارُ^(٤) ! » . فَخَافَ لِي عُثْمَرُ أَنَّهُ جَاءَ
مِنَ الْحَوَاءِ فَخَلَّ - وَخَرَجَ مِنْهُ وَهُوَ يَرْغُو - ، فَأَخَذَ بَعْضُدهُ ، وَلَمْ
يَزَلْ يَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى قَتَلَهُ . وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ بِفَصِيلِهِ «



٣٩ - وفيما أخبر به الهيثم بن عدي قال :

عدي بن زيد
والنعمان

« كَانَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ قَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ كَسْرَى أَبَرْوَيْنَ فِي تَرْجَمَةٍ .

(١) الحواء : المكان الذي يحوى الإبل وغيرها من الأشياء ، أى :
يضمها ويجمعها

(٢) الطعمة : وجه الارتفاق والاكتساب

(٣) الوجع : اللسكز ، أو ضرب العنق بالأيدي أو بالحديد

(٤) فى الأصل : « بعينك » وقوله « كله بحينك » ، أى : كله ومعه حينك .

والحين : المرات

العربيّ إلى الفارسيّ ، وكان رجلاً جاراً للنعمان بن المنذر ، فرام منه النعمان أن يكون عيناً له على كسرى ، فامتنع من ذلك ، ولم يرُضْ بهذه السَّجِيَّةُ ^(١) . فتركه النعمان حتى آطمأ أن إليه ، ثم سألَه أن يزوره . فكلَّم كسرى ، وسألَه أن يأذنَ له في زيارته شهراً واحداً ، وانَّصَبَ عِدِيَّ ابْنَه مكانَه . وكان حُلُو الشاهد ^(٢) مضطرباً بما يُسند إليه ، فأذن له . فلما حَصَلَ في يد النعمان قَتْلَه ، وكتبَ إلى ابنه يُخبره بأنّه ماتَ حتفَ أنفه ^(٣) ، وأنه على غاية من الآسَى عليه ^(٤) . وتأدَّى خبر عديٍّ إلى ابنه على الصَّحَّة ، فلم يخرِّق فيه ^(٥) . وأقام يتتبعُ غوائله ، ويعمل الحيلة في آفِتِرَاصِ وِثَرِه ^(٦) .

فجری فی يوم من الأيام ذکرُ الجوارى بين كسرى وبين ابن عديٍّ . وكان أبروین مُستَهْتَرَا بهنَّ ، فقال ابن عديٍّ : « أحسنُ

(١) السَّجِيَّة : الطبيعة والخلق والخصلة

(٢) حُلُو الشاهد : حلو العبارة واللفظ جميلهما . يقال : ماله رواء

ولا شاهد ، أى : ماله منظر ولا لسان يشهد له

(٣) الحتف : الموت نفسه ، وحتف أنفه : أى أن موته كان بخروج

روحِه مع تنفسه من أنفه وهو على فراشه ، لم يقتل في حرب

(٤) الآسى : الحزن

(٥) خرق في الشيء : دهش ثم تعجل فلم يحكم عمله . يقول : لم

يتعجل

(٦) الوتر : النار . اقترص الشيء : اغتنمه وانتهزه عند سُنُوح

الفرصة

النساء حُرقة بنت النعمان . فكتب أبرويز إلى النعمان كتاباً يأمره فيه بحمل حُرقة ابنته إليه . فعظم هذا على النعمان ، وكتب إليه كتاباً يذكر فيه قسَفَ^(١) تربية العرب لأولادها ، وتقصيرهم ببِذَاذة الهيئة ووسخ المهنة^(٢) ، وأنَّ في عين العراق للملك عَوْضاً منهن^(٣) ؛ وأنفذ الكتاب إلى كسرى . فأمر كسرى ابنَ عدي أن يقرأه عليه ، فأمره على طَرَفِهِ ثم ألقاه ،^(٤) وضرب يده على جبينه ، وقال : « لا يستطيع لسانى مواجهة الملك بما فيه ! » ، فعزم عليه الملك ليُخْبِرَنَّهُ . فقال : « ابنتى لا تصلح لك ، فإذا قرمت إلى الجماع فعليك بالبقر »^(٥) . فغضب كسرى ، وأنفذ رُسلًا إليه فأشخص . فلما قرب من مقر كسرى ، أخرج أربعة آلاف جارية بالحُلِيِّ وفاخر الكُسُوة ، وأذن له ، ثم قال له بالفارسية : « يا كلب ! مَنْ كان له هؤلاء يصلح له مجامعة البقر ! ؟ » ، وأمر بشدَّ يديه ورجليه ، وألقاه فى الأرض ، وأطلق الفَيْسَلَةَ عليه فوطئته ، حتى مات تحت قوائمها .

-
- (١) القشف : رثاء المهنة وسوء الحال وضيق العيش . ومنه المتقشف : الذى يتبلغ بالقوت وبالمرقع
- (٢) البذاذة : رثاء الحياة وترك الزينة . والمهنة : الخدمة والعمل والامتحان
- (٣) العين : جمع عيناء ، وهى المرأة الواسعة العينين الجميلتهما والعيناء أيضاً : البقرة لاتساع عينيها
- (٤) أمره على طرفه : أى جعله أمام عينيهِ وأسرع القراءة
- (٥) قرم إلى الشيء : اشتهاه وهم به

٤٠ - وفيما جاء به الزبير بن بكار ، قال :

شريف
ومريض

« اجتاز رجل من أشراف المدينة بمريض مُلقَى على كناسة قريبة من منزل رجل من الأولياء اختلَّت حاله ^(١) ، ومَرَضَ ولا قَسِيمَ عليه ^(٢) وتبرَّم به رُفقاؤه فأخرجوه من منزلهم ، وهو مُلقَى في الطريق . فأمر الشريف بحمله إلى منزله ، وتقدَّم إلى ابنة عمه في حُسن القيام عليه بحَشَمِها ، وأن تُرفَّه عيشه إلى أن تقضى عِلَّتُه . فابتدره كُلٌّ من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته ، وصار في منزلهم كأحدهم ، وقفلَ إلى دِمَشق ^(٣) »

فلما كان في الوقت الذي توجه جيشُ يزيد للحرَّة ^(٤) ، وآفَى فرَقَفَ على باب دارهم ، فظنُّوا به أَنَّهُ وآفَى لحمايتهم ، وحُسنِ المداوَةِ عنهم ، ليَقْضِيَهُمْ سَوَ الفَهم لديه ^(٥) . فدخلَ الدار ومعه ثلاثة غلمان ، فلما تمكَّن منها أخذوا في جَمْعِ الأثاث ، فقال لهم الشريف : « ما هذا ؟ » ، فقال : « إني استوهبتُ دارك بما فيها من الأمير ووهبها لي ،

(١) الأولياء : جمع ولي ، يريد عمال الدولة . واختلَّت حاله : افتقر

(٢) القيم : المدبر الذي يقوم على أمره

(٣) قفل : رجع

(٤) وقعة الحرَّة : هي الوقعة التي انتهكت فيها حرمة مدينة رسول الله فأبيحت ثلاثاً لجند يزيد بن معاوية ، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال

(٥) السوالف : جمع سالفة ، وهي الإحسان السابق ، أو الإساءة

السابقة

وكنْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ، إِذْ كَانَتْ الْأَحْوَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَكِيدَةً «
فَقَالَ لَهُ الشَّرِيفُ : « رَجَعْتَ يَا ابْنَ اللَّيْثِ إِلَى كُؤُومِ أَصْلَاكَ ، وَفُسَادِ
مُرَكَّبِكَ » ثُمَّ عَلَاهُ بِسِيفِهِ . وَفَرَّ الْغُلَامَانِ ، وَهَدَأَتْ وَقْدَةُ الْفِتْنَةِ ،
وُطِّلَ دَمُهُ (١) »

٤١ - وَحَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ مَصْقَلَةَ الْجِمَّصِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ،
عَمِّي لِلْعَبَّاسِيِّينَ
عَامُوِي يَقُولُ :

« رَأَيْتُ مَشَايِخَنَا مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَمْرِ لِحَقِّهِ أَسْلَافُهُمْ : أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ
بِحِمَاصِ شَابٍّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، حَسَنِ الصُّورَةِ ، لَيِّنِ الْعَرِيكََةِ ،
فَأَقَامَ مَعَهُمْ مَدَّةً . ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَتَقَلَّدَ ذَلِكَ
الْفَتَى حِمَاصَ ، وَكَانَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِي أَبِي الْعَبَّاسِ . فَلَمَّا دَخَلَهَا قَصْدًا إِلَى
دَارِ رَئِيسٍ كَانَ بِهَا - مِنْ أَصْحَابِ بَنِي أُمَيَّةَ - فَذَبَحَهُ فِيهَا وَجَمَاعَةً مِنْ
غُلَامَانِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ

فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَلَانَ الْجَانِبَ ، فَقِيلَ لَهُ : « لَيْسَ يُشَبَّهُهُ مَا أَنْتَ
عَلَيْهِ ، مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي ذَبَحْتَهُ وَشَمَلَهُ ! » ، فَقَالَ :
« اسْمَعُوا مِنِّي مَا تَجْرِي عَلَى عَائَتِهِ

« اجْتَنَزْتُ بِهِ - وَقَدْ نَظَّفْتُ أَسْوَابًا لِي لَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، وَقَدْ دُعِيتُ
إِلَى أَمْرِ لَا يَسْعُنِي التَّأَخُّرُ عَنْهُ ، أَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَإِظْهَارِ
التَّجَمُّلِ ، وَمَعِيَ رَسُولٌ مِّنْ أَسْتَحْضِرَنِي - وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى الْبَابِ »

(١) طَلَّ دَمُهُ : أَهْدَرَ وَأَضْيَعَ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ دِيَةٌ وَلَا نَارٌ

فرائث دأبني^(١) بحيث تقع عليه من رَحْبَةٍ مَبْلُطَةٍ لِدَارِهِ . فَأَمَّصَنِي^(٢) ،
وَأَمَرَ الْغُلَامَانَ بِتَرْجِيلِي وَضَرْبِي ، فَرَكِبْتَنِي أَيْدِيهِمْ . ثُمَّ حَلَفَ الْأَبْرَحُ
حَتَّى أَكُنَّ رَوْثَ دَوَابِّهِ يَدِي فِي كُمِّي ، وَأَحْمَلَهُ فِي ثَوْبِي وَحِجْرِي ،
وَأُخِذْتُ فُحِرْتُ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ تَزَلْ حَاشِيَتُهُ تَضْحَكُ مِمَّا نَزَلَ بِي ،
فَحَدَّثْتُ مَوْلَايَ ، فَاسْتَحْلَفَنِي بِحَقِّهِ عَلَى غَلِيظٍ مَا أَتَيْتُهُ إِلَيْهِ ۝

أحدالاً كاسرة
وولده

٤٢ — وما قرأته من سِيرِ العجم :

أَنَّ جَمَاعَةَ الْمُنَجِّمِينَ حَكَمُوا لِبَعْضِ الْأَكَاْسِرَةِ أَنَّ ابْنَهُ يَقْتُلُهُ وَيَتَوَلَّى
مَلِكُهُ ، فَعَمِدَ كَسْرَى إِلَى سُمُومٍ وَحَيَّةٍ فُجِّلَهَا فِي قَوَارِيرٍ^(٣) ، وَخَتَمَهَا
وَكَتَبَ عَلَيْهَا : « دَوَاءٌ لِلْجَمَاعِ ، الشَّرْبَةُ مُثْقَالٌ » ، وَكَانَتْ وَزْنُهُ
قِيرَاطٌ تَقْتُلُ مِنْ تِلْكَ السُّمُومِ . وَقَالَ : « إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا حَكَاهُ
الْمُنَجِّمُونَ فَدَاخِلُهَا تَلْتِي مِنْهُ »^(٤) . فَعَمِدَا عَلَيْهِ وَلَدَهُ وَقَتْلَهُ ،
وَكَانَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ لِلْجَمَاعِ ، وَرَأَى تِلْكَ الْقَوَارِيرَ ، فَشَرَبَ
مُثْقَلًا فَمَاتَ

مروان
الجعدي وخالد

بن سهم

٤٣ — وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ جَدِّي

(١) رَأَتْ الْفَرَسَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْخِيَوَانِ : أَرْسَلَ رَوْثَهُ وَرَجِيْعَهُ

(٢) أَمَّصَ الرَّجُلُ : إِذَا شَتَمَهُ فَقَالَ « يَا مَصَان » وَهُوَ اللَّئِيمُ الرَّاضِعُ ،

يُرِيدُ سَبِيحَةً سَبِيحًا

(٣) سُمٌّ وَحَيٌّ ، وَمَوْتُ وَحَيٌّ : سَرِيعٌ

(٤) الطَّائِلَةُ : النَّارُ

واضح ، قال :

« سمعت خالد بن سهم ، يحدثُ المنصور - وكانَ هذا الرجلَ خاصاً بمروان بن محمد الجعدي ^(١) - فطلب منه مروان جارية له كان يُحبُّها ، وتجرَّم عليه ^(٢) ، فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذارأي ونجدة ^(٣) . فلما استفحل أمر أبي مسلم وكسر عساكر مروان ، أخرجته من الحبس ووَعدَه جميلاً - ، قال خالد :

« كان مروان يضحكُ من زِيِّ المسوِّدة ^(٤) ويقول : « لو أسرناهم ما بلخنا بهم ما بلخوا بأنفسهم من القشويَّة والشُّهرة ! » ^(٥) . فلما اضطرَّ إلى مُكافحتهم وواقعتهم ، رأيتُه قد تَهَيَّبَ مُعارَكَتهم ، فقال لي : « يا أبا يزيد ! - وما كنتُ أُنِي قبل ذلك اليوم - ، إنِّي قد أرتعت ، فهل ذلك بَيْنَ فَيٍّ ؟ » ، قلت : « بلى يا أمير المؤمنين ! » - ، وكنت أَدَاجِيه ^(٦) ، ويسِّرني حُؤُولُ أمره ^(٧) ، فقال : « ما أجد قَلْبِي يُطِيقُ مُواقعتهم ! » ، فقلت : « إن كانَ هذا ، فتحصَّنْ منهم بالانهمزام ، فإن خيلك أنجى من خيلهم ^(٨) » ،

-
- (١) هو آخر خلفاء بني أمية المسمى « مروان الحمار »
 (٢) تجرَّم عليه : تجنى عليه ما لم يجنّه من الذنوب والجرائم
 (٣) النجدة : الشجاعة والمضاء والبأس الشديد
 (٤) المسوِّدة : هم العباسيون ، فقد جعلوا شعارهم السواد
 (٥) الشُّهرة : الفضيحة والشُّعة الظاهرة
 (٦) داجيه : لازمه وأحسن مخالطته بالرياء والمداهنة
 (٧) حال الأمر يحول حؤولا : تغير وتبدل وتحول فزال
 (٨) أنجى من خيلهم : أسرع نجا ، والنجاء : العدو السريع

فانهزم ، وتوقف أصحاب أبي مسلم عن طلبه ، فلما بانغ إلى سواده^(١) قال لي : « قد عزمتُ على الدخول إلى بلد الروم » . . . وكان من أصوب تدبير له . ، فنفقت عليه بالرأى^(٢) ، واستعملتُ مخالطته فقلت : « تدخلُ بأحداثٍ من ولدك وشحلك^(٣) مستجيرين بكافرٍ قد آمنَ سرُّبه^(٤) » ، واستقام أمره ؛ ولعلَّ ولدك يروقُهم ما يرونه في مملكته ، فيحملهم ذلك على التنصر ! ولأنَّ تَمَادَى في مسيرك حتى تدخل مصر فتجد فيها الرجال والكُرَاعَ والمالَ^(٥) ، تملك بها اختيارك . فركنَ إلى قولي ، فسرنا . فلما دخلنا مصر خرج إلى صعيدها ، واستأمنتُ إلى عامر - لحالٍ كانت بيني وبينه - ، وقُتِلَ بِبُوصِيرِ الْأُشْمُونِينَ »



أحمد بن طولون

وابن المدبر

٤٤ - ولما قَدِمَ أحمد بن طولون إلى مصر متقلداً بها عمل المعونة ، أهدى إليه أحمد بن مدبر من دِقِّ مصر^(٦) ، ودوابها ، والرقِيقِ المجلوب إليها ، ما مقداره عشرة آلاف دينار . فردَّ ذلك

(١) سواد العسكر من الجيش : ما يشتمل عليه من الآلات والدواب ، ويكون مجتمع سواد الجيش (المعسكر)

(٢) نفس عليه الشئ : حسده عليه وضمَّ عليه به

(٣) الأحداث : الصغار ، جمع حدث

(٤) آمن سرِّبه : أي اطمأنت نفسه ، والسرب : النفس

(٥) الكُرَاع : اسم لجماعة الخيل والسلاح

(٦) دق مصر : هي الثياب الرقيقة الدقيقة الصنع التي كانت تصنع

بها ، وتعرف بالقباطي جمع قبطية

عليه ، وذكر أنه لا حاجة له بشيء منه . فثقل ذلك على ابن المدبر ، وقال : « ما ينبغي أن يثق السلطان - بمن لم يكن لعشرة ألف دينار في عينه قدرٌ - على طرف من أطراف مملكته ! »

فلما مضت أيامُ بَعث إليه : « قد كنت أنذرت إلى طائفة من برّك فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها ، وقد بلغت أن عندك مائة رجل من مولدى الغور ^(١) ، ربي إليهم أمس حاجة » . قال ابن المدبر : « قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى ، يرُدُّ الأعراض والأموال ، ويستهدى الرجال ! »

وكان حسين بن شعرة - مضحك المتوكل على الله - قد انضوى ^(٢) إليه ، فحتمى به ضياعه وأملأه . ووقف على استئقال ابن مدبر لأحمد بن طولون ، وأخرج حكايته في تَزَمُّتِهِ ^(٣) وكلامِهِ ، فيضحكُ ابن مدبر ومن حضره . فأتصل ذلك بابن طولون ، فأحضره ثم قال له : « بلغت أنك تنادُرُ بي ^(٤) ، ولك في الناس مندوحةٌ فأحذرنى ، فإنك إن وقعت لم ينفعك ابن المدبر ولا غيره » ، فجحد هذا واعتمد إليه منه . ثم انصرف إلى ابن المدبر وقال :

(١) الغور : بلاد موحشة بين هراة وغزنة ، كان يؤتى منها بسبي يولد ويربى

(٢) انضوى إليه : مال إليه ، واحتتمى به

(٣) التزمت : الوقار والسكون وقلة الكلام والضحك ، وكان

ابن طولون من أشد الناس وقاراً

(٤) تنادى به : تهزأ وسخر وجعله من نواذره

« ياسيدي ! لو شاهدت أحمد بن طولون يُؤنَّبني ! » ، فقال « ما قال لك ؟ » ، قال : « أصبح حتى أريك حكاية مُصوّرة ومُعَاتبة » ، ثم تلبَّس وجلس يحكيه ويقتص ما لقيه به ^(١) . ثم اتصل ذلك بأحمد ابن طولون فأمسك عنه ، وتتبع غوائله

« وأضطربت الرعية لنزاع السَّعر ^(٢) » ، وقد باغ ثلاثة أرادب حنطة بدينار . فركب وتقدَّم بعقوبة القماحين ، وأزدحت النظارة من السطوح عليه . فوقع مرَّكن فيه ربحان إلى الأرض ^(٣) ، بمزاحمة من تشوف إليه من النساء ^(٤) ، فسح كفَّل دابة أحمد بن طولون ، ^(٥) فسأل عن الدار : « لمن هي ؟ » ، فقالوا « لحسين بن شعرة ! » ، فأحضره وضربه ثلاثمائة سوط ، وطاف به . وكان ما أوقعه به من أجل متقدِّم سوائفه إليه ، ولم يفاح الحسين بن شعرة بعدها

« وزاد أمر أحمد بن طولون في القوَّة وزيادة المال ووفور الكفاية » حتى تهيبه ابن مدبر ، فحدثني أبو العباس الطَّرسوسي ، أنه سمع أحمد بن طولون يقول له : « يا أبا الحسن ! أنشدك الله إن تعرَّضت لي ولا ترسَّمت بعد أوتي ^(٦) » ، فقد آجتهت في استصلاحك

(١) اقتص الشيء : تتبعه واحدة واحدة

(٢) نزاع السَّعر : ارتفاعه وغلاؤه

(٣) المَرَكَن : إجانة يستنبت فيها الرياحين (قصرية)

(٤) تشوف إليه : تطلع إليه وتطاول لينظر

(٥) مسح كفَّلها : مس عجزها ومؤخرها

(٦) ترسم بالشي : جعله رسماً له يعرف به

فلم أصِلْ إلى ذلك » ، فقال له آبن مدبر : « والله ما أُرِدُّ أُمْرَكَ فيما أتَقَلَّدُه ، وإني فيه كالمقيم من قبلك ، فأى شئ أنكرت على حقى أنجنيبه ؟ » ، فقال : « أنكر عليك المكاتبَةَ إلى الحضرة ^(١) ، وقد قَلَّدْتُكَ

البغى » ، خلف له آبن المدبر أنه لا يكتب إلا بشكره

« وُصِرَ فآبن المدبر عن مصر بأبى أيوب - ابن أخت أبى الوزير - فلما أجمع الشُّخوص عنها قال له أحمد بن طولون : « يا أبا الحسن ، لو أردتُ بك سوءاً لَقَدَرْتُ عليه ، واحتاج إلى أن تجدَّ تلك اليمين » ، خلف له بالمرجات أنه لا يألو حرصاً فى تزيين آثاره ^(٢) وتطبيب أخباره ، وأشهد عليه الله بذلك . وخرج عن مصر متقلداً للشام فأقام مع ماجور

« فحدثتني نعتُ مولاة أحمد بن طولون : وأمُّ ثلاث بناتٍ كنَّ له - فقالت : « كنت عند مولاي بائنةً فسمعتَه يحسُم فى نومه ، فخفتُ أن أنبئه فينكر على هذا ، فأتته وجلسَ ومسحَ عينيه وقال : « خيرٌ إن شاء الله » . فسألتَه عما رأى فقال : « رأيت آبن مدبر قائماً فى وسط برية ، ومعه قوشٌ مؤترَّةٌ وسهام ، وأنا تجأه قائم ، ومعى جميعُ السلاح إلا القوس ، وبيننا نهر ، فكأنه يسدُّ السَّهم نحوى ويرمى ، فأخطأنى . وكان قائلاً يقول : « لو رماك يومه كله لما أصابك به ، لأنه عاهدك ، وما يضرُّ هذا الفعلُ غيرَ نفسه » فكأنه اشتدَّ

(١) الحضرة : يريد حضرة الخلفاء من بنى العباس ببغداد

(٢) لا يألو : لا يقصر

على انهماكه في الرمي لي ، وليس في يدي غير سيفٍ وشرخ
وما أشبههما ، ^(١) لا تعملُ في البُعْد ، وقد حال النهر بيني وبين
العبور إليه . فإننا على هذا ، حتى أنصب النهر فلم يبق فيه
قطرة ^(٢) ، فعبرت إليه ، فكأنني كنتُ كلما قُربت منه يصغر ، حتى
صار بمنزلة من يواريه الكف ، فأخذته يدي استطرِفُه ^(٣) ، ثم
ألقيته من قامتي على رأسه فمات . فتأولتُ سهامه : المكاتبة في
والتحريض على ، والنهر الذي منعني منه : مقام ماجور بدمشق ،
ونضوبه : موت ماجور ، وصغره : قدرتي عليه ، واحتيازه في
كفي : قبضي عليه ، وقول القائل لي في السهام إنها تُخطئك : أن
الله لا يُعينه عليّ .

« فحدثت هذا الحديث سعداً الفرغاني - غلام ابن طولون - فقال
لي ما سمعت بهذا إلا منك ، والذي عندي من خبره مطابق لهذه الرؤيا .
وذلك أن الحسن بن مخلد برم بكيد الكتاب وانتقاض الأولياء . ^(٤)
فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته في المقام بمصر . فكتب
إليه أحمد بن طولون : « إنما أنا وليك ^(٥) ، ومقام صنيعة من صنائعك ! »

(١) الشرخ : النصل الذي لم يشق بعد ولم يركب عليه قائمه

(٢) أنصب النهر نضوباً : ذهب في باطن الأرض وغار وبعد وقبل

(٣) استطرِف الشيء : وجده طرفه ، أى طريفاً غريباً

(٤) برم : ضاق وضجر ، وانتقاض الأولياء : نقضهم العهود

وخر وجههم عليه

(٥) الولي : التابع من عمال الدولة

وصوب رأيها فيما آثره . فحج من بغداد، وئى عنانه إلى مصر، فثبته صاحب البذرة^(١). فأنفذ كتباً إلى أحمد بن طولون، فكان أول ما صدر منها أربعين كتاباً جميعاً بخط ابن المدبر، يُعظم فيها أمر أحمد ابن طولون ويقول: « إنه قد عزم على أن يجلس خليفة »، ويصفه بكل غدر، فعجب منها ابن طولون. ثم مات ماجور، واحتاز دمشق والشام، وأنفذني إلى الرملة فقبضت عليه وأشخصته إليه. فأقام مدة في حبس ضيق، وجفوا مما جرت به عادته^(٢)، حتى ذهب بصره ومات »

٤٥ — وحدثني سهل بن شَيْف، قال :

ابن المدبر
ومتقبل

« رجعت [مرة] مع أحمد بن محمد بن مدبر إلى داره، فاستقبلته امرأة فقالت : « أيها السيد ! نحن مائة عيّل على فلان المتقبل^(٣)، وقد ضاع شمله لحبسه، فاتق دعوة تعرج إلى الله مِنّا فيك ! » ، فقال وهو مهزّئ : « إذا عزمتم على هذا، فليكن الدعاء في السّحر فإنه أنجح له » ! قال لي سهل : « فارتعتُ من الكلمة، فما مضى له شهر حتى تقلد محمد بن هلال الخراج وصرفه عنه، واجتمعوا عند

(١) البذرة : هي خفارة الطريق وحراسته ، والمبذرق الخفير

(٢) جفا الشيء جفأ وجفوا : بعد عنه ، يريد ، وابتعاد عن عادته

(٣) المتقبل : هو الذى يتقبل الخراج أى يتكفل بجمعه وإيراده

لبيت المال ، والعيّل : هو الذى يحتاج ، إلى من يعوله ويمونه ويتكفله ، واجمع عيال

أحمد بن طولون ، فاهتدى محمد بن هلال إلى مالم يُظَنّ أنه يقف عليه ،
لأنه أول ما ناظره قال : « رزق الخراج : كذا وكذا ، وأرزاق
الدواوين المضافة إليه : كذا وكذا ، فهل قبضت جملة هذه الأرزاق ؟ » ،
قال ابن المدبر : « نعم ! ما حضرني كتاب أمير المؤمنين بإطلاق جميع
الرزق لك ؛ لأنه يجوز أن يكون استعملك على جميع الأعمال برزق
الخراج وحده » . فانقطع [إلى] ابن المدبر ، وطالبه بالمال ،
فقال : « ما يلزمي ؟ » . وردّ إلى يد محمد بن هلال ، فألبس جُبَّةً
كانت على بعض الساسة ، ^(١) وأقيم في الطريق على كناسة ،
وخُتِمَت الجبة في عنقه

« فكان أول من وافاه المرأة التي قال لها : « يكون دعاؤك في
السحر هو أنجمع له » ، فقالت : « جزاك الله يا أبا الحسن خيراً ،
فقد نفعتنا بأكثر مما ضررَتنا ؛ لأننا جرّبنا ما أشرت به فوجدناه أنجمع
شيء يُلتَمَس [به] » . فبكى ومن حوله من الموكّلين به ، وانصرفت
المرأة داعية له »

٤٦ — وكان محمد بن أبي الساج قد هادن نُحَارَوِيَه بن أحمد
أبي الساج
ابن طولون ، وحلف بالمحرّجات أنه لا يشاقّه ولا يُجهّز إليه

(١) الساسة جمع سائس : وهو الذي يقوم على خدمة الدواب
ورباضها

جيشاً أبداً^(١) ، وخلف عنده ابنه - المعروف بدأود - رهينة ، فسكن خمارويه إلى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجيشه عليه^(٢) ، وما أثره من المسير إليه ، فدعا بابنه وقال : « قد نقض أبوك ما بيني وبينه ! » ، فقال : « ياسيدي ! ما أعرف لى أباً غيرك » . فرق له وأجازه ، وأقر أثرته^(٣) ، ثم توجه إلى ابن أبي الساج فالتقيا بالثنية ، فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا - وكان معه - قال :

« لما تراى الجمعان أمر بإلقاء حصير الصلاة فألقيت ، ونزلت معه فصلى ركعتين ، فلما استتمهما . أدخل يده في خفيه ، فأخرج منه خط ابن أبي الساج الذي خلف فيه . يؤكد الإيمان أنه لا يحاربه ، فقال : « اللهم إني رضيت بما أعطانيه من الإيمان بك ، ووثقت بكفايتك إياي غدره [بى] وبخلفه واجترأه على الحنث بما أكدته لى اغتراراً بحلمك عنه ، فأداني عليه !^(٤) » . ثم ركب ، فرأيت ميمنة خمارويه قد انهزمت ، وتبعها ميسرته ، فحمل في شردمة يسيرة على جيش ابن أبي الساج - وهو في غاية من الوفور - فانهزموا بأسرهم

(١) شاقه يشاقه مشاقة : خالفه وعاداه ، من الشقاق وهو غلبة العداوة والخلاف

(٢) جيش عليه : جمع الجيوش لقتاله

(٣) أقر أثرته : أى رضى إثارة إياه بالابوة وأقره عليها ، وفي

الأصل المطبوع « وأقر أثرابه » وهو خطأ بين

(٤) أداله عليه : جعل له الدولة عليه ونصره عليه

فوقف على نَشْر^(١) ، وأطفتُ ومن حضره به ، فاستأمنت
إليها عِدَّةٌ كثيرة . فقلت له : « إن مُقَاتِلَنَا أَيْهَا الْأَمِيرُ مع هذه
الجماعة خطرٌ » فأمرني بالمسير بهم إلى مَسْتَقَرِّ سَوَادِهِ^(٢) . فسرتُ
معهم - وأنا على رِقْبَةٍ مِنْ طَمَعٍ فِيهِ أَوْ كَيْدٍ لَهُ - فبلغوا نَهْرًا
احتاجوا إلى عُبُورِهِ ، فرأيتهم قد خلعوا الخِفافَ وَحَطُّوا الرِّحَالَ ،
وَسَلَكُوا سُلُوكَ الْمُطَهِّينَ^(٣) ، فَأَنْسَيْتُ إِلَيْهِمْ »

٤٧ - وكان في حارتنا شابٌ قد قدم من العِراق ، ذَكَرُ^٤
الروح هَادِي السَّعْيِ ، يذكر أنه قَرَابَةُ لابن يَعْفُرِ الْقَائِمِ كان
باليمن . وكان بمصر في دون قرمه ، فأشار عليه من شاهدَ ابْنِ
يعْفُرٍ وَسَعَةَ أمره ، بالخروج إليه ، فأخذتُ له حَاجَةً من بعض
أَهْلِنَا^(٣) ، وأضفت إليها بَرًّا بِنِي تَحْمَلُهُ^(٤) ، وخرج . فاقى بمكة عجوزاً
يَمَانِيَةً جَلِيلَةَ الْقَدْرِ فِيهِمْ ، فعرفها موضَعَهُ ، فقالت : « أنا أتكفل
بمُؤَوَّنَتِكَ وتحمُّلك ، وأغتني هذه اليد عند الأمير » ، وحملته حتى
صارت به إلى عشيرتها ، فقالت لهم : « إن آنَّ يَعْفُرُ قَتَلَ مِنَّا
في العام الماضي رجلاً ، ومعى قرابَةُ له فاقتُلوه به » ، وأجتمع

(١) النشر : المثنى المرتفع من الأرض

(٢) السواد : المعسكر ، انظر ص (٨٥)

(٣) حجة : يريد نفقة حجة عمن مات قبل أن يحجَّ وقد وجب
عليه الحج

(٤) يريد ، ما يقوم بنفقة حملته في السفر

الحَيِّ ، وتسَلَّمه أولياءُ القَتِيلِ ، فلما جُرِّدَ السيفُ اضطربَ وبَكَى ، فقال أولياءُ القَتِيلِ : « ما رضى أن نقتل هذا بصاحبنا ، صاحبنا شجاعٌ وهذا جبانٌ ! »

فبعثوا به إلى ابنِ يعفر ، وقالوا لرسولهم إليه : « إنا لا نرضى أن نقتادَ من هذا ^(١) » ، فلما وافى ابنُ يعفر ، دعا له بالسيف والنَّطع ليقتله ، وقال « هَتَكْتَنِي في هذا الحَيِّ من العَرَبِ ! » ، فقال له وزيره : « إِنَّ هذا الفَتَى خَرَجَ من فاقةٍ وأَمِنَ إلى موقفٍ تُضربُ فيه عُنُقُهُ فاضطرب ، وإنما يقتل الأَميرُ من قَادِ الجيوشِ ، وتطعمُ بحلَاوةِ الأمرِ والنهى فيه ^(٢) ، وتمكَّن من الرئاسة ثم عدل به طبعه إلى الخَوَرِ ، والذي أراه الأَميرُ : أن يعتدَّ له الرئاسة على جماعته ، ويُنفِذه إلى مهمَّاته ، فإنَّ أكثرَ الفضائلِ إنما تظهرُ بحُسْنِ الارتياضِ ^(٣) »

ففعل الملك ما أشار به عليه وزيره . فحدثني أبو عبد الله محمد بن عامر اليماني : أنه دَرَجَ بهذا التدبير ^(٤) فظهر من شجاعته ما لم يُرَ في آلِ يعفر مثله ، ثم غزا الحَيَّ الذي كانت تلك العجوز منهم ، فقتل أولاداً كانوا لها ، وأقفر به ذلك الحَيُّ «

(١) اقتاد منه : جعله قوداً أو قصاصاً يقتل بالمقتول من قومه

(٢) تطعم الشيء وتطعم به : ذاقه ليتبين طعمه حلواً هو أو مرّاً ؟

(٣) الارتياض : الرياضة والتذليل والتعليم ، يقال ، راضه وروضه .

وارتاضه

(٤) درج به : درب به وترقى درجة بعد درجة

٤٨ - وحدثني يوسف بن إبراهيم [والدي] . قال حدثني الخيزران أم الرشيد وامرأة هشام إبراهيم بن المهدي:

« أنه دخل على الخيزران أم الرشيد ، فوجدها جالسة في الدار المروقة بها - وصارت إلى أم محمد بنت الرشيد بعدها - على نمط أرميني^(١) والنمط على بساط أرميني ، وعن يمين النمط ويساره نمارق أرمينية^(٢) ، وعلى أعلى نمرة^(٣) منها زينب بنت سليمان بن علي ، وعلى يسار النمارق أمهات أولاد المنصور ونسوة من نساء بني هاشم ، إذ وقعت امرأة على طرف البساط فسالت ثم قالت : « يا زوج أمير المؤمنين ! أنا مريّة زوج هشام بن عبد الملك ، ثم مروان بن محمد من بعده ، نكبتها الزمن ، وزلت بها النعل^(٣) ، حتى أصارها إلى عارية ما تستير به مما عليها ، فتبيذت الدموع تدور في عين الخيزران . وخافت زينب أن تدخلها رقة ، فقطعت على مريّة الكلام بأن قالت : « يا أم أمير المؤمنين ! اتقي الله أن تدخلك رقة بهذه الملعونة ، فتنبوئي مقعدك من النار ،

ثم التفتت إلى مريّة فقالت لها : « بك فدام ما أنت فيه يا مريّة ! كأنك نسيت دخولي عليك بحرّان ، وأنت جالسة بصحن دار مروان ،

(١) النمط : ضرب من البسط (جمع بساط) له نخل رقيق واطئ

(٢) النمارق : جمع نمرة ، وسادة وثيرة موشاة

(٣) زلت به النعل : رلق ووقع وافترق بعد استواء الحال والنعمة

على هذا النمط ، وتحت هذا البساط ، وعن يمين نمطك ويساره هذه النمارق ، وعليها أمهات أولاد جبابرتكم ، وقد ممّلت في مثل هذا المكان الذي أنت فيه مائلة ^(١) ، وأنا أسألك وأتضرّع إليك في استيهاب جُثّة إبراهيم الإمام من مروان لئلا يُمثّل به . وقولك وأنت كالحة في وجهي : « ما للنساء والدخول في أمور الرجال ؟ » ، ثم أمرت بإخراجي من دارك بغلظة ، فلجأت إلى مروان فوجدته على حالٍ أشدّ تعظماً على رحمه منك ، وقال لي : « لقد ساءتني وفاة ابن عمي وما دبّرتُ المُنْثَلَةَ [به] ^(٢) » ، وقد خيّرتني بين إطلاقي تجهيزه له ، وبين تسليمه إليّ ، فاخترتُ تسليمه ، وأمر له بجهاز فقبلته منه ،

« قال إبراهيم : « فالتفتت مُرِيَّةً إلى زينب فقالت لها : « كأنك يابنت سليمان حمّدت لي عاقبة أمرى في قطيعتي رحمى ، فأردت أن تزيني قطيعة الرحم لأمّ أمير المؤمنين ! » ، ثم التفتت إلى الخيزران فقالت : « صدقت زينبُ فيما ذكرتُ عني ، وذلك الفعلُ مني أحاقني هذا المحلّ . والسعيدُ من اتعظ بغيره » ، وانصرفت . فبعثتُ إليها الخيزران ما أعاد إليها [حالها] ، وكفَّ اختلاها

٤٩ - وحدثني يوسف بن إبراهيم والدي ، أنه سمع بطرس ^(٣)

اليون ملك
الروم
وميكائيل
البطريق

(١) مثل بين يديه مثولاً : انتصب قائماً

(٢) المنْثَلَةُ : التنكيل بالميت أو الحي والتشويه . مثل به تمثيلاً

(٣) في الأصل : « بطوس » وسيأتى اسمه في ص (٩٨)

— رَجُلًا — يَحْدُثُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :

أَنْ « نَقْفُورَ الْمَلِكِ » — لَمَّا تَأَدَّى إِلَيْهِ الْخَبْرُ بِوفاةِ الرَّشِيدِ —
جَعَلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لِلرُّومِ ، ثُمَّ جَعَلَ عِيدًا أُعْظَمَ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ
الَّذِي تَأَدَّى إِلَيْهِ وَقُوعُ الشَّرِّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، ثُمَّ عَيَّدَ عِيدًا
ثَالِثًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَلَغَهُ خُرُوجُ أَبِي السَّرَايَا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبُرْجَانِ
لِيُحَارِبَهُمْ فَقُتِلَ .

فَسَأَلَ بَطَارِقَةَ الرُّومِ بِطَرِيقِهِمْ اخْتِيَارَ رَجُلٍ لِيُقْلَدَ مَمْلَكَتَهُمْ ،
فَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ يُقَالُ لَهُ « الْيُون » فَلَمَّكَوهُ
— وَكَانَ ذَا نِكَايَةٍ — فَدَفَعَ عَنْهُمْ وَقَدَّةَ الْبُرْجَانِ ^(١) . وَقَوَّى الْيُونُ
عَلَى ضَبْطِ الْمَمْلَكَةِ ، وَكَانَتْ الرُّومُ فِي أَيَّامِهِ أَعَزَّ مِنْهَا فِي أَيَّامِ نَقْفُورٍ ،
إِلَّا أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ بَسْطَ الْيَدِ بِالْهَيْبَاتِ ، وَالْعَفْوَ عَنْ أُسْرَى
الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْبَطَارِقَةُ الْاثْنَا عَشَرَ فِي مَجْلِسٍ عَلَى نَبِيذٍ لَهُمْ ،
فَتَذَاكَرُوا أَمْرَهُ ، وَاسْتَشْنَعُوا فِعْلَهُ ، وَكَانَ أَغْلَظَهُمْ كَذْحًا عَلَيْهِ ^(٢)
مِيخَائِيلُ الْبَطْرِيقُ الَّذِي مَلَكَهُمْ ، وَمَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ بَعْدَهُ ، فَبَلَغَ اجْتِمَاعُهُمْ
وَمَا قَالُوا الْيُونُ ، فَوَجَّهَ فِي يَوْمٍ سَبْتٍ إِلَى مِيخَائِيلَ فَأَحْضَرَهُ ، ثُمَّ
دَعَا بَتَلَيْسَ مِنْ شَعْرِ بَطُولِ مِيخَائِيلَ ^(٣) ، فَأَدْخَلَ رَجُلَاهُ فِي قَرَارَةِ
التَّلَيْسِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالتَّلَيْسِ فُرْفُوعٍ وَأَقِيمَ مِيخَائِيلَ ، فَبَلَغَ رَأْسُ التَّلَيْسِ

(١) الْوَقْدَةُ : الشَّدَّةُ وَالْبَأْسُ وَالْإِلْتِهَابُ فِي الْحَرْبِ وَمَا شَاكَلَهَا

(٢) الْكَدْحُ : السَّعْيُ الْحَدِيدُ ، وَيُرِيدُ السَّعْيَ فِي إِيْذَانِهِ وَالْإِيْقَاعَ بِهِ

(٣) التَّلَيْسُ : وَعَاءٌ كَالْعَيْبَةِ يَسْتَوِي مِنَ الْخُوصِ

إلى رأسه . ثم أمر أن يُحشَى رءُوساً فُحشَى ، فبأغ الرمل فَمَ التليس .
ثم أمر نَحِيط بِشَعَرِ جُجَّة مِيخَائِيل ^(١) ، ودعا الطَّبَّاخِينَ فَأَمَرَهُمْ
أَنْ يُعِدُّوا لَهُ طَعَاماً كَثِيراً مِثْلَ مَا يُعَدُّ فِي الْأَعْيَادِ ، ثُمَّ قَالَ
لِلْبَطَارِقَةِ - وَمِيخَائِيلَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ - : « إِذَا لَحْنُ تَقَرَّبْنَا
فِي غَدٍ ، أَلْقَيْتُ مِيخَائِيلَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَغَدَّيْنَا وَجَعَلْنَاهُ يَوْمَ .
سرور ! »

قال بطرس : « فَنَاجَتِمْعُ الْبَطَارِقَةُ بَعْدَ أَنْصَرَفَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ
وَقَالُوا : « هَذَا الْعَرَبِيُّ قَدْ امْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى مِيخَائِيلَ ، وَنَخَافُ أَنْ
يَحْتَرِئَ عَلَيْنَا كَاتِنَا » ، فَأَجْمَعُوا عَلَى الْإِشْتِمَالِ عَلَى سَيُوفِهِمْ ، وَالِدُخُولِ
إِلَيْهِ وَقَتْلِهِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ . ثُمَّ جَلَسُوا لِلْمُشَاوَرَةِ فِيمَنْ يُنْصَبُ
بِمَكَانِهِ ^(٢) ؛ وَأَسْتَشْرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَلِكاً ،
فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِسَائِرِ الْجَمَاعَةِ : « الصَّوَابُ أَنْ تُتَمَّسَكُوا بِمِيخَائِيلَ ؛ فَإِنَّهُ
يَرَى أَنْكُمْ أَنْعَمْتُمْ عَلَيْهِ بِالْحَيَاةِ » . فَاسْتَشْرَفُوا إِلَى ذَلِكَ ؛ وَرَأَوْا
مَوْضِعَ السَّدَادِ مِنْهُ . فَأَخْرَجُوهُ مِنَ التَّلَاسِ وَغَسَلُوهُ ، وَأَحْضَرُوا
الْبَطْرِيقَ وَثِيَابَ الْمَلِكِ فَأَلْبَسُوهُ إِيَّاهَا ، وَأَعْلَبُوهُ أَنَّ الْيُونَ قَدْ قُتِلَ ،
وَمَلَّسَكُوهُ عَلَيْهِمْ

« ثُمَّ صَارُوا إِلَى مَجْلِسِ الْمَمْلَكَةِ وَالْمَوَائِدُ مَنْصُوبَةٌ ، فَقَالُوا لَهُ :
« تَغَدَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِالطَّعَامِ الَّذِي دَبَّرَ الْيُونُ أَنْ يَأْكُلَهُ بَعْدَ قَتْلِكَ ! » ،

(١) الجملة : مجتمع شعر الرأس إذا طال

(٢) نصب مكانه : أقيم مكانه خليفة له

فقال ميخائيل « عازٌّ بالملك أن يَطْعَمَ طعاماً وفي حُنُوقه يدٌ
لإنسان من أوليائه ورعيته ، قبل أن يكافئته عنها ، وقد أحييته موتى
بعد موتى ، ولست أطعم طعاماً حتى يخبّرني كل إنسان منكم بجميع
حوائجه في مُدَّة عمره . » فقال كل واحد منهم ما تناهى إليه أمله ، مما يصل
ميخائيل الملك إليه . ففَضَّى جميع حوائجهم ، وسألوه الأكل فقال :
« قد فرغنا مما يجب لكم ، وبقى [ما] لله والملك اليون ، ولا يُحسُن بي
أن آكل حتى أفعل ما يجب لهما » ، ثم قال للبطريق : « ما جزاء من منع
مَلِكاً عليه من شَمِّ النسيم وروح الحياة ^(١) ؟ » ، قال البطريق :
« يُمنَع النسيم وروح الحياة » ، فقال لهم : « قد حكم عليكم البطريق
بما لا يجوز خلافه ! » ، وأمر بضرب أعناقهم وأبتدأ بطعامه

سيف بن ذى
يزن وملك
الحبشة

٥٠ — وما نقله ابن المقفع عن الفُرس وتعالمة العرب :
أن ملك الحبشة لما غلب على مملكة سيف بن ذى يزن ، خرج
إلى كسرى مستصرخاً إليه ، ومستجيراً به عليه . وكان ملك الحبشة
يُجرى على ترُجمان كسرى رزقاً مُثيباً على تحريف دَعْوَى
المتظلمين منه ^(٢) . وكان لسكسرى يومٌ في كل شهر يركب فيه ،
ويقرب من عامته ، ومن لا يصل إليه ممن آتتجعه ^(٣) ، فتَوَخَّى سيف
ابن ذى يزن ركوبه في ذلك اليوم ، فلما رآه قال : « أسعد الله

(١) روح الحياة : برد نسيمها وطيبه وخفته

(٢) الرزق المثيب : المصلح للحال بعظيم غناؤه

(٣) انتجعه : أتاه يطلب معروفه وخيره

للك ! أنا سيف بن ذي يزن ، أغار على مملكة الحبشة بفرط تعديهِ
سوء جواره ، فأخرجني من مملكة عمريتها أنا وآبائي مُذاكراً
ن مائتي سنة . وأنا أسأل الملك أن يُنجدني عليه ^(١) ، ويردني
طوله إلى مملكتي ومملكة آبائي . فسأل الترجمان عن قوله فقال :
يقول : « أنا رجل من جيلة العرب ^(٢) ، وقد اختلّت حالي .
اضطرب شملي لشدة الفاقة ، وقد قصدتُ الملك مُستترّاً به ،
مستميراً منه ^(٣) » ، فأمر له بجائزة . فرأى سيف بن ذي يزن مالا
يشبه ما ابتدأ به

وصبر إلى اليوم الذي يسهل فيه كلامه وانتظره فيه ، فلما رآه
قال : « أنا أيد الله الملك ذر نعمة وكفاية ، وإنما وفدت على
الملك لأقتبس من عزّه ، وأنتصر بقوّته » ، فسأل الترجمان عما قال ،
فقال : « يقول أمرت بما يقصر عن حاجتي » ، فأمر له بجائزة أخرى .
فوقف على تحريف الترجمان لكلامه

فانتظره في اليوم الثالث ، فلما رآه قال : أيد الله الملك ، إن
انغادر . . . فأدى إليه هذا الحرف ، فقال : « الخائن » . . . فرأى
في وجه الملك الاستفهام ، فقال : « الكذاب » . . . فأشار إليه الملك

(١) أنجده على فلان : أغاثه وأعانه عليه

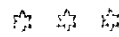
(٢) الجيلة : جمع جليل ، وهو الكبير العظيم

(٣) استمار فهو مستمير : طلب الميرة ، وهي الطعام والرزق

بيده من هو ؟ فأومئ إلى الترجمان ، فأحضر الملك ترجمانا آخر ،
فقص عليه قصته ، فضرب عنق الترجمان ، وأحسن تلقى سيف بن
ذى يزن لما تبين منه فى التأتى لإفهامه (١)

ثم أحضره مجلسه فسأله عن مقدار حاجته ، وما الذى يؤثره
من أصناف الناس ؟ فقال له : « أسأل الملك أن يُطلق لى من محاسبه
الكهول ، فإنهم أصبرُ فى الممارك ، وأسمح بالنفوس » ، فأطلق له جملة
من [فى] الحبس كهولا بأسرهم ، فحملهم فى مراكب ، وركب
معهم حتى وافتى بملكته

فلما نزل جميعهم ، أحرق المراكب ، واعتمد ذلك سرا منهم .
فلما نظروا إلى المراكب قد أحرقت . قال للرجال : « إنه لا يحسن بكم
التعذير فى القتال فتملكوا (٢) ، ولكن جدوا جدّا من لا نَجاة له
فى البحر » . فجرد الجيش العناية ، وصمدقوا حتى برزوا على من
أقام بملكته (٣) ، واحتازوا له طائفة كبيرة من أرض الحبشة ،
وقهر ملكها وآتى جانبته



أبو الوزير
وجاعة من
العمال

٥١ — وحدثني هارون بن ملول ، قال :

« تقلد أبو الوزير - خال أبي أيوب - الخراج على حال

(١) تأتى للشيء : ترفق فى إتيانه وإدراكه

(٢) عذر فى الأمر تعذيرا : قصر بعد جهد يبذل العذر فى الإخفاق

(٣) برز عليه : فاق عليه وغلبه

أضطراب من الأولياء . واستعمل - من فرط الاستقصاء على
أرباب الخراجات ، وإخراج البقوط ^(١) عليهم - ما ثقلت به وطأته
على الناس . وكان له كاتب ذهب عنى اسمه ، فى النهاية من الجزالة
والضبط ^(٢) ، وكان يُعزى إليه أكثر صنيع أبى الوزير ، فقال لى
هارون : « فقصدته جماعة من الأولياء ، فأحس بالشر فيهم ، فأغلق
الباب عنهم ، ثم تأملهم حتى عرفهم ، فكتب بفحمة : « يا سيدى
قتلنى فلان وفلان » ، وسمى جماعة رؤسائهم ، وكسروا الباب
ودخلوا إليه فقتلوه . وركب أبو الوزير حتى شاهده ، ثم تأمل
حائط مجلسه ، فوجد الكتاب بالفحمة ، فقبض عليهم فصدقوا عنه
وقتلوا به »



٥٣ - وكان لرجل من جلة كتاب الجيش بمصر - يعرف
بابن الأبرد - رغبة فى وصفه بالنصح فى أعمال السلطان ، ولا يسه
محمد بن أبى [القائد] ، فقدم العناية به والتعصب له ، ومكن له عند
نُصارويه محلا رد إليه بعض أعماله من الخراج . واحتاج فيه إلى
كاتب يحمل عنه ، فارتاد رجلا يعرف بنصر بن القاسم ^(٣) - يخلف
[ابن] الأبرد فيما أسند إليه - ، فكان يسعى به إلى كاتب نصارويه .

ابن الأبرد
وكاتبه

(١) البقوط : جمع بقط ، وهو ثلث خراج الأرض والبساتين أو ربعه
يلتزمه المعامل

(٢) الجزالة : جودة الرأى وأصالته

(٣) ارتاد الشئ : طلبه متخيراً

فكتب يوماً رقعة تشتمل على ما كرهه ابن الأبرد من التغمين به
والانتقاص له^(١) ، ويشير فيها بأشياء تُفسد محله ، وبحث بها إلى
كاتب خمارويه . فغلط الغلام وجاء به إلى ابن الأبرد ، فاستعرض
فيها أشياء قبيحة ، وفارق الكاتب . ورأى الكاتب أنه قد أحرز - بما
أتاه من السعاية - مكانةً عند كاتب خمارويه . وقُتل خمارويه ،
وثبتت يد كاتبه على الأمر ، فرام نصر بن القاسم أن يدخل في
جملته ، فامتنع من ذلك وقال : « من سعى إلينا سعى بنا » ، فمات نصر
ابن القاسم كمدأ

٥٣ - وسمعت سعيد بن عبد الله بن الحكم يقول :
« وجد في أخبار مصر المسندة أن عمرو بن العاص عند تغلبه
على مصر كان يتنكر ويخرج وحده ، متشبهاً بالرجل من عامته ،
ليرى ما عليه القبط من النية للمسلمين . فتمادى به السير راجلاً حتى
لحق بطريق من القسطنطينية ، فرأى جماعة قد التأم على سوء
فيه^(٢) ، فقال لها : « اعملوا بي كل ما تؤثرون من السوء ولا تردوني
إلى يد الأمير ، فإنى هربت منه » ، فقال بعضهم : « ردوه إلى يد الأمير
فإنه يقتله » ، ويكون لكم بذلك عارفة عند الأمير . فساقوه إلى دار
[الإمارة] ، فأخذ يتضور ويتأبى في سياقته حتى قرب من الدار^(٣) ،

(١) التغمين : الطعن على الرجل وإظهار غمزه ، أى عيبه

(٢) التأم القوم على الشيء : اجتمعوا عليه

(٣) تضور : تلوى واضطرب وصاح من خوف أو وجع أو جوع

عمرو بن
العاص
وتذكره

فقام إليه الشرط . فقال : « لا يفوتكم منهم أحد ! » ، فجمعوا له ،
فأتى على آخرهم ، ولم يعاود التنكر .

الدفاني
والخناق

٥٤ — وكنت أعرف شيخاً في أيام خماروبه ، حلوا النادرة ،
مليح الألفاظ ، يُعرف بالدفاني ، وكان معاشه من التوصل بكتب
الولاية إلى معلمهم . فحدثني أنه خرج بكتب إلى الشرقية ، فالتقى
مع رجل في زى بعض المسانية من الأطباء^(١) : « وهو على حمار
بُخرجين ، وكنتُ على حمار . فاستخبرني عن صناعتى ، فتحدثت عنده
بأن قلت : « أنا تاجر في الغلات » ، فطمع في ، وكان مُبتهجاً ،^(٢)
فقال لي : « هذا موضع طيب ، فلو أكلنا فيه ا » ، فقالت : « ذاك
إليك ا » ، فأخرج من أحد خرجيه رغيفين مشطورين ،^(٣) فوضع
أحدهما بين يدي والآخر بين يديه . ثم أخذ كوزاً معه ومضى
يسعى به ، فشبهت نفسي إلى الرغيف الذى كان بين يديه ،
فأبدلته حتى صار بين يدي وصار رغيف بين يديه . وجاء بالمساء ،
وابتدأنا بالأكل ، فما ابتلع لقمة حتى شخس بصره وتمدد^(٤) ،

(١) المسانية . هم المانوية الزنادقة أصحاب ماني

(٢) البنج . نبات يتبذ ، إذا استعمل خدر وفتر وأرقد . وبنجه : سقاؤه منه .

(٣) المشطور : المقطوع شطرين ، والشطير : نصف الرغيف والجمع

شطائر ، وستأتى

(٤) شخس بصر الميت : إذا ارتفعت أجفانه إلى فوق وجعل لا يطرأ

واجتاز بنا جماعة فقالوا: «ما صاحبك؟»، قلت: «لا أدري والله!»، فقالوا لي: «أنت مبسج بنسجت هذا المسكين!»، وساقوني فكان من لطف الله أن خليفة لموسى بن طونيق كان ببلدهم ريجاورني يتقلد المدونة، فساقني القوم إليه، والرجل محمول معنا، وهم يقودون الحمارين، وقالوا له: «هذا مبسج وجدناه!». فلما رأني ضحك إلي وقال: «متى تعلمت التبسج؟»، قلت: «اليوم»، وقصصت عليه خبري، وأخرجت كتاب موسى بن طونيق في برّي. ففتش خُرجه، فوجد فيه شطائر تبسج وشطائر خالية، ووجد معها أوتاراً للخنق، وأحجاراً للشدخ. فشدخ رأسه بها، وخنقه بتلك الأوتار حتى فاظ» (١)



وإذ وقينا ما وعدناك به - من أخبار المكافأة على الحسن والقبیح - خاتمة المؤلف للباب الثاني
مارجوناً أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير، وتطلب العارفة في الحسن، وزجر النفس عن متابعة الشر، وإبعادها عن سورة الانتقام في القبیح (٢)، وقد قالوا: الخير بالخير والبادي أخير، والشر بالشر والبادي أظلم...، رأيت أن أصل ذلك - حفظك الله - بطرف من أخبار من ابتلى فصبر، فكان ثمرة صبره حسن العقبى؛ لأن النفس إذا لم تُعَن عند الشدائد بما يجدد قواها، تولى عليها اليأس فأهلكها

(١) شدخ رأسه: كسرها، وفاظ الرجل: خرجت روحه فمات

(٢) سورة الخير وغيرها: شدتها ووثوبها في الرأس

وقد علم الإنسان أن سفورَ الحالة عن ضدها حَتْمٌ لا بدَّ منه ،
كما علم أن انجلاء الليل يُسْفِر عن النهار . وليكنَّ خورَ الطبيعة أشدَّ
ما يلازم النفس عند نزول الكوارث ، فإذا لم تعالج بالدواء ،
اشتدَّت العلة وازدادت المِحنة . والتفكُّر في أخبار هذا الباب ،
مما يشجِّع النفس ، ويبيحُّها على ملازمة الصبرِ وحسن الأدب مع
الرَّبِّ عز وجل ، بحسن الظَّنِّ في مُوَاقاة الإحسانِ عند نهاية
الامتحان . والله وليُّ التوفيق



٣ — حسن العقبى

٥٥ — [سقط من الأصل أول الكلام]

إلى بالشئ بعد الشئ ، مما تخلف عن تلك الوديعة ، وعجوز تختلف
بذلك ، لها ولد يتشطر ويلعب بالحمام^(١) ، فوردت عليهما بدرة^(٢)
دراهم^(٣) ، وقد انتهى بهما السعى في الإيداع . فقالا للعجوز :
« صيرى بها إلى ابنك مع هذا الغلام حتى تؤدعيها لنا عنده » ، فمضت
بها والغلام معها ، فخذنا الغلام قال :

« صرنا إليه وقد فتح باب السُّرَج وأخرج فراخاً زُغياً^(٤) ،
وهو ينظر إليها ، فأدبنا الرسالة إليه ، فقال : « ليس لي خزانة ولا
صندوق ، ولكن اجعلها في هذه المحضنة الخالية من السُّرَج^(٥) » ،
قال : « ففعلت »

« وانصرفنا جميعاً على أنه يَمزِّقها مع الغلمان وسباق الحمام^(٥) .

(١) شطر شطارة وتشطر : خرج عن أهله وتركهم وأعيانهم خبيثاً ،
وهو الشاطر وهو صاحب الفتوة والمرودة والقوة

(٢) البدره : كيس يكون فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة
آلاف دينار والجمع : بدور وبدرات

(٣) زغب : جمع أزغب : وهو فرخ الطائر يكون عليه الزغب ، وهو
أول ما يبدو من دقاق ريشه

(٤) المحضنة : الموضع الذي يحضن فيه الحمام على بيضته

(٥) السباق : هم الذين يتراهنون على سباق الحمام

ابنا الاخبارى
وغلام يتشطر

ثم صلح ما كان التآث من أمرنا^(١)، واطمأنت نفوسنا بما كان أخافنا، فبعثنا فيما كنّا أودعناه الشيخ، فقال للغلام: « غَطِطَ بَنِي ، وليست الرسالةُ إلىَّ »، فلما رجع بالجواب إلينا، تحيرنا وركبنا إليه، فاستمر في الجحود، وتضاحك بما لقيناه به، ورجعنا وقد لحقنا من فقدِ الوديعة أكثر مما كنّا نخافه من النكبة. وميّلنا بين مطالبته بما نُلبّ به على مقدار ما أودعناه^(٢)، ونُطِيع مَنْ خفناه، وبين الإمساك عنه، وترُّبص الأيام به، فمالت نفوسنا إلى الإمساك لما اجتمعت لنا الصغائر المغادرة للعدل^(٣). واجتازت بنا العجوز فقالت: « قد ردّدتنا ما أودعناه وبقى ابني ». واقتضت الغلام يحمل البدره فبعثنا به معها

فحدّثنا الغلام قال: « وافيناه بين يدي البرج: فأدّت العجوز إليه الرسالة، فقال للغلام: « ادخل نُخْذِها من المحضنة التي خلقتها فيها »، فصار بها إلينا الغلام وعليها ذرّق الحمام^(٤)، فوزّناها فوجدناها على ما كانت عليه. فكسر تعجبنا من أمانته؛ وأخرجنا من البدره ألف درهم، وتقدّمنا إلى الغلام بالمصير بها إليه. فرجع الغلام إلينا فقال: « رمى بها إلىَّ وشتمني ». فأثرنا ارتباطه^(٥)

(١) التآث الأمر: اختلاط والتف وفسد

(٢) ميل بين الأمرين، ومايل بينهما: فاضل ووازن

(٣) هكذا في الاصل

(٤) ذرق الطائر: سلحه وخرؤه

(٥) ارتباطه: أوثق صلته به

وقلنا للعجوز: « صيرى به إلينا الساعة ! » ، فوافانا ، فقلنا :
 « انبسطنا إليك فانقبضت عنا ! » ، فقال : « الخيانة - أعزكم الله -
 أسهل من أخذ أجرٍ على الأمانة » ، فقلنا : « جزاك الله خيراً ، فقد
 وجدنا فيك ما لم نجده في غيرك » ، فقال : « وتخلّف عنكم شيء مما
 أودعتموه » ، فقلنا : « نعم ! » ، فقال : « عرفوني ، فإنى أرجو
 أن آخذَه لكم بالطفِ حيلةً » ، فرأيناه - لما فيه من فضل النفس
 وكَرَمِ السَّجِيَّةِ - أهلاً لأن نُبَيِّهَهُ وَجَدْنَا ^(١) ، فأخبرناه : فقال :
 « ينبغي أن تتقدّما إلى بعض من تثقّان به من غلمانك ، أن يتيقّظ ؛
 فلعلّي أن أناديّه الليلة » : فقلنا : « وما تريد بذلك ؟ » ، فقال : « ما لا
 يجوز أن أبديه ، وأرجو عون الله عليه ، والتفريح عنكما به » ، ففعلنا
 ذلك ، وما يتناول سؤلنا إلى ما أتاه ^(٢)

فجمع إخوانا له في عدّة كثيرة من الشُّطَار ^(٣) ، واقنحم على
 المستودع وقال له : « ما جئنا لنهَبُكَ ، ولا نتعرّضُ لشيءٍ من مالك ،
 وما جئنا إلّا لوديعَةِ ابْنِ عُمرِ الأخباري . فإن أدَّتْهَا خرجنا
 وكأنا ما دخلنا . وإن جحدت واعتمدت بصياحٍ قتلناكَ الساعة ،
 وسهل علينا عقوبتُنا فيك وقتلُنا بك ، لأنّا نُرْزَقُ الشهادة في القتل
 والمشربة ، إذ كنا نجاهد عمّا اختزلته ^(٤) » ، وضرب إلى الحِيتَةِ

(١) بشه وجده : أطلعه على ما يهكم من الأسف والحزن

(٢) السؤل : البغية

(٣) الشطار جمع شاطر انظر ص (١٠٧)

(٤) اختزل المال : اقتطعه وانفرد به

وَأَعَجَلَهُ ^(١) ، فقال : « هي في هذه الخزانة » . ودعا بغلام فقال :
 « أَخْرِجْ جَمِيعَ مَا [أَوْدَعْنَاهُ أَبْنًا] عُثْرٌ » ، فَأَخْرَجَ سَفَطًا كَانَ فِيهِ
 جَوَاهِرٌ ، وَسَفَطًا ^(٢) فِيهِ أَثَوَابٌ وَثِي مَذْهَبَةٌ صِحَاحًا ، وَبُدُورًا فِيهَا
 مَالٌ ^(٣) ، فقال : « وَاللَّهِ إِنْ خَافَتْ شَيْئًا لَنُطْلَنَ دَمُكَ » ^(٤) ، وَلَئِنْ
 كُنْتَ أَدَيْتَ الْأَمَانَةَ لَنَسْكُونَنَّ أَرْيَاءَكَ وَالْمُقِيمِينَ بِأَمْرِكَ ،
 فَوَافُوا بَابَ مَنَازِلِنَا ، فَصَاحُوا بِالْغِلَامِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْوَدِيعَةَ ،
 فَوَضَعُوهَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَحَدَّثُونَا بِحَدِيثِهِمْ ، وَقَالُوا : « اسْتَعْرِضُوا
 وَدِيعَتَكُمْ ، فَتَحْنُ فِي الدَّهْلِيزِ حَتَّى تَفْرُغَا وَتُخْبِرَانَا : هَلْ بَقِيَ مِنْهَا
 شَيْءٌ أَمْ لَا ؟ » ، فَلَمَّا عَرَضْنَاهَا عَلَى ثَبَّتَيْهَا عِنْدَنَا ^(٥) ، مَا غَادَرَتْ شَيْئًا
 مِنْهُ ، وَعَادَتْ بِمَا رَدَّ إِلَيْنَا نَعْمَتُنَا ، وَأَنْحَسِمَتْ فَاقْتَتْنَا ، وَلَمْ نَجِدْ
 فِي الْجَمَاعَةِ مِنْ قَبْلِ شَيْئٍ مِمَّا بَدَلْنَاهُ ، وَانْصَرَفُوا »



رجل مختل
الحال وعباس
البرمكي

٥٦ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَمِينٍ قَالَ :
 « كُنْتُ أَكْتُبُ فِي حَدَائِقِ لِلْعَبَّاسِ بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، وَكَانَ
 طَوِيلَ اللِّسَانِ مَخْشَى الْغَضَبِ . فَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي دَارِهِ
 بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ رَثَ الْهَيْئَةِ »

(١) ضرب إلى لحيته : أى ضربها بيده فأمسكها

(٢) السفط : الوعاء الذى تعبى فيه الثياب

(٣) البدور : جمع بدرة ، انظر ص (١٠٧)

(٤) طل دمه : أهدر وأبطل ديته

(٥) الثبت : جريدة تثبت فيها الاشياء - (الكشف)

فأكب عليه فقال : « ألسنت ابن فلان صد يقينا ؟ » ، فقال : « نعم ،
ياسيدي ! » ، فقال : « قد كان حسن الظاهر جميل الهيئة ؛ فما بانخ بك إلى
ما أرى ؟ » ، قال : « كان تجمله أوفى من عايدته ! وتوفى ، فكنت
أتبانخ بما يستعمله الموقى على جأه^(١) ، إلى أن خان طبعي البارحة
ولم أطق ستر ما بي فقصدتك » ، فدعا بمائة درهم ، وقال : « تمسك
بهذه إلى أن أنظر لك في عائد عليك من الشغل » . فلما قام من عنده
قال لغلام يثق به : « نص أثر هذا الفتى : فانظر ما يبتاعه بهذه
الدراهم وأحصه عليه حتى يدخل منزله ، وأعرف المنزل وصر إلى » .
فرجع إليه وقال : « ياسيدي ! هذا غلام عيار^(٢) ! ابتاع بدئف
وثلاثين درهما سميذا وسكرا وعسلا ولحما كثيرا وحوامج
الأعراس^(٣) ، وأخذ طبّاخا من طبّاخي الأعراس ، وأحسب أن
عنده دعوة وقد عرفت منزله » ، فقال : « دعه » .

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى وافى الفتى فأعرض عنه ، واستثقل
جلوسه بين يديه ؛ فقال : « ياعتي وسيدي ! ليس يشبه هذا اللقاء
ما لقيتني به في الأولى ! » ، قال : « كنت في الأولى راجيا لصلاحك ،
وأنا اليوم آيس منه » ، فقال : « وكيف ظننت ذلك ؟ » ، قال :

(١) تبلغ بالشئ : اتخذه بلغة يكتفى بها

(٢) العيار : أصله الكثير المحي والذهاب الذكي الطواف ، وهو

هنا (البلطجي)

(٣) السميذ : دقيق تتخذ منه الحلوى

« أخذني غلامى أنك أنفقتَ إلى أن بلغتَ منزلَكَ نَيْفًا وثلاثين ، وكان حَقُّكَ أن لا تزيد على ثلاثة دراهم » ، فقال : « لو خَبَرْتَنِي لَقَدَّمْتُ عُذْرِي ! » ، قال : « ما خبرك ؟ »

، : « كنت مع تضائيقِ حالى ، أُمِسِكَ نَفْسِي عن المسألة ، رَوَاهِلِي على البُلْغَةِ ^(١) . وأنا ساكنٌ وأهلى فى ظهر دار . ووصف رجالَ ظاهرَ اليَسَارِ من التجار . وقال : « له فى مطبخه تَفِضَى إلى منزلى . فأولمَ وَلِيَّةً لأشك فى حضورِكَ فَشَرِقَ منزلى بروائحِ الأَطْعَمَةِ ، وكانت الصَّبِيَّةُ من صبياني فتقول : « رائحة جَدَى يُشَوِّى ! » وأخرى تقول : « رائحة تُقَلِّى ! » وهذه تقول : « يَا أَبَه ! أَشْتَهَى من هذا الفالوذج نَدَّ شَاعَتُ رَائِحَتُهُ لِقَمَةً ! » ، وقولهم يُقَرِّحُ قَلْبِي ^(٢) . وَأَمَلْتُ ، وَنَى فَأَتَحَمَّلُ التَزْلِيلَ لَهُمْ ^(٣) ، فوالله ما رَأَيْتُ أَهْلًا لَذَلِكَ ، « راحلته إِذْ نَقَضَتْ عنده من منزلةٍ من يدعونى أن يبعث إلى ؟ أَفْعَل . فَبِتْ بِمِلَّةٍ لَا يَبِيتُ بِهَا الْمَلْدُوغُ ، فَأَصْبَحْتُ فى الغدَاةِ ، أَوْثَقَ فى نَفْسِي مِنْ سَائِرِ مَنْ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ . فلما أُعْطِيتَنِي دراهمَ اشترِيتُ بِهَا حَوَائِجَ أَصْلِيحٍ مِنْهَا مَا أَشْتَهَوُهُ ، فَأَكَلُوا نَهْ ، وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ فى الإِحْسَانِ إِلَيْكَ ، وَالْخَلْفِ عَلَيْكَ »

البالغة : كل ما يكتفى به

(١) يقرح قلبه : يجرحه ويملاه قروحاً

(٢) التزليل : حمل الطعام من الولية عند الانصراف عنها

فقال له العباس : « أحسنت ! بارك الله عليك ! » ، ثم صاح :
 « يا غلمان ! أسيرجوا لي » ، وليس ثياباً به ، وركب وركبت معه ،
 ودخل إلى صاحب الصنيع ^(١) فقال : « دعوتني وجماعة وجوه
 بغداد إلى طعام مَقَّتَنَا الله عليه ! وعرضت نعمتنا للزوال ، وأنفسنا
 إلى احترام الأعمار ! » ، وقص قصة الفقي ، وقال : « عزمتُ على
 أن أصدق عن كل من حضر وليمتك ^(٢) ، وتكونُ سبباً لتخلف
 الناس عنك ، والإمساك عن إجابتك أخرى الليلي » ، فقال :
 « أنا أفتدي إذاعتك بما غفلتُ عنه بخمس مائة دينار » ، قال :
 « أحضرها » ، فأحضرها ، فقال : « اقْبُضْهَا » ، فقبضها .

ثم ركب إلى جماعة فقال : « أعطوني في مَعُونَةِ رجلٍ من أبناء
 النعم اختلَّتْ حاله » ، فأخذ منهم خمس مائة دينار أخرى ، ورجع
 إلى منزله - وقد كان أمرَ الفقي ألا يبرَحَ منه - ، فأدخله إليه ، وقال :
 « فِيمَ تهش إليه من التجارة ؟ » ، فقال : « في صناعة الأنماط ^(٣) ،
 فإنها صناعةُ أسلافنا ، ومن بها يَعْرِفُ حُقُوقَنَا . فدعا برجلٍ منهم
 حَسَنَ اليسار ، فأخرج إليه الألف الدينار التي أخذها ، فقال : « هذا
 المالُ لهذا الفقي ، فليكن في دُكانك ، واشترِ له بها ما يصلحه من
 المتاع وبَصُرْ به » ، ثم قال للفقي : « احذر أن تُتَفِقَ إلا من رِبْحٍ » ،
 فأنصرف الفقي ، وقد رُدَّ عليه سَتْرُهُ ،

(١) الصنيع : الولية

(٢) صدق عنه : أخرج صدقة

(٣) الأنماط : جمع نمط ، وهي ضرب من البسط له خمل رقيق

خلف لي أحمد بن أيمن : « أن بضاعته تَشَمَّرت ^(١) ، وأرباحه
آتصلت ، وعامل السلطان ، ودخل في جملة التجار وجلتهم »

٥٧ - وحدثني أحمد بن أبي عمران ، عن مسلم بن أبي عقبة ،
عن أبيه عقبة ، - وكان عقبة هذا مصادقاً لأبي يوسف القاضي
وتربأ له ^(٢) - ، قال :

أبو يوسف
القاضي
والغوى

« كان أبو يوسف قد انقطع إلى أنحاء الفقه ^(٣) ، فأحسن القول
عن أبي حنيفة ؛ وكانت زيادته في العلم ، بمقدار نقصانه في الرزق .
وكان كل من يستعرض حاله بالكوفة ، يشير عليه [بالرحلة]
إلى بغداد ، ويرى أبو يوسف صواب ما يُشار به عليه ، فيقعده .
نقصان حاله عن المركب الفاره ^(٤) ، واللبسة التي تُشبهه من حلل
محلّه من العلم ، ونزع إليه من أقصى النواحي ^(٥) »

« وكان له غلام كان لأبيه ، حاذق بعمل الجواشن والدروع
وكثير مما يحتاج إليه من آلة الحرب ^(٦) ، وكان يأتيه في كل شهر .

(١) تَشَمَّرت : نمت وكثرت ثمرتها وأرباحها

(٢) ترب المرأة : هي صاحبها التي ولدت معها ، وأما الرجل فهو
« لدته وسنه »

(٣) أنحاء الفقه : وجوهه وأبوابه ونواحيه

(٤) الفاره : النشيط الحاد القوى من الدواب

(٥) نزع إليه : قصد من بعد

(٦) الجواشن : جمع جوشن : درع وزرد يلبسه الصدر والحيزوم

من العنق

بمسا يقوته في حاضرة الكوفة ، ولا يُعينه على حضرة السلطان .
فرغب في الغلام عامل المهدي على الكوفة - قد ذهب عنى اسمه - ،
فطلبه من أبي يوسف - وهو يومئذ من أصاغر رعاياه - ، فباعه
منه بتسعين ديناراً

« وخرج عند ذلك إلى بغداد ، فارتاد دابةً وثياباً
« وكان لعبد الله بن القاسم الغنوي - أحد أصحاب الأعمش -
محل من المهدي ، ولم يكن في المجالس التي تتعقد ببغداد في الفقه
أجل من مجلسه . فدخل أبو يوسف مع كافة من دخل ، من غير
تسليم على عبد الله ، ولا مقدمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف
حسن الصورة ، جميل الإشارة ، لطيف التخلص والاحتجاج ،
فقبله قلب عبد الله ولم يعرفه

« وجرت مسائل وأجوبة ، كان حظ القياس فيها مقصراً ، وكان
الاحتجاج على ظاهر القول . فتكلم أبو يوسف فيها فأحسن
الاحتجاج وجود ، وأعانه على هذا طول لسانه وحسن بيانه ، ثم
سألهم فقصروا عن الجواب ، فأبان عنه لهم برفق . فلما تقضى
المجلس عاتبه عبد الله على تخلفه عنه وتعريفه مكانه ، وسأله أين
نزل ، فأخبره . فرغب له عن الموضع الذي سكنه ، ودعاه إلى
منزل بالقرب منه ، وقرر خبره عند أبي عبيد الله كاتب المهدي ،
فوصله بالمهدي وأسنى رزقه ^(١) ؛ ثم قرّنه بالهادي فأقام معه مدة

(١) أسناه : جعله سنياً أي ربيعاً عظيماً

أيامه ؛ وبلغ مع الرشيد عالم يباينه عالم بعلمه ، ولا محبوبٌ بمحبته »

٥٨ - وحدثنى علي بن سند - وكان انقطاعه في أيام الموفق والمعتضد إلى أحمد بن محمد بن بسطام ، وكان آل عبيد الله بن وهب يَحْقِدُونَ [عليه] أسوَّالَفَ مُسَكَّرَةً ، ولم يكن مع عبيد الله من سوء المباداة مامع القاسم آبنه ^(١) . فلما حُبِسَ أحمد بن محمد ابن بسطام ، قُبِضَ علينا معاشرَ خلفائه في الأعمال ، وأُثْبِتْنَا في جَرِيدَةٍ ^(٢) ، وتُقدَّمُ بإحضارنا إلى داره ، فيئسنا من الحياة - ، وقال لي علي بن سند :

علي بن سند
وأبي الجيش
ثابت

« فلم يكن في جماعتنا أضعفُ حالاً مني ولا أقلُّ ناصراً ، فرأيت الموت . وحملنا إليه ، وقد أحضر الجلادين والسيَّاط والموَكَّلين بالمعابر ^(٣) ، قال : فُقدَّم منا رجلٌ من جِلَّةِ أصحاب أحمد بن بسطام فُضِرَ ، وأُخذ خُطُّهُ بما أعلم أنه لا تصلُ إليه يده . وبين يديه رجل ظهره إلينا لا نعرفه ، فلما فرغ [من] أمره ، سمعت الذي بين يديه وهو يقول : « هَنَنْتُ عَارِفَتَكَ ! » ، فقال : « ذَرُّهُ ! حتى يرى عِظَمَ ما سلم منه بك » ، فقال : « هو يراه غداً » ، فقال القاسم : « سلّموا عليَّ بن سند - لا رعاد الله ! - إلى صاحبه أبي الجيش ثابت » ،

(١) باداه مباداة : أظهر له ما في نفسه من عداوة أو غيرها

(٢) الجريدة : ورقة تجرد فيها الأسماء وتكتب (كشف بيان)

(٣) المعابر : هكذا بالأصل ، ولا أدري ما هو ، ولعله يريد بعض

فرأيتُه وقد قبلَ يده ، ورُدَّتْ عليَّ الحياةُ بشفاعته ، وأُطْلِقْتُ من غير مصادرة ولا عقوبة ^(١)

« فلما رجعُ ثابتٌ إلى مكانه ، وصارَ بي رسولُ القاسمِ إليه ، قال لي : « سرَّ بي اسمُك في الجريدةِ فاستوهبتُك ، لأنَّ أباك كان من إخواني » . فجزَّيتهُ الخيرَ على رعايته والدي ، في

محمد الغوري
ولص

٥٩ - وحديثي محمد بن صالح الغوري ، قال :

« كانت لي بضاعةُ أعودُ بفضائها على شملِي ، فأفترقتُ في معاملاتٍ في الصَّعيد ، وخرجتُ إلى من عاملته فجمعتها ، وكان مقدارها خمس مائة دينار . وخرجت أريدُ الفسطاط في رُقَّةٍ كثيرةٍ الجمع ، فلما كان مُنتصفُ طريقنا ، وأتى جمعٌ من الصَّعاليك فسلبَ الناسَ جميعاً . ودَهَشْتُ ^(٢) ، فرأيتُ منهم شاباً حَسَنَ الصورة ، فقلتُ له : « والله ما أملك غير هذا الكيس ، فارفعه لي عندك ! » ، فقال : « وأين يبيتك بالفسطاط ؟ » ، فقلت : « في دورِ عَبَّاس بن وليد » ، فقال : « ما اسمُك ؟ » ، قلت : « محمد الغوري » ، قال : « امضِ لشأنك » . وجاءَ منهم من قاعَ ثيابي وسراويلي ، وانصرفوا عنا . ولم أزد أن سوَّغتُ واحداً منهم جميع ما كان معي ^(٣) ، ودخلنا إلى

(١) المصادرة : توثيق الاتفاق على مال يدفع يفرق على أدائه أحد

الطرفين

(٢) دهش : تحير واضطرب

(٣) سوَّغته : أعطاه له سائغاً سهلاً

الفسطاط ونحن فقراء . فرجع كل واحد منهم إلى ما تخلف له ،
وبقيت ليس معي درهم أنفقهُ

« وإني لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة ،
حتى رأيت رجلاً قد وقفَ بي ، فقال لي : « هاهنا منزل محمد
الغوري ؟ » ، قلتُ : « أنا هو ! » ، ولا والله ! ما اهتديتُ إلى الرجل
الذي أعطيته المالَ ، لأنه كان عندي أولَ مالٍ ذاهبٍ ، فقال لي :
« عَنَيْتَنِي ! » ^(١) ، وأخرج السكيس فدفعه إليّ ، فَرَدْتُ على جِدَّتِي
وتطعمتُ الحياةَ ^(٢)

وكان بالقرب منّا قائدٌ يُعرَفُ بابنِ قرّا ، كنتُ مُعامِلاً له وكان
له محلٌّ ^(٣) ، فسألت اللصَّ المبيتَ عندي ففعل . فأصبحت وصرْتُ
إلى ابنِ قرّا وقصصت عليه قصّة الرجل ، فقال لي : « الطُفْ لي فيه ،
فوالله لا نُؤْهِنَ بِاسْمِهِ ، ولا نُكافِئَنَّهُ عنكَ » . فرجعت إليه فأخبرته ،
فوالله ما أرتاع ولا اضطرب ، ومَضَى معي : فأحسن تلقّيه ، وخلعَ
عليه ، وصيّره سيارَةً لعمَلِهِ ، ^(٤) وضمّ إليه عِدَّةَ وافرة . ولم يزل في
حَبْرِهِ إلى أن تُوفِّيَ »

☆☆☆

(١) عتيتني : أتعبتني

(٢) الجدة : الوفرة والغنى ، وتطعم الشيء : ذاقه وتمتع به

(٣) يريد : كان له محل رفيع ومكانة

(٤) وردت هذه الكلمة قبل صفحة ٣٨ ولست أحقق معناها ، وهي

على كل حال : عمل من أعمال الدولة في ذلك العصر

٦٠ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب ، عن أبيه ، عن جده مصقلة ومعه ابن زائدة

واضح ، قال :

« كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر عداوة في أيام المنصور ، وكان مصقلة بن حبيب ينقل عنه إلى جعفر ما يكره ، ولا يُمكنُ المهدي أن يسطوَّ على مصقلة ولا يمسُّه بسوء . فلما تولى الخلافة نذر دمه ، فاخفى . فحدثني مصقلة أنه نبأ به موضعه الذي كان به ، فخرج مستترا يريد غيره ، فلاحقه رجل من أعدائه وصاح في أصحاب الأرباع^(١) ، « هذا بُغية أمير المؤمنين ! » ، « فتمسرع إلى الشرط ورأيت الموت عياناً . فبينما أنا في أيديهم ، اجتاز بي معن بن زائدة ، فصاحت به : « ياسيدي ! يا أبا المنذر ! أجزني أجازك الله ! » ، فقال للشرط والرجل المتشبهت بي : « خلوا عنه » ، فقال الرجل : « ماذا أقول لأمر المؤمنين ؟ » ، قال : « تقول له إنه عندي » ، ثم أمر بحمل على جنيبة من جنائبه^(٢) ، وسار بي إلى منزله ، وقدم طعامه فأكلت معه ومع ولده . فلما فرغنا من الطعام قيل له : « وافي رسول أمير المؤمنين ! » ، فقال لولده : « أقضوا حقِّي عليكم بالآتسألوا مصقلة ، فقد استجار بي ! » . فخلفوا له

(١) أصحاب الأرباع : هم فيما نستظهر من بعض النصوص ، الذين يتولون مراقبة المسافرين ، والنظر في أحوالهم ، ويكون لهم حق حبس الداخلين إلى المدينة عن دخولها ، وقد مضى ذكرهم أيضاً في ص (٥١) والأرباع هنا هي النواحي : أي نواحي المدينة ومداخلها

(٢) الجنيبة : هي الناقة التي يحمل عليها الطعام والميرة ، والجمع جنائب

على ذلك ، وركب

« فلما رآه المهدي قال : « تَجِبْ عَلَيَّ يَا مَعْز ؟ » ، قال : « نعم يا أمير المؤمنين ! » ، قال : « ونعم أيضاً ؟ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! قَتَلْتُ فِي دَوْلَتِكَ زُهَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ عَدُوٍّ ، وَلَا أَسْتَحِقُّ أَنْ أُجِيرَ فِيهَا عَدُوًّا وَاحِدًا ! » ، قال : « نعم تستحق ذلك ، قد وهبناك دمه » ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! ليس هكذا يُنْعَمُ مِثْلُكَ بِالْحَيَاةِ ! إِذَا تَصَدَّقْتَ عَلَى أَحَدٍ بِحَيَاتِهِ فَاجْعَلْهَا فِي خَفِضِ عَيْشٍ مِنْ نِعْمَتِكَ ^(١) » . قال : « يُعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! لَا تَسْتَوِي جَائِزُكَ وَجَائِزَةُ عَبْدِكَ مَعْنٍ ! هَذَا مَسْمُوحٌ لَهُ بِهِ » ، فقال : « آدِفْعُوا إِلَيَّ جَارَ مَعْنٍ أَلْفَى دِينَارٍ » . فَخِمْلَتْ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَأَمَنْتُ عَلَى نَفْسِي »

٦١ - وَحَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ ، قَالَ :
« لَمَّا تَوَفَّى خُحَّارُويه ، قَبِضَ عَلَيَّ - وَعَلَى مُضَرٍّ وَشَيْبَانَ ابْنَيْ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ - جَيْشُ بْنُ خُحَّارُويه ، وَحَبَسْنَا بِدَمَشَقٍ . فَلَمَّا قَفَلْنَا إِلَى مِصْرَ ، حَبَسْنَا فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمِيدَانِ مَعَهُ . وَكَانَتْ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَائِدَةٌ نَجْتَمِعُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ فِي الْحُجْرَةِ رِوَاقٌ وَبَيْتَانِ ، وَجُلُوسُنَا فِي الرِّوَاقِ . فَوَافَى خَدَمُ لَهُ ، فَأَدْخَلُوا أَخَانَا مُضَرَ فِي الْبَيْتِ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَانْفَصَلَ عَنَّا . وَكَانَتِ الْمَائِدَةُ تُقَدَّمُ إِلَيْنَا ، وَنُمنَعُ أَنْ

أولاد ابن
طولون وابن
أخيهم

(١) الخفض : السعة والدعة واللين في العيش

نُلْقِيَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئاً ، فَأَقَامَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا يَطْعَمُ وَلَا يَسْتَنْغِثُ . ثُمَّ
وَأَفَانَا ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ جَيْشٍ ، فَقَالُوا : « مَامَاتِ أَخُوكُمْ بَعْدُ ؟ » ،
فَقُلْنَا : « مَا نَسْمَعُ لَهُ حِسَاباً ! » ، فَفَتَحُوا الْبَابَ فَوَجَدُوهُ حَيّاً ، وَرَامَ
الْقِيَامَ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، وَرَمَاهُ الثَّلَاثَةُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ فِي مَقَاتِلِهِ فَطَفِئَ^(١) .
وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا لَيْسَةَ جُمُعَةٍ ، وَأَخْرَجُوهُ وَأَغْلَقُوا
الْبَابَ عَلَيْنَا

« وَأَقَمْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ لَمْ يَقْدَمْ إِلَيْنَا طَعَامٌ ، فَظَنَّنَا أَنَّهُمْ
يَسْلُسُكُونَنَا بِنَا طَرِيقَهُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْإِحْدِ ، سَمِعْنَا رَجَّةً فِي الدَّارِ
وُفْتِيحَ بَابِ الْحَجَرَةِ ، وَأَدْخَلَ إِلَيْنَا جَيْشَ بَنِي خُمَارٍ وَبِهِ ، فَقُلْنَا : « مَا خَبْرُكَ
فَقَالَ : « غَلَبَ أَخِي عَلَى أَمْرِي ، وَتَوَلَّى إِمَارَةَ الْبَلَدِ هَارُونَ بْنُ خُمَارٍ وَبِهِ »
فَقُلْنَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبَضَ يَدَكَ ، وَأَضْرَعَ خَدَّكَ ،^(٢) : فَقَالَ :
« مَا كَانَ عَزْمِي إِلَّا أَنْ أُلْحِقَ بِكَ بِأَخِيكَ ، . وَأَنْفَذَ إِلَى جَمَاعَتِنَا
مَائِدَةً ، فَلَمَّا طَعِمْنَا بَعَثَ إِلَيْنَا خَادِماً : « إِنَّ جَيْشاً كَانَ قَدْ عَزَمَ
عَلَى قَتْلِكَ كَمَا قَتَلَ أَخَاكَ ، فَاقْتُلَاهُ وَخُذْ بِنَارِكَا مِنْهُ ، وَانْصِرْ فَاغْلِبْ
أَمَانٍ » ، وَبَعَثَ إِلَيْنَا خَدِماً ، فَتَسَرَّعُوا إِلَيْهِ فَقُتِلَ . وَانْصَرَفْنَا إِلَى
مَنَازِلِنَا وَقَدْ كُفِينَا عَدُوَّنَا »

❖ ❖ ❖

أحمد ملوك
الهند وتاجر

٦٢ — وَحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَقِيهَ ، قَالَ :

(١) طَفِئَ الرَّجُلُ : نَحِمَ وَهَمِدَ وَانْطَفَأَ لَهَبُ حَيَاتِهِ

(٢) أَضْرَعَهُ : أَذَلَهُ وَأَخْضَعَهُ

« خرج رجل نعرفه بتجارة ، قَصْدُهُ إلى الهند : فرجع إلينا بأنواع من الطيب كثيرة لها قيمةٌ خطيرة ، وهو في نهاية السُرور ، فقلنا له : « كم ربحْتَ في التَّجارة التي خرجت بها من عندنا ؟ » ، فقال : « غرقتُ وسائرُ من كان معي ، فسلبتُ بِحُشاشةٍ نفسي في جزيرة من جزائر الهند ، فتلَقَّاني قوم فيها وجاءوا بي إلى ملكهم فقال لي : « قد نَفِدَت الموهبةُ الخارجةُ عنك ، فما معك من الموهبةِ الثابتة عليك ؟ » ، قلت : « معي الكتابُ والحسابُ » ، فقال الملك : « ما بقي لك ، أفضل من الذي ذهب منك ، والصوابُ أن تعلم آتني الكتابَ بالعربية والحسابَ ، فأرجو أن نُعوِّضَكَ أكثر مما [فقدته] » ، وسَلَّم إلى من آتته : أذكي صَبِيٍّ وأَلْطَفَه ، فتعلَّم في مدة يسيرة ما يتعلَّمه غيره في مدة طويلة

فلَمَّا رأى أنه قد تَوَجَّهَ وَاسْتَحَقَّتْ منه الإحسان ^(١) ، صار إلى صاحبِ الملك فقال : « معي هدية من الملك إليك » ، وأدخل إلى بقرة فتَيْيَّةً ، ثم قال : « أدفعها لك إلى الراعي ؟ » ، فقلت : « افعل » ، وصَغُرَ في عيني أمرُ الملك على عظم شأنه . فما مضى زمنٌ قصير حتى جاء الراعي فقال : « ماتت البقرة ! » ، واستقبلني كلُّ خاصَّة الملك بالتغمُّم ^(٢) . ثم ظهر في آتته تَزِيدٌ ^(٣) ، فبعثَ إلى

(١) توجه : أى قصد الوجه الصحيح

(٢) تغمم : أظهر الغم والحلم

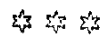
(٣) تزيد : يريد زيادة في العلم

ببقرة فتية أخرى فردّتها إلى الراعي ، فما مضت مدة يسيرة حتى وَّافَى يبشّرُنِي فقال : « قد حملت البقرة ا » . فلما انتهى حملها وَضَعَتْ فُهَنَّا فِي حَاشِيَةِ الْمَلِكِ بِأَسْرِهِمْ . ثُمَّ جَلَسَ الْمَلِكُ مَجْلِساً عَاماً ، وَأَحْضَرَ التَّجَارَةَ الَّتِي رَأَيْتُمُوهَا مَعِيَ ، ثُمَّ قَالَ :

« لم يذهب عليّ ما يَجِبُ لَكَ فِي تَعْلِيمِ ابْنِي ، وَلَمْ أُبْعَثْ بِالْبَقَرَةِ الْأُولَى لِفَضْلِ الْبَقَرَةِ عِنْدِي ، وَلَكِنْ نَزَلَتْ بِكَ مَحَنَةٌ فِي الْبَحْرِ أَتَتْ عَلَى مَالِكَ ، فَامْتَحَنْتَ بِالْبَقَرَةِ مَا أَتَتْ عَلَيْهِ مِنْهَا . وَعَلِمْتُ أَنِّي لَوْ أَعْطَيْتُكَ جَمِيعَ مَا مَلَكَتْ يَدِي - وَقَدْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ - لَضَاعَ مِنْكَ وَهَلَكَ لَدَيْكَ . فَلَمَّا أُخْبِرْتَ أَنَّهَا مَاتَتْ عَلِمْتَ أَنَّكَ فِيهَا ^(١) . ثُمَّ آمْتَحَنْتَ أَمْرَكَ بِالْبَقَرَةِ الثَّانِيَةِ ، فَلَمَّا أُخْبِرْتَ أَنَّهَا قَدْ حَمَلَتْ عَلِمْتَ أَنَّهَا قَدْ آنَحَسَرَتْ عَنْكَ ، فَسُرِرْتَ لَكَ بِذَلِكَ ، وَأَسْتَظْهَرْتَ بِانْتِظَارِ الْوِلَادَةِ . فَلَمَّا وَلَدَتْ شَخْصاً كَامِلاً صَحِيحَ الْأَعْضَاءِ ، عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ فَارَقْتَ مَحَنَتَكَ . وَهَذَا مَا أَعَدَدْتَهُ لَكَ ا » . ثُمَّ وَصَلَنِي بِطَيْبِ قَوْمَتِهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلَنِي فِي الْبَرِّ فَسَلِمْتُ ، وَزَادَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ثَمَنُهُ عَلَى مَا قَوْمَتُهُ ،

قال منصور : « فرأيتُه قد أيسرَ بعدَ الحَلَّةِ والتلفيقِ في

المعاش ^(٢) ا »



(١) قوله « عَلِمْتَ أَنَّكَ فِيهَا » : أى أن شؤمك ومحنتك متلبسة بها

(٢) أيسر : غنى بعد شدة وعسر . والحَلَّة : الفقر

الفضل بن
يحيى وشامى

٦٣ - وحدثنى أبو محمد يحيى بن الفضل ، قال :

« اختفى عند والدى كاتب للفضل بن يحيى بن برمك عند إيقاع
الرشيد بهم ، وكان يُواصل البكاء عليهم ، ولا يسمع الوعدَ فيهم ،
فقال له أبى : « أنا أرجو أن يُخلفَ الله عليك ولا يُضيعك » ،
فقال : « والله ما بُكأتُ لما فاتني منهم . وإنما بكأتُ لجلالة
أخطارهم ونفاسة أقدارهم ، ولقد كان لصاحبي في الجمعة السالفة
ما لم أسمع بمثله لقديم ولا حديثٍ ، قال لى : « قد كثر الزوارُ
علينا ^(١) ، فأنظر مقدارَ من أنصرف ، وأرفع إلى عِدَّة من بقى
من الزوار لا تقدّم في برّهم ؛ وأحذر أن ترفع إلى رجلاً من أهل
الشام » - ، لأنه كان يتشيع ^(٢)

« نخرجتُ فألفيت من فضل عن المنصرفين أربعة وثلاثين رجلاً .
وجاءني رجلٌ من أهل الشام كاملُ الأدب ظريفُ الشاهد ^(٣) ،
فأعلمته ما تُقدّم به إلى ، فقال : « يا أخى أسألك أن تُعالط بى
وتثبتنى في وسط الجريدة » ، ففعلتُ ذلك . فنظر إلى الأسماء ثم
قال : « ألم أتقدّم إليك أن لا يكون في الجريدة شامى ؟ » ، فقلت : «
« وأين الشامى ؟ » . فوضع - شهد الله - يده على اسمه وحلّق ^(٤) ،

(١) الزوار : هم العفاة والمجندون وطالبو المعروف ، وكانوا يسمون
« السؤال » ، فسماه البرامكة « الزوار » إكراماً لهم عن شناعة اسم السؤال .

(٢) يتشيع : يتعصب لشيعة على رضى الله عنه وأهل بيته

(٣) ظريف الشاهد : ظريف اللسان

(٤) حلّق : أدار حلقة دائرة على الاسم

ووقع بيده لكل واحد غير الشامي ، فما قصر بأحد عن مائة دينار ، وأمرني بإطلاقها وإنفاقها فيهم . فجلست أفرقها ، ووافي إلى الشامي ، فأريته اسمه خالياً وحدثته حديثه ، فقال : « لو قضى شيء لكان ، وأحسن الله جزائك على ماقدمته من العناية بي » ، وأنصرف وقد غمى أمره ، ولم يبق في الزوار أحد حتى أخذ « فأنا في منزلي قريباً من نصف الليل ، حتى وافاني رسوله ، فصرت إليه ، فقال : « أوتيت الساعة إلى فراشي ، واستعرضت بفكري شغل الزوار وما أمرت به لهم ، فحسن عندي ، ثم قبّحه في عيني حرمان الشامي المسكين ، ورأيت نقصاً في مروتي ، فتقدم في دفع مقدار ماوصل إلى جماعة الزوار إليه » ، فقلت : « ياسيدي ! وصل إلى جماعة الزوار خمسة عشر ألف دينار ، وهذا يكفيه ألف دينار ! » ، فقال : « والله ماتني ألف دينار بغمه وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروماً ، قم فادفع إليه الخمسة عشر ألف ولا تعذّلي ، فالخطأ في الجميل أحسن من الصواب في القبيح ، وليس يشكر الناس من البر إلا ما أفرط ، فأما ما بلغ الحاجة فمنسي عند أكثرهم ، والواجب على من آثر جميل الذكر أن يتغنم أيامه ^(١) ، ولا يسوّف بشيء من فعله »

قال أبو محمد : « فبكى والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى خفت عليه ، وقال : « ما أجهل الناس بقدر ما فقدوه من

(١) يتغنم الشيء : يغتنم وينتهر

هذا الرجل ! »

قال الكاتب : « فخرجتُ وَبَشَّتُ الرُّسُلَ فِي طَلَبِ الشَّامِيِّ حَتَّى وَجَدُوهُ ، فَوَافَانِي وَقَدْ انْحَطَّ أَكْثَرُ لَحْمِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَشَكَرْنَا جَمِيعاً ، وَقَبَضَ الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ »

والد المؤلف وابن المدير ٦٤ - وَسَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي ، وَهُوَ يَقُولُ :
« كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُدَبَّرٍ سَوَالِفُ تُرْعَى وَيُحَاظُ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا تَوَلَّى مَصْرَ رَأَى حُسْنَ ظَاهِرِي ، فَظَنَّ ذَلِكَ عَنْ أُمُومٍ لَدِيَّ ، فَبَدَّ بِي فِي الْمَطَالِبَةِ ، وَأَخْرَجَ عَلَيَّ بَقَايَا لِعُقُودٍ انْكَسَرَتْ مِنْ آفَاتٍ عَرَضَتْ لِضِيَاعِهَا ، وَلَمْ يَسْمَعْ الْإِحْتِجَاجَ فِيهَا ، وَاسْتَقْصَرَ مَا أوردته ، و [ظنه] إِنَّمَا كَانَ عَنْ حَيْسَلَةٍ ، فَاحْتَبَسَنِي مَعَ الْمُتَضَمِّنِينَ . فَكَانَ يَغْدُو فِي كُلِّ يَوْمٍ غَلَامٌ لَهُ يَحْجُبُهُ يُعْرِفُ بِفَضْلِ ، فَيَكْتُبُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مَا يُؤَدِّيهِ فِي يَوْمِهِ ، فَإِنْ شَكَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ ، أَخْرَجَهُ فُحِّمَلَتْ عَلَيْهِ الْحِجَارَةُ ، وَطُولِبَ أَعْنَفَ مُطَالِبَةً »

« فَلَمْ يَزَلْ بِي إلِخْلَاحَهُ حَتَّى بَعَثْتُ حُصْرَ دَارِي فَضْلاً عَمَّا فِيهَا ، وَعَرَضْتُ دَارِي فَمَنْعَنِي مِنْ بَيْعِهَا ، وَوَجَّهَهُ إِلَيَّ : « فَأَيْنَ يَكُونُ حُرْمُكَ ؟ » . فَوَافَانِي كَانِبِي فِي يَوْمٍ مِنَ الْآيَامِ فَقَالَ لِي : « يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَا مَا نَصِلُ لَكَ الْيَوْمَ إِلَى مَا يُقِيمُكَ ، فَضْلاً عَنْ شَيْءٍ تَوَدِّيهِ ! » .

وأمسك فضل غلامه عن الدخول في ذلك اليوم علينا ، وتعرف ما يؤدّيه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك اليوم أنفست إلى توقيعاً نسخته :

« يا أبا الحسن أعزك الله ! قد ألويت بما بقي عليك ^(١) ، وهو سبعة عشر ألف دينار ، وآثرنا صيانتك عن خُطّة المطالبة هذه المدة ، فإن أزحت العلة فيها ، وإلا سلّمناك إلى أبي الفوارس مزاحم بن خاقان أيده الله ، وسيبت به عليك لأصحابه ^(٢) ، فسكتت إليه رقعة أحلف فيها : « إني ما أدلك عدّد هذا المال حبّ حنّظة : ولو كان لي شيء لصنّنت به نفسي ! فإن رأى السيد رعاية السائف يبنى وينه وسرّتر مخفّى ، كان أهلاً لما يأتيه ، وإن سلّمني إلى هذا الرجل رجوت من الله عز وجل ما لا يخطئ من رجاء »

« فرجع إلى بعض غلمانه ومعه رقعة مختومة ، فاستر كبنى . وسار إلى مزاحم ، فلما قرئت عليه الرقعة أدخلني إليه ، وعنده كاتب له يعرف بالمروزى فعرفني مزاحم ولم أعرفه - : وكان أبوه في الحارة التي فيها دار أبي بسرّ من رأى ، وربّته أم امرأة لي تعرف بميمونة ، مولاة أم محمد بنت الرشيد ؛ ولا علم لي بشيء من

(١) ألوى ولوى الدين : مطله وتأخر بالعلل عن قضائه

(٢) سبب عليه : أى جعله سبباً يأخذ عليه ما لا من المرسل إليه كان يستحقه لديه ، ويتولى المرسل إليه استخراج المال من الرجل المسبب عليه

هذا فقال : « أنت كاتب إبراهيم بن المهدي ؟ » ، قلت : « نعم ! أيد الله الأمير » ، قال : « كنت أراك وأنا صبي في حارتنا ، ووالله ما طلب ابن المدير أن يروج عليّ مالا^(١) ، وإنما أراد أن أقتلك بالمطالبة . وقد قبلت التسبيب ، ورأيت أن أكتب إلى أمير المؤمنين أعرفه رزوحك وقصور يدك عن هذا المال^(٢) ، فإن سهل ، وإلا نجّمه عليّ وعلى رجالى حتى يقاضوا به في كل نجم^(٣) » ، ثم قال للمروزي : « هذا رجل من مشايخي ، وأمّ زوجته ببغداد تولت تربيتي ، وقد آستكتبته على أمورى وما أحتاج إلى قبالة من الضياع بمصر^(٤) ، وليس يزيلك عن رسمك^(٥) » ، وأخذ خاتماً قد كان تختّم به الكتب بحضرة فأعطانيه . وسألني عن العجوز التي ربّته ، فقلت : « هي بمصر معي ! » ، وانصرفت من عنده إلى منزلى . فكان أول من هنأني بمحلى منه ابن المدير ، ورجعت إلى نعمتي معه في مدة يسيرة »



٦٥ - وحدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب ، قال :

ابن العجمي
المهندس وابن
موسى

(١) روج عليه المال : عجله له

(٢) الرزوح : العجز والضعف والإعياء من الثقل

(٣) النجم : الوقت المضروب لأداء المال ؛ ونجم المال : أذاه نجومه (أقساطا) في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة

(٤) قبالة الضياع : كفالة الرجل أموال خراجها ، واحتماله بأدائها لبيت المال

(٥) الرسم : هو عندهم الولاية على بعض أمر الدولة

« كان إبراهيم بن الأعمى المهندس قد تقاصرت يده واختلَّت حاله ، فتكلَّم على شكل من أشكال الهندسة ورَفَعه إلى مَنْ أوصله إلى المأمون ، قال أبو كامل : فحدثني سَنَد بن علي فقال :

« سأل المأمونُ محمدَ وأحمدَ آبنَي موسى بن شاكر المنجم ، عن منزلة إبراهيم بن الأعمى في الهندسة ، فقالا : « منزلة ضعيفة ، وفيه عامية » ، فقال المأمون للسندی بن شاهك : « أحضرني إبراهيم ابن الأعمى » ، فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون ، تهيبه ، فلم تبدُ منه كلمة ، قال : فرأيتُ انقطاعه قد سرَّ آبنَي موسى ^(١) ، وقال المأمون : « قد عرفنا أمير المؤمنين أنه ليس بمحلٍّ من يدخل إليه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ! لولا أنك تَبَسُّطنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لَكُنَّا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من كلامك ؛ فأما تقصير هذين به في الهندسة ، فإنني أشهد سيدي أمير المؤمنين أني من بعض تلامذته ، وعليه آبتدأتُ قراءة الهندسة ا » ، فأمر بإيصاله إليه مع خاصته ، وأجرى عليه ماوسعه »

« فقلت للسندی : « متى قرأت الهندسة ؟ » ، فقال : « امتعضتُ والله بما لحقه من تعسف هذين الرجلين ^(٢) ، فنزلتُ هذا القول لأردَّ به الإصغار عنه ^(٣) » ، فصأحت حاله ، ورجع إلى أفضل ما كان عليه ،

(١) انقطع الرجل : صمت أو أعي فلم يستطع أن يتكلم أو يعمل

(٢) امتعض : شق عليه الأمر وعظم فتوجع منه

(٣) نزل القول : وضعه وادعاه وتقوله كذبا ، والإصغار : التحقير

محمد وأحمد
أبني موسى
وسند بن علي قال : ٦٦ - وحديثي [أبو كامل] شجاع بن أسلم الحاسب أيضا ،

« كان محمد وأحمد أبنا شاكر - في أيام المتوكل - يسكيدان كل من ذكر [بالتقدم] في معرفة . فأشخصا سند بن علي إلى مدينة السلام وبعدها عن المتوكل ، ودبرا على السكندى حتى ضربه المتوكل ، ووجهها إلى داره فأخذها كُتبه بأسرها ، فأفرداها في خزانة سُميت الكندية ، ومكن هذا لهما استتار المتوكل بالآلات المنحركة (١)

وتقدم إليهما في حفر النهر المعروف بالجعفرى ، فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير الفرغانى - الذى عمل المقياس الجديد بمصر ، وكانت معرفته أوثق من توفيقه ، لأنه ما تم له عمل قط - فغاط في فوهة النهر وجعلها أخفض من سائر ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر ، فدافع محمد وأحمد أبنا شاكر في أمره ، وأقضاها المتوكل ، فسعى بهما إليه فيه . فأفند مستحيئا في إحضار سند بن علي من مدينة السلام ، فوافى

فلما تحقق محمد وأحمد أبنا شاكر أن سنداً قد شخّص ، أيقنا بالهلكة ويئسا من روح الحياة (٢)

(١) الآلات المنحركة : هى آلات رصد النجوم المعروفة بالاصطرلاب

(٢) روح الحياة : نستمها وطبها

فدعا الخوكل سَنَدًا وقال [له] : ما ترك هذان الرديان شيئاً من
سوء القول إلا ونددَكَ رَاك عندي به ، وقد أتانا جُمْلَةٌ من مالى فى
هذا النهر ، فمآخرج إليه حتى تتأمله وتُخبرنى بالخط فيه ، فإنى قد
آليتُ على نفسى - إن كان الأمر على ما وصفت - أن أصلبَهُما على
شاطئه « . وكل هذا بعين محمد وأحمد وسموهُما ، فخرج وهما معه
« فقال محمد [بن موسى لسند] : يا أبا أحمد « إن قُدْرَةَ الحرِّ تذهب
حَفِيظَتَهُ ، ^(١) وقد فرغنا إليك فى أنفسنا التى هى أنفس أعلاقنا ^(٢) ،
وما ننكر أننا قد أسأنا ، والإعتراف يهدمُ الإقتراف ، فتنخلصنا
كيف شئت »

« قال لهما : « أنتما تعلمان ما بينى وبين الكندى من العداوة
والمباعدة ، ولكن الحق أولى ما أتبع . أكان من الجميل ما أتيتما
إليه فى أخذ كتبه ؟ والله لا أذكرُكما [بصالحية] حتى ترداها
عليه ! » . فتقدم محمد بن شاكر فى حمل الكتب إليه ، وأخذ خطه
باستيفائها . فوردت رُقعة الكندى أنه تسامها عن آخرها ، فقال
لها : « قد وجب لكما على ذِمَّامٍ بردٌ كتب هذا الرجل ^(٣) ، ولكما
على ذِمَّامٍ بالمعرفة التى لم ترعياها فى ، والخطأ فى هذا النهريستترُ
مُدَّة أربعة أشهرٍ بزيادة دجلة ، وقد أجمع الحساب على أن

(١) الحفيظة : الغضب المكتوم فى النفس

(٢) الأعلاق : الذخائر النفائس

(٣) الذمام : الذمة والعهد والحق

أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة أنه لم يقع خطأ في النهر إبقاءً على أرواحكم ، فإن صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة ، وإن كذبوا - وجازت مدته حتى تنقضى دجلة وينضب النهر - أوقع بنا ثلاثتنا »

« فشكر محمد وأحمد هذا القول منه ، واستتر الأمر واسترقه^(١) به ، ودخل إلى المتوكل فقال [له] : « ما غلطاً » ، وزادت دجلة ، وأجرى الماء فيه ، واستتر حال النهر ، وقتل المتوكل بعد شهر [ين] من إجرائه . وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا ،



حصار أقریطش ٦٧ - وحدثني الحسن بن مسلم الأقریطشي - وأيته بعد أن والإخلاص لله
علت^(٢) سنة وبلغ المائة سنة ، وكان صحيح النميز ، سليم الخواص -
قال :

« أآح غزونا على الروم ، ونالهم منا مكروه عظيم . فوجد متملك الروم من هذا^(٣) ، ونذر أن يُخرب أقریطش ولو أنفق ذخائر مملكته . فنظر إلى راهب محبوب تشاءم الروم زهادته . فأنزله من متعبده ، وضم إليه أكثر جيوشه ، فوآق جمع لم يحيط بأقریطش مثله قط . ففزعنا إلى غآق الحصن^(٣) ، وتسرع الروم إلى بناء

(١) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً أو كالرقيق

(٢) وجد من الشيء : غضب في نفسه

(٣) غلق الحصن : أفضاله

مساكن لهم ، وخرجوا من المراكب ، وغلبنوا على ميرة البلد وما
يكون في جواره ^(١) . واشتد الحصار ، ونزع السمر ، وتحقق
المأكل ^(٢) ، وشاع الجهد ^(٣) .

ثم زادت المكاره حتى أكل الناس مامات من البهائم جوعاً ،
وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له ، فقال لهم شيخ : « إني قد أراكم
قد حرمتم التوفيق في قوتكم وضعفكم والصواب أن تقبلوا مني
ما أشير به عليكم » ، قالوا : « قل » ، قال : « أتركوا لله قيسح
ما يحملكم عليه تظاهر النعمة والسلامة ^(٤) ، وأخلصوا له إخلاص
من لا يجد فرجه إلا عنده ، وأفصلوا صبيانكم من رجالكم ،
ورجالكم من نسائكم » . فلما سيزهم هذا التمييز صاح بهم : « عجبوا
بنا إلى الله ! » ^(٥) ، فعجبوا عجة واحدة ، وبكى الشيخ وبكى أكثر
الناس . ثم قال : « عجبوا أخرى ، ولا تشتغلوا بغير الله » ، فعجبوا
عجة أعظم من الأولى ، وبكى الناس أيضاً . ثم عجب الثالثة وعجب
الناس معه ، وقال : « تشرفوا من الحصن ^(٦) ، فإني أرجو أن يكون
الله قد فرج عنا »

(١) الميرة : الطعام والزاد

(٢) نزع السمر : غلا ، وتحقق المأكل : هلك أو كاد كما يكون في
أيام القحط

(٣) الجهد : المشقة والعسر من الجوع

(٤) تظاهرت النعمة : تضاعفت وتكاثرت

(٥) عجب بالبكاء والدعاء : رفع صوته

(٦) تشرف : أطل وتطلع

فخلف لي الحسن : « إني تشرفتُ مع جماعةٍ رأيتُ الروم قد قوضوا [ريحاً لهم] ، وركبوا مراكهم . ونُتِج بابُ الحصن ، فوجدوا قوماً من بقيائهم فسألوهم عن حالهم : فقالوا : « كان عميدُ الجيش بأفضل سلامةٍ إلى اليوم ، حتى سمع ضججتكم في المدينة فوضع يده على قلبه وصاح : « قلبي اتلبي ! » ثم طَفَيْ » ^(١) . فانصرف من كان معه إلى بلاد الروم . وخرجنا عن الحصن ، فوجدنا في تلك الأبنية من القمح والشعير ما وسع المدينة وأعادَ إليها خَصْمَهَا . [وَكُفِينَا] جماعتهم من غير قتال »

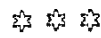
سهل بن شنيف
وابن بسطام

٦٨ - قال أبو جعفر :

« ولما غلب ابنُ الخليفة على مصر ونواحيها ، لم يكن بمصر أسوأ قدرةً على أسباب أبي [علي] الحسين بن أحمد الماذرائي من أحمد بن سهل بن شنيف ، فلم يمضِ شهر حتى انهزم ابن الخليفة وطفّر به . وحمل إلى العراق . ودخل بعد ذلك بشهور أبو العباس أحمد بن محمد ابن بسطام إلى مصر متولياً بالأمانة على الحسين بن أحمد ، وكاشفاً لما جرى عليه أمر الضياع بعد ابن الخليفة وأصحابه . فقرر أبو علي أمر المتضمنين بالحضرة عند أبي العباس ، فعرض بسهل بن شنيف ولم يدع سوءاً إلا ذكره به . فقال أبو العباس : « سيعلم ما يجري عليه مني ! » واتصل [الخبر] بسهل بن شنيف

فاستطير قلبه وكسف باله^(١) . وأحضر مع جماعة أجلبوا من
الكتاب مع ابن الخليج^(٢) ، فلما دخلوا عليه كاد يقوم إلى سهل بن
شنيف ، ثم رفعه حتى كان أقرب إليه من أخص أصحابه . ودعا ابن
حبيش فسارّه ، فنظر إلى سهل ، وقال لأبي العباس : « الأمر على
ما وصفت » ، ثم أطلق سهلاً من ساعته إلى منزله . فسأله أبو علي :
« هل تعرفه قبل هذا ؟ » ، فقال : « لا والله ! ولكنه ورد علىّ منه
أشبه الناس بأبي » .

وأفرخ روع سهل بتوفيق الله ولطفه^(٣) ، وما زال حفيّا به
حتى مات .



٦٩ - قال :

المؤلف
« وكنت قد عملت في أيام ابن الخليج لحماية ضياع كانت في يدي . وابن بسطام
فلما تمخضت دولته اختفيت ونهبت^(٤) ، وخفت الإيقاع بي ،
واعتور ضياعي العمال^(٥) ، وأضاعت حالي ، فاجتمع الخوف والفاقة .
فرايت - بعد قدوم أبي العباس بن بسطام - فيما يرى النائم ،
يوسف بن إبراهيم والدي ، وأنا أشكو إليه خلتي وخوفي ، فكأنه

(١) استطير قلبه : ارتاع واضطرب ، وكسف باله : تغير وساء حاله

(٢) أجلب عليه : أعان الخارجين عليه

(٣) أفرخ روعه : اطمأن قلبه بعد فزع

(٤) تمخضت : كادت أن تولد ، وقربت ولايته الأمر

(٥) اعتوروا الضياع : تداولوها بالإيداع والتضييق في جباية الأموال

يقول : « أتا أتكلم فى أمرك حتى تعودَ إلى محبتك ». فلما أصبحتُ قصصتُ الرؤيا على من كنتُ مُخْتَفِياً عنده ، وكان حاذفاً بالعِبارَةِ (١) ، فقال : « يجرى لك فرج بذكر أهلك »

وطلب أبو العباس بن بسطام الدُّستورات القديمةَ ليعتبر منها عبْرُ الضَّياع (٢) . فأُخرج إليه ما كان لسنة خمسين ومائتين وما قبلها ، فرأى فيها اسمَ والدى فى ضياع كثيرة ، فقال : « من هذا يوسف ابن إبراهيم ؟ » فقال له أبو على : « هذا صاحب إبراهيم بن المهدي ، ورَضِيعُ المعتصم ! » ، قال أبو العباس : « وصاحبُ كتاب الطَّبِيخ ؟ » ، قال أبو على : « نعم ! » ، قال : « فله ولد ؟ » ، قال : « نعم فى ناحيتى ! » ، قال : « فخذلى منه كتاب الطَّبِيخ ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي ، وصر به إلى حتى يقرأهما على » ، قال : « أفعل »

وكان إسحاق بن نُصَيْرٍ يعرف موضعى ، فقال له : « أحتاج إلى أحمد بن يوسف » ، قال : « تُؤمُّنه ، وعلى إحضاره ! » ، فكتب له أماناً بخطه ، وحلف فيه ألاَّ يُسْوءَنى ولا يُطالبنى . فخرجت إليه وأحضرتهُ الكتابين . وفرَّج الله عني بأضعف سبب »

(١) العبارة : تعبير الرؤيا وتفسيرها

(٢) اعتبر عبْرَ الشيء : استدل على الشيء ، بالشيء وتدبر حسابه حتى يفهمه .
والدستورات : جمع دستور ، وهى النسخ المحررة المكتوبة ؛ يريد دفاتر الحساب

٧٠ - وحدتني أم آسية - قابلة أولاد خمارويه بن طولون ، قابلة أولاد
 وكان لها دينٌ ومذهب جميلٌ ، وعملٌ لطيفٌ من خمارويه . وقد
 نذاكرنا لطفَ الله عز وجلَّ في أرزاق عباده ، وحسن الدِّفاع
 عنهم - : أنه تزوجها وأختها أخوان ، فأقبلت حالُ زوج أختها
 وأدبرت حال زوجها ، قالت : وتوفي زوجها بأسوأ حالة ،
 وخلف لها بناتٌ ، وتعدَّر عليها تجهيزه من آخِثاله . وتوفي زوج
 أختها ، وقد خلف من العَيْنِ والمساكن والآواني لوَلد أختها :
 قالت : « فكنتُ أجاهدُ في مَوْنَةِ وَلَدِي ، وإذا وَقَفَ أمرى ،
 صِرتُ إلى أختي فقلت : « أقرِضيني كذا وكذا » ، استحياءً من
 أن أقول لها : « هَبِي لِي ... » . ودخل شهر رمضان ، فلما مضى
 نصفه ، اشتَهَوْا على صبياني حَلْوَا في العيد ، فصرت إلى أختي
 فقلت لها : « أقرِضيني ديناراً أعمل به للصبيان حَلْوَا في العيد » ،
 فقالت : « يا أختي ! تَغِيظُني بقولك : « أقرِضيني » ، وإذا قرضتُك
 من أين تُعْطِيني ؟ أَمِنْ غَلَّةِ دُورِكَ أَوْ بُسْتَانِكَ ^(١) ؟ لو قلت :
 « هَبِي لِي ، كان أحسن » . فقلت لها : « أَقْضِيكَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ
 تعالى الذي لَا يُحْتَسَبُ ، وَجُودِهِ الذي يَأْتِي مِنْ حَيْثُ لَا يُرْتَقَبُ ! » .
 فتضاحكت وقالت : « يا أختي ! هذا والله من المُنَى ، والمُنَى
 بِضَائِعُ النَّوْكَى ! » ^(٢) . فأنصرفتُ عنها أجرة رجلى إلى منزلى

(١) الغلة : الدخل الذي يغله العفار

(٢) النوكى : جمع أنوك : وهو اللاحق الذي لا عقل له

« وكان في جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه ،
فلما بلغت حارتنا قال لي : « في جوارنا امرأة تطلق قد أوجعت
قلبي ^(١) . أدخلني إليها فليس لها قابلة ^(٢) » . قالت أم آسية :
« والله ما عانيت بمخوضة قط ^(٣) ، فدخلت إليها ، فمسحت جوفها ،
وأجلستها كما كان القوابل يجلسني في طائقي ، فولدت من ساعتها .
فلما أمسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها ، فقلت : « قد ولدت ! » ،
فمجب من سرعة أمرها ، وظن أن هذا شيئاً قد أعتمدته بحذق
صناعة ، ولطف في مهنتي . فمضى إلى بنت اليتيم - وكانت
مقرباً بأول ولد يحمل لأبي الجيش ^(٤) ، وقد عرض عليها قوابل
استمقلتن - ، فقال : « في جوارنا قابلة أحضرناها المرأة في حارتنا
تطلق ، فوضعت يدها على جوفها فستقط ولدها ! » ، ووصفني
بما لا يوجد في قُدرة أحد إلا بالله عز وجل ! فقالت للخادم :
« إذا كان غداً فجئني بها » ، فأتى الغلام ودعاني إلى مولاته ،
فأجبتُ بانسراح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفّت رُوحى
وقالت : « إلى التمام تقدير الله تبارك وتعالى » . ثم شكت مغساً

(١) طلق المرأة (بالبناء للجهول) : إذا أدركها المخاض ووجع
الولادة

(٢) القابلة : هي التي تتلقى الولد من بطن أمه ، (المولدة)

(٣) المخوضة : هي الماخض ، وهي المرأة إذا ضربها الطلق ووجع
الولادة

(٤) أقربب الحامل وهي مقرب : إذا دنا ولادها

تجده المُقَرَّب^(١) ، فأدخلت يدي في ثيابها ومسحت جوفها ،
وعججت إلى الله تعالى في سرى بتوفيقى ، وكنت أدعو - ومن
حضر من أهلها يترهم أنى أرقى - فسكن ما وجدته وتبركت بي .
ودخل إليها خمارويه وقال : « ما وجدتي » فقالت : « مغساً في
جوفى ، فوضعت قابله أردتها يدها عليه ، فزال ما أجده ! » ،
وأخرجتنى إليه - وكان قريباً من حرمه - ، فقال لى : « أرجو
أن يُخلصها الله عز وجل ببركتك »

قالت أم آسية : « ودخلنا فى العشر الأواخر من شهر رمضان ،
وقد تمسكت من الإخلاص لله عز وجل بما لا يصل إليه من
ساح فى الجبال ، خوفاً من شهامة أختى بى . فلم تمض إلا ثلاثة
أيام حتى مخضت ، فأجاستها على كُرْسَى الولادة - وكان مقدار
طليقها ساعتين - ، فولدت ابناً أسهل ولادة ، وأبو الجيش يقوم
ويقعد ، ويذهب ويحى . فلما ولدت - وكانت تتوقع من الولادة
امراً عظيماً - فلما ألقته قالت لى : « هذا الطلق ؟ » ، قلت : « نعم ! »
[فقبلت - يعلم الله - عيني من الفرح . وصاح خمارويه : « أخبرنى
بإمباركة بخبرها » ، فقلت : « وحياة الأمير إنها فى عافية ، وقد
ولدت غلاماً سوى الخلق بحمد الله . فوجه إلى ألف دينار ،
وألح أبو الجيش فى النظر إليها لفرط إشفاقه عليها ، فاستوقفته
إلى أن نقلت حوائج الولادة وقلت لها : « ياسيدتى ! أضحكى فى

وَجْهَهُ كَمَا تَرِيهِ ^(١) ، . فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا ضَحَكَتْ فِي وَجْهِهِ ، فَتَقَدَّمَ
بِصَدَقَةٍ بِمَالٍ كَثِيرٍ عَنْهَا وَعَنْ وَلَدِهِ «

وَقَالَتْ لِي أُمُّ آسِيَةَ : « لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأُسْبُوعِ - وَوَقَعَ قَبْلَ الْعِيدِ
بِیَوْمٍ وَاحِدٍ - ، أَمَرْتُ لِي بِخَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَحَصَلَ مِنْ أَتْبَاعِهَا أَلْفُ
دِينَارٍ ، فَحَصَلَ لِي أَلْفَانِ وَخَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ . وَخَلَعْتُ عَلَى وَسَائِرِ حَشَمِهَا
أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ خِلْعَةً ، وَحُمِلَ إِلَيَّ بِمَا أُعِدَّ لِلْعِيدِ ثَلَاثُ مَوَائِدٍ
خَاصَّةٍ . وَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى أُخْتِي مَائِدَةً ، وَوَأَفْتَنِي
مِهْنَةً ، وَقَدْ تَقَاصَرْتُ طَوَّلَهَا ، فَأَرَيْتُهَا مَا حَصَلَ لِي مِنَ الْمَالِ وَالْخِلَاعِ
وَالطَّيِّبِ ، وَقُلْتُ لَهَا : « يَا أُخْتِي ! أَنْكَرْتَنِي عَلَى قَوْلِي : « أَقْرَضْنِي »
وَمِنْ هَذَا كُنْتُ أَفْضِيكَ . فَلَا تَسْتَصْغِرِي مِنْ كَانَ اللَّهُ مَادَّةً ،
وَعَلَيْهِ مَدَارُ ثِقَتِهِ وَتَعْوِيضُهُ »

وَكَتَسَبَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ بِمَحَلِّهَا مِنْ أَبِي الْجَيْشِ مَالًا كَثِيرًا ،
وَقَضَتْ لِمَجَاعَةٍ مِنْ وَجْهِهِ الْبَلَدِ حَوَائِجَ خَطِيرَةٍ

٧١ - وَحَدَّثَنِي شِجَاعُ بْنُ أَسْلَمَ الْحَاسِبِ ، قَالَ : قُلْتُ لِسَيِّدِ
ابْنِ عَلِيٍّ : « مَنْ كَانَ سَبَبَكَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، حَتَّى اتَّصَلْتَ بِهِ ، وَكُنْتَ
[فِي جِلْسَانِهِ] مِنَ الْعُلَمَاءِ ؟ » . فَقَالَ : « أَحَدُكَ بِهِ :

سند بن علي
والجسطي

« كَانَ وَالِدِي يَتَكَسَّبُ بِصِنَاعَةِ أَحْكَامِ النُّجُومِ مَعَ قَوْمٍ مِنْ
أَسْبَابِ السُّلْطَانِ يَوَدُّونَهُ وَيُحِبُّونَهُ . وَتَعَلَّقَ قَلْبِي بَعْدَ فَرَاغِي مِنْ

(١) كَمَا تَرِيهِ : تَرِيدُ ، حِينَ تَرِيهِ ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُ ذَلِكَ فِي ص (١٠)

قراءة كتاب أفليديس بكتاب المجسطي^(١). وكان - في أيام المأمون بسوق الوراقين - رجلٌ يُعرف بمعروف ، يورق هذا الكتاب ويبيعه^(٢) - بعد تكامل خطه وأشكاله وتجليده - بعشرين ديناراً فسألت والدي أبتياعه لي ، فقال : « أنظرني يا بني إلى أن يتهيأ لي شيء آخذه^(٣) ، إما من رزق وإما من فضل ، وأبتاعه لك

وكان لي أخٌ لا يشتهي مما [تقدمت] أنا فيه من العلم شيئاً ؛ إلا أنه كان يخدم أبي في حوائجه والإشفاق عليه . فلما سوفى أبي بالكتاب وطالت المدة فيه ، ركبتُ معه لأمسك دابته في دخوله إلى من يدخل إليه ، ولـ إذ ذاك سبع عشرة سنة . فخرج إلى غلمان من كان عنده فقالوا : « انصرف ، فقد أقام أبوك عند مولانا » . فمضيت بالدابة فبعته بسرّجها ولجامها بأقلّ من ثلاثين ديناراً ، ومضيت إلى معروف فاشتريتُ الكتاب بعشرين ديناراً

وكان لي بيتٌ أخسّلو فيه ، وجئتُ إلى أمي فقلت لها : « قد جنيتُ عليكم جنايةً » ، واقتصصتُ عليها القصة^(٤) ، وحلفتُ لها : إن شحذت أبي عليّ حتّى يمنعني من النظر في الكتاب^(٥) لا أخرجنّ

(١) هذان الكتابان من أشهر كتب يونان المترجمة إلى العربية ، الأول في أصول الهندسة ، والآخر في الهيئة

(٢) ورّق الكتاب : نسخه وأعدّه كاملاً للبيع

(٣) أنظره : أخره وأجله

(٤) اقتص الشيء : حكاه متتابعاً

(٥) شحذه عليه : حرضه عليه وأغضبه

عنهم إلى أبعد غاية ، ورددت عليها فضل ثمن الدابة ، وقلت لها :
 « أنا أغلق باب هذا المنزل الذي لي ، وأرضى منكم برغيف يُلقى
 إلى كما يُلقى إلى المحبوس ، إلى أن أقرأه جميعه » . فتضمنت لي
 بتسكين قورته ، ودخلت البيت وأغلقت من عندي . فمضى أخى
 إلى والدى فى الموضع الذى كان فيه ، فأسر إليه الخبر ، فتغير وجهه ،
 وتلجأ فى حديثه ، فقال له من كان عنده : « قد شغلت قلبى وقلب
 من سخر بما ظهر منك ، فبحق عليك إلا أخبرتنا لم ذا ؟ » ، قال
 فحدثه ، فقال : « هذا والله يسرنا فى ولدك ؛ فاتعد فيه بكل جميل ^(١) » ،
 ثم استحضره من إسطنبول بغلا أفره من بغل أبى ^(٢) ، وسرجاً خيراً من
 سرجه ، وقال لأبى : « اركب هذا البغل ، ولا تكلم ابنك بحرف »
 قال ساند : « وأقت ثلاث سنين كيوم واحد ، لا يرى لى أبى
 صورة وجه ، وأنا مُجسد حتى استكملت كتاب المجسطى . ثم
 خرجت وقد عملت أشكالا مُستصعبات ووضعتها فى كفى .
 وسألت : « هل للمهندسين والحساب موضع يجتمعون فيه » ؛
 فقيل لى : « لهم مجلس فى دار العباس بن سعيد الجوهري تراب
 المأمون ، يجتمع فيه وجوه العلماء بالهيئة والهندسة » . فحضرته ،
 فرأيت جميع من حضر مشايخ ، ولم يكن فيهم حدث غبرى ،
 لأنى كنت فى العشرين سنة ^(٣)

(١) اتعد : يريد انتظار فيه وعده بكل جميل

(٢) أفره ، من الفراهة : وهى نشاط الدابة وقوتها انهى فاره

(٣) الحدث : الصغير السن

« فقال العباس : « من تكون ؟ وفيمَ ظَرتَ ؟ » فقالت : « علام
يحُبُّ صناعة الهندسة والهيئة » ، قال : « ما قرأت ؟ » قلت : « أفليدس
والمجسطى » ، قال : « قراءة إحاطة ؟ » ، قلت : « نعم » . فسألني عن شيء
مستصعب في كتاب المجسطى ، كان تفسيره في الأوراق التي كانت
في كمي ، فأجبتُه . فعجب وقال : « مَنْ أفادك هذا الجواب ؟ » ، قلت :
« استخرجته قَرِيحَتِي » ، وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مرَّ
بي في وَرَقٍ معي » ، قال : « هاته » . فلما رآه اغتَاطَ واضطرب ، ثم
قال لبعض من بين يديه من غلمانه : « السَّفَطُ » ^(١) ، فجاء به ، فنظر
إلى خاتمته فوجدته بحاله ، ثم فضَّه وأخرج منه كُرَّاسَةً فجعل يقابلُ
بها الورق الذي كان معي ، فكان الكلامُ فيما سمعته أحسنَ رُصْفًا
من الكلام الذي معي . والمعنى واحد

« فقال : « هذا شيءٌ تَوَلَّيتُ تبيينَه من كتاب المجسطى ، فلمَّا
أحضرتُنيهِ تَوَهَّمتُ أنه سُرقَ مِنِّي ، حتى تبيَّنتُ اختلاف اللفظين
مع اتفاق المعنى » . ثم أمر أن تُقَطَّعَ لي أَقْبِيَّة ^(٢) ، وتُرْتَادَ لي مِنْطَقَةٌ
مُذَهَّبَةٌ ^(٣) ، فُفْرِغَ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، ودَخَلَ بِي إِلَى
الْمَأْمُونِ ، وأَمَرَنِي بِمَلازِمَتِهِ ؛ وأَجْرِي لِي أَنْزَالًا وَرِزْقًا ^(٤)

(١) السَّفَطُ : وعاء تعي فيه الأشياء

(٢) أَقْبِيَّة : جمع قباء ، وهو ثوب تجمع أطرافه من أمام بأزرار

(٣) المنطقه : ما يدور بالبطن كالخزام

(٤) أنزال : جمع نزل ، وهو الرزق

٧٣ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب ، قال : حدثني أبي :

« أن جبريل بن بختيشوع كان يخاف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة ، وبه فاقة شديدة ، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر . فوقع الرشيد في غشية لم يتقدمها علة ، فأجمع الأطباء على أنه تالف ، وأخبر ابن بختيشوع ، فقال : « ماله إلا علاج واحد وهو أن يحجموه »^(١) ؛ فقال محمد الأمين : « أخاف أن أخطربه » ؛ ثم قال « قد أيسنا منه ، والصواب أن نمتحن هذا فيه » . فأحضروا الحجام فجمع الدم في أخذعيه وهو مستلق^(٢) ؛ ثم أخرج من دمه محجمتين ، ففتح الرشيد عيذه ، واستدعى طعامة ، وأكل ونام

فلما آتته آفتص عليه المأمون ما جرى عليه [أمره ، وأذن] للداخلين في تهنته بالسلامة . فلما آكتملوا قال لهم : « يا معاشر الأمراء والأطباء ! إنما أرتبطتكم لحراسة نفسي^(٣) ، وقد حدث عليّ حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام ! ونصيبه مني نزر ، ونصيبكم وافر ، فأعدوا ميل المماكة بأن يجعل له كل رجل منكم نصيباً من إنعاسي عليه وإحساني إليه ، حتى يكون له من جماعتكم ما يوازي ما تقدم عليه به في حسن الدفاع عني ،

(١) حجمه : أخذ من دمه وامتنعه

(٢) الأخذعان : عرقان في جانب العنق يؤخذ منهما الدم عند الحجامة

(٣) ارتبطه : اتخذه واستبقاه

فقتسرع الناس إلى جبريل فأعطوه الضياع والدُّور والأموال .
وما بَرَحَ حتى كان أيسر مَنْ في المملكة ، وتربّت النعمةُ لديه
وولده حتى وازت نِعَمَ الخلفاء

٧٣٣ - وحدثني عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان ، عن أبيه ، عن
عمرو بن عثمان
والرشيد
جده ، قال :

« كان لي مجلس في ديوان الإنشاء قليل الجدوى عليّ ، وحالي حالٌ
لا تنهض بهما يحتاج إليه المُقْتَصِد ، وقد لزمته يمينٌ لا كمارة لها
في ترك النّبيذ . فكان جماعة الكتّاب يجلسون ما جلّس الوزير -
وهو يومئذ الفضل بن الربيع - ، فإذا أنصرف إلى منزله ، أنصرفوا
إلى ما عقّدوا عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيم وُحْدَى في الديوان
إلى أن يُغْلَقَ

فبكرت إليه في يوم من الأيام ، وجاءت مطرة تطرب الوزير
فيها إلى الشُّرب ^(١) ، لتشاغل الرشيد في دعوة لزيدة ، فلم يبق في
ديوان الإنشاء غيري . فإني لجالس حتى دخل إلى خادم من خاصّة
الرشيد ، فأخذ بيدي وأدخلني إلى الرشيد . فلما مثلت بين يديه ، « قال اقرأ
هذا الكتاب ! » ، فقرأته ، فبينته وأعرّبه فقال : « أجب عنه بين يدي » ،
فأجبت عنه بأحسن معانٍ وأجود لفظ . فقال : « اقرأه عليّ » ، فقرأته ،
فقال لمسرور الكبير : « ألف دينار » . فجاء بها ، فقال : « أدفعها

(١) تطرب إلى كذا : طرب

إليه ، وَقُلْ لِلْفَضْلِ يَصْرِفُ إِلَيْهِ دِيْوَانُ الْإِنْشَاءِ ^(١) . فهو أَحَقُّ بِهِ
مَنْ غَادَرَهُ . ثُمَّ قَالَ لِي : « خذْ هَذَا الْمَالُ ، وَسَأُنْظُرَ لَكَ فِي الْوَقْتِ
بَعْدَ الْوَقْتِ مَا يَزِيدُ فِي اصْطِنَاعِي لَكَ ، وَلَا يُفْسِدُ الْغَنَى مَا أَصْلَحَتْهُ
الْفَاقَةُ مِنْ حُسْنِ مَلَازِمَتِكَ ، وَاسْتِزْدَنِي أَرْذُكَ »

قَالَ عَمْرُو : « فَاجْتَمَعَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ أَرَيْشِرْكَ بَنِي وَبَيْنَ
مَنْ كَانَ يَتَوَلَّى الْإِنْشَاءَ ، فَلَمْ يُطْلَقْ لَهُ الرَّشِيدُ ذَلِكَ وَأَفْرَدَنِي بِهِ ^(٢) ،
حَتَّى فَرَّقَتْ الْأَيَّامُ بَيْنَنَا »

خاتمة

كتابات للفلاسفة
والحكاه

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ بَزْرَجُوهَر : « الشَّدَائِدُ قَبْلَ الْمَوَاهِبِ ، تُشْبِهُ
الْجُوعَ قَبْلَ الطَّعَامِ : يَحْسُنُ بِهِ مَوْقِعُهُ ، وَيَلْدَّ مَعَهُ تَنَاوُلُهُ »
وَقَالَ أَفْلَاطُونُ : « الشَّدَائِدُ تُصْلِحُ مِنَ النَّفْسِ بِمَقْدَارٍ مَا تُفْسِدُ
مِنَ الْعَيْشِ ، وَالتَّتَرُّفُ يُفْسِدُ مِنَ النَّفْسِ بِمَقْدَارٍ مَا يُصْلِحُ مِنَ
الْعَيْشِ ^(٣) »

وَقَالَ : « حَافِظْ عَلَى كُلِّ صَدِيقٍ أَهْدَتْهُ إِلَيْكَ الشَّدَائِدُ ، وَآلَهُ
عَنْ كُلِّ صَدِيقٍ أَهْدَتْهُ إِلَيْكَ النِّعْمَةُ »
وَقَالَ أَيْضاً : « التَّرَفُّهُ كَاللَّيْلِ : لَا تَتَأَمَّلُ فِيهِ مَا تُصْدِرُهُ أَوْ تَتَنَاوَلُهُ »

(١) صرف إليه كذا : ولأه إياه

(٢) أطلق له : أذن له

(٣) التترف : الترف والترفه في العيش

والشدة كالنَّار : ترى فيها سَعْيَكَ وَسَعْيَ غَيْرِكَ »

وقال أردشير : « الشَّدة كُحْلٌ تَرَى بِهِ مَا لَا تَرَاهُ بِالنَّعْمَةِ »



خاتمة المؤلف
لهذا الباب

وَمِلَّاكَ مَصْلَحَةِ الْأَمْرِ فِي الشَّدَّةِ شَيْئَانِ : أَصْغَرُهُمَا قُوَّةُ قَلْبٍ
صَاحِبِهَا عَلَى مَا يُنُوبُهُ ، وَأَعْظَمُهُمَا حُسْنُ تَهْوِيضِهِ إِلَى مَا لَكَ وَرَازِقِهِ
وَإِذَا حَصَدَ الرَّجُلُ بِفِكْرِهِ نَحْوَ خَالِقِهِ ^(١) ، عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَمْتَحِنْهُ
إِلَّا بِمَا يُوجِبُ لَهُ مَشُوبَةٌ ، أَوْ يُمَحِّصُ عَنْهُ كَبِيرَةٌ ^(٢) ، وَهُوَ مَعَ هَذَا
مِنَ اللَّهِ فِي أَرْبَاحٍ مُتَّصِلَةٍ ، وَفَوَائِدٍ مُتَّابِعَةٍ

فَأَمَّا إِذَا اشْتَدَّ فِكْرُهُ تَلَقُّاهُ الْخَالِيقَةُ ، كَثُرَتْ رِذَائِلُهُ ، وَزَادَ تَصَنُّعُهُ ،
وَبَرِمَ بِمُقَامِهِ فِيهَا قَصْرٌ عَنْ تَأْمِيلِهِ ، وَاسْتِطَالَ مِنَ الْحَيِّ مَاعِسى أَنْ
يَنْقُضِي فِي يَوْمِهِ ، وَخَافَ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَا لَعَلَّهُ أَنْ يُخْطِئَهُ

وَإِنَّمَا تَصَدَّقُ الْمُنَاجَاةُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ رَبِّهِ لَعَلَّهُ بِمَا فِي السَّرَائِرِ ،
وَتَأْيِيدُهُ الْبَصَائِرُ . وَهِيَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَشْبَاهِهِ كَثِيرَةٌ الْأَذْيَةُ ، خَارِجَةٌ
عَنِ الْمَصْلَحَةِ

وَاللَّهُ تَعَالَى رَوْحٌ يَأْتِي عِنْدَ الْيَأْسِ مِنْهُ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
خَلْقِهِ ^(٣) ، وَإِلَيْهِ الرَّغْبَةُ فِي تَقَرُّبِ الْفَرَجِ وَتَسْهِيلِ الْأَمْرِ ، وَالرَّجُوعِ

(١) حصد إلى كذا : قصد وتوجه ومضى إليه

(٢) محص عنه الذنب : نقصه وأسقطه عنه

(٣) الروح : رحمة الله ، فإن الراحة كلها معها

إلى أفضل ما تطاول إليه الشُّؤْل ؛ وهو حسبي ونعم الوكيل

تمَّ الكتاب

والحمد لله وحده وصلاةً على سيدنا محمد النبي وعلى آله
وعترته الطاهرين وسلامه

فهرس الأعلام

أحمد بن أبي يعقوب بن واضح : ٦٦٩ و ٦٦٥

١٤٤ و ١١٩ و ٨٣

أحمد بن يوسف (كاتب أحمد بن وصيف)

٥٢

أحمد بن يوسف بن إبراهيم أبو جعفر (مؤلف)

الكتاب : ١٠٦ و ٢٥ و ٢٨ و ٥٢ و ٥٦

١٤٦ و ١٣٦ و ١٣٥

أحمد بن يوسف (مؤلف الكتاب) : ٥٦

أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان

الهاشمي : ٦٨

أبنا الأرقط : ٥٦

أردشير : ١٤٧

إسحق بن إبراهيم (عم المؤلف) : ١١

إسحق بن إبراهيم بن تميم : ٢٣ و ٢٠ و ١٣

إسحق بن تميم (إسحق بن إبراهيم ...)

إسحق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن

عباس : ١٥

إسحق بن نصير العبادي : ١٣٦ و ١٧ و ١٦

إسماعيل بن أسباط : ١٣

الأعشى : ٩١

أفلاطون : ١٢٦ و ٦٧ و ٤٦ و ٤٨

اليون (ملك الروم) : ٩٩ و ٩٧

الأمين : ٩٧ و ٤٧

بني أمية : ٨٢

أبو أيوب : ١٠١ و ٨٨

ب

ابن بختيشوع : (جبريل ...)

بذل (جارية) : ٦٤

البرامكة : ٤٥

البرجان : ٩٧

ابن بروخ : ٤٩ و ٤٨

بزرجهور : ١٤٦

بشر المريسي : ٦٤

بطرس : ٩٨ و ٩٦

أم آسية (قابلة أولاد بخارويه) : ١٣٧ - ١٤٧

إبراهيم الامام : ٩٦

إبراهيم بن الأعرجي المهندس : ١٢٩

إبراهيم بن المهدي : ١٠ و ١٦ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٧

١٢٨ و ١٢٦

ابن الأبرد : ٩٠٢

أحمد بن أسباط : ١٣

أحمد بن أيمن : ٥٨ و ٦١ و ١١٠ و ١١٤

أحمد بن بسطام : (أحمد بن محمد بن بسطام)

أحمد بن خالد الأحول : ٤٦

أحمد بن خالد الصربي : ١٥٥

أحمد بن دعيم : ٧

أحمد بن سقلاب : ٥٢

أحمد بن سهل بن شنيف : ١٣٤

أحمد بن صالح : ٥٢

أحمد بن ضار : ٤٠

أحمد بن طوفان : ١٠٧ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١٢ و ١١٤ و ١١٦

٢٦ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٦ و ٥٨

٧٤ و ٧٥ و ٨٥ و ٩٠ و ٩٢

أحمد بن علي (أبو الطيب) : ٣١

أحمد بن أبي عمران الفقيه : ١١٤ و ٦٤

أحمد بن كثير الفرغاني : ١٣٠

أحمد بن محمد : (ابن أبي عصمة)

أحمد بن محمد بن بسطام (أبو العباس) :

١٣٦ - ١٣٤ و ١١٦ و ١٣١

أحمد بن محمد بن مدي : ٨٥ - ٩١ و ١٢٦ و ١٢٨

أحمد بن مدي (أحمد بن محمد ...)

أحمد بن موسى بن شاذكر المنجم : ١٢٩

١٣٢ و ١٣٠

أحمد بن وصيف : ٥٢

أحمد بن وليد : ١٨ و ١٦

اخيزوان أم الرشيد : ٩٦ و ٩٥

د

داود بن محمد بن أبي الساج : ٩٢

الدقاني : ١٠٤

دميانة : ٢٦ و ٢٥

الديدان (علي المتطبيب) : ٤٨

ديوانيان خالد القسري : ٣

ر

الربيع بن يونس الحاجب : ٦٦

ربيعة بن أحمد بن طولون : ١٢٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥٦

الرشيد : ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠

الروم : ١٣٢ و ٨٥

ز

زبيدة : ١٤٥

الوزير بن بكار : ٨١

ابن الوقتي : ١٨

زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي : ٩٦ و ٩٥

س

ابن أبي الساج : (محمد ...)

أبو السرايا : ٩٧

سعد الفرغاني : ٨٩

سميد بن عبد الله بن الحكم : ١٠٣

سليمان بن ثابت : ٧٤

السندي بن شاهك : ١٣٠

سند بن عبي : ١٤٠ و ١٣١ و ١٣٠

سمل بن شنيف : ١٣٥ و ١٣٤ و ٩٠

سوار (أبو عبد الرحمن العمري) : ٧

سوار بن أبي شراة (أبو الفياض) : ٥١

سيف بن ذي يزن : ٩٩ - ١٠١

ش

شجاع بن أسلم الحاسب : ١٢٨ و ١٣٠ و ١٤٠

شعبة : ١٨

ت

الترك : ٢٧

ث

ثابت : (أبو الجيش)

ثعلب : ١٧ و ١٦

ابن الناجي : ٦٤

ج

جبريل بن بختيشوع : ١٤٤ و ١٤٥

ابن الجصاص : ٥٢

جعفر بن أبي جعفر المنصور : ١١٩

جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي : ٦٨

أبو الجيش (خمارويه)

أبو الجيش ثابت : ١١٦ و ١١٧

جيش بن خمارويه : ١٢٠ و ١٢١

ح

الحبشة : ١٠١

أبو حبيب المقرئ : ٣٨

ابن حبش : ١٣٥

حرقة بنت النعمان بن المنذر : ٨٠

الحسن بن مخلد : ٨٩

الحسن بن مسلم الأفریطشي : ١٣٢ و ١٣٤

حسن بن مهاجر : ٥٧ و ٥٨

الحسين بن أحمد الماذرائي : ١٣٤

الحسين بن شعرة : ٨٦ و ٨٧

خ

خالد الأموي : ٣

خالد بن سهم : ٨٤

خالد بن عبد الله القسري : ٤ و ٣

الخليج (أبو طالب) : ١٠

ابن الخليج : ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠

خمارويه بن أحمد بن طولون : ٩١ و ٩٢

١٤٠ - ١٣٧ و ١٣٠ و ١٢٠ و ١١٠ و ١٠٠

الخوارج : ٢٧

علي بن الحسين القاضي (أبو عبيد) : ٧٦
 علي بن سند : ١١٦
 ابن عمر الأخباري : ١٠٩
 عمرو بن فرج الرخجي : ٣٦
 عمرو بن يزيد البرقي : ٧٧
 عمرو بن العاص : ١٠٣
 عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥ و ١٤٦
 عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥
 العمري : (أبو عبد الرحمن ...)
 عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس : ١٥

ف

الفرس : ٩٩ و ٦٨
 الفرغاني (أبو محمد عبد الله) راوي
 الكتاب : ١
 الفضل (أبو يحيى) : ١٢٤
 الفضل بن الربيع : ١٤٥ و ١٤٦
 الفضل بن سهل : ٤٨ و ٤٧ و ٤٥
 الفضل بن يحيى بن برمك : ١٢٤
 فهم : ٣٨ و ٣٧
 أبو الفياض : (سوار بن أبي شراعة)
 فيروز : ٦٨ - ٧٢

ق

القاسم بن شعبة : ١٨ - ٢٠
 القاسم بن عبيد الله بن وهب : ١١٦ و ١١٧
 القبط : ١٠٣
 ابن قرا : ١١٨

ك

كسرى : ٨٣ و ٩٩
 كسرى (أبرويز) : ٧٨
 الكندي : ١٣٠ و ١٣١

م

المأمون : ٢٤ و ٢٥ و ٤٧ و ٩٧ و ١٤٠ - ١٤٢ و ١٤٤
 مدجور : ٨٨ - ٩٠
 ماشاء الله بن مرزوق : ٦٥
 المبرد : ١٧ و ١٦
 المتوكل : ٤٢ و ٤٣ و ٧٢ و ١٣٠ - ١٣٣

شقيير الخادم : ٧٤
 شيبان بن أحمد بن طولون : ١٢٠
 الشير : ١٢

ص

صاعد : ٣١ و ٣٢

ط

الطائي : ٣٢ و ٣٣
 أبو طالب (الخليلج)
 طاهر بن الحسين : ٤٧
 ابن طباطبا (محمد بن إسماعيل) : ٩٢
 ابن طغان : (أحمد ...)

ع

بنو العباس : ٨٢
 أبو العباس (السفاح) : ٨٢
 العباس بن خالد البرمكي : ١١٠ و ١١٣
 العباس بن سعيد الجوهري : ١٤٢ و ١٤٣
 أبو العباس الطرسوسي : ١٩ و ٨٧
 عباس بن وليد : ١١٧
 نأبو عبد الرحمن العمري : ٧٦ و ٧٥ و ٩٧ و ٧٦
 عبد العزيز بن خالد الأموي : ٣
 عبد الله الفرغاني (راوي الكتاب) : ١
 عبد الله بن القاسم الغنوي : ١١٥
 عبد الله بن المقفع : ٦٨ و ٩٩
 عبيد الله بن وهب : ١١٦
 أبو عبيد الله (كاتب المهدي) : ١١٥
 العجم : ٨٣
 عدى بن زيد : ٧٨ و ٧٩
 ابن عدى بن زيد : ٧٩ و ٨٠
 العرب : ٩٩
 ابن أبي عصمة (أحمد بن محمد) : ٤٠
 عقبة : ١١٤
 العقبي : ٥٦
 علان بن المغيرة : ٥٣ و ٥٥
 نأبو علي : ١٣٦
 علي الخطيب : (الديدان)

منصور بن إسماعيل افقيه : ١٢١
المهدي : ١١٩ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧
موسى بن طونيق : ١٠٥
موسى بن مصلح : (أبو مصلح)
الموفق : ٣٣ و ٣١
ميخائيل البطريق : ٩٧ - ٩٩
ميمونة (مولاة أم محمد بنت الرشيد) : ١٣٧



ناشي : ٥١
نافع بن مصقلة : ٨٢
نجاح بن سلمة : ٣٤ و ٣٣
نسيم (خادم ابن طولون) : ٧٥ و ٧٤
نصر بن القاسم : ١٠٢
نعت (مولاة ابن طولون) : ٨٨
النعمان بن المنذر : ٨٠ و ٧٩
نقفور (ملك الروم) : ٩٧

هـ

الهادي : ٦١ - ٥٦ و ٦٣
هارون بن خمارويه : ١٢١
هارون بن ملوك : ٥ - ٧ و ٢٠ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ١٠١
هاشم : ٩٥
هرثمة بن أعين : ٦٢ و ٦١
هشام بن عبد الملك : ١٥ و ١٦ و ٦٦ و ٩٥
الحياطلة : ٦٨ - ٧١
الهيثم بن عدي : ٧٨

و

الواثق : ٧٣ و ٧٢
الواسطي (أبو عبد الله) : ١٢ و ١٤
واضح (مولى المنصور) : ٦٦ و ٨٤ و ١١٩
أبو الوزير : ٨٨ و ١٠١

ي

ياسين بن زارة : ٤٢ و ٤٤
بنت اليتيم (امرأة خمارويه) : ١٣٨

محارب بن سلة (كاتب خالد القسري) : ٣
أم محمد : ٥٠ و ٥١
محمد بن أبا : ١٠٣
محمد بن إسماعيل : (ابن طباطبا)
محمد بن جعفر بن المنصور : ٦٤
محمد بنت الرشيد : ٩٥ و ١٢٧
محمد بن أبي الساج : ٩١
محمد بن سليمان : ٥٠ و ٥١
محمد بن صالح الغوري : ١١٧
محمد بن عامر الباني : ٩٤
محمد بن عبد الله بن الحكيم : ٣٨
محمد بن عبد الملك الزيات : ٧٢ و ٧٧
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أبو
الحلفاء) : ١٥
محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥
محمد بن موسى بن شاكر المنجم : ١٢٩ - ١٣٢
محمد بن هرثمة : ٧٢
محمد بن هلال : ٩٠ و ٩١
محمد بن يزيد : ٣٦
مروان بن محمد الجعدي (آخر بني أمية) :
٨٤ و ٩٥ و ٩٦
المروزي : ١٢٧ و ١٢٨
مريّة زوج هشام بن عبد الملك : ٩٥ و ٩٦
مراحم بن خاقان أبو الفوارس : ١٢٧
مسافر : ٣٦ و ٣٧
مسرور الكبير : ٦٢ و ٦٤ و ١٤٥
أبو مسلم الخراساني : ٨٤ و ٨٥
مسلم بن عقبة : ١١٤
مسلمة بن عبد الملك : ١٥ و ١٦
مصقلة الخصي : ٨٢
مصقلة بن حبيب : ١١٩
أبو مصلح (موسى بن مصلح) : ٩ و ٥٧
مضر بن أحمد بن طولون : ١٣٠
المنتصم : ٣٦ و ١٣٧
معروف الوراق : ١٤١
معين بن زائدة : ٦١ و ١١٩
المنتصر : ٢٦ و ٤٣ و ٤٤
المنصور : ٦٦ و ٨٤ و ٩٥ و ١١٩

أبو يعقوب بن واضح : ٤٥ و ٨٣ و ١١٩ و ١٤٤	يحيى بن خالد بن برمك : ٤٥ و ٤٦ و ٤٨
أبو يوسف القاضي : ٦٢ - ١١٤ و ٦٤	يحيى بن الفضل : ٣ و ٢٦ و ١٢٤
يوسف بن إبراهيم (والد المؤلف) : ١٥	يحيى بن نجه : ٢٦
و ٢٨ و ٢٩ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٦ و ١٢٦	يزيد بن معاوية : ٨١
و ١٣٥ و ١٣٦	أ بن يعقوب : ٩٣ و ٩٤
يوسف بن عمر : ٣	يعقوب : (أبو يوسف القاضي)
	يعقوب بن إسحاق بن تميم : ٣٣

فهرس الأما كن

الرملة : ٩٠	ا
س	الأبلة : ٥٨
سر من رأى : ١٢٧	الاسكندرية : ٢١
سمسطا : ٣٧	أقريطش : ١٣٢
ش	أمناس : ٣٧ و ٣٦ و ٣١
الشام : ٤٣ و ٣٠	ب
الشرقية : ١٠٤	بغاري : ٢٧
ص	البصرة : ٥٩ و ٥٨
الصعيد الأوسط : ١١٧ و ٧	بغداد : ١٦ و ١٧ و ٣٣ و ٤٢ و ٥١ و ٩٠ و ١٦٤ و ١١٥
ظ	١٢٨ (مدينة السلام)
طرسموس : ٤٩	البناسا : ٣٧
طوس : ٤٧	بوصير الأشمونين : ٨٥
ع	ت
العراق : ١٣ و ٥١ و ٨٠ و ٨٢ و ٩٣ و ١٣٥	تنيس : ٣١ و ٣٠
غ	ج
الغور : ٨٦	الجعفرى (نهر) : ١٣٠
ف	ح
فارس : ٦٨	حديثة الموصل : ١٦
الفسطاط : ٢١ و ٢٤ و ٣٠ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٥ و ١٠٣	حوران : ٩٥
١١٧ و ١١٨	الحرّة : ٨١
ق	حصن مسابة : ١٦
قصر الجيزة : ٢٣ و ٢٢	حصن : ٨٢
قصر وضاح : ١٧ و ١٦	ح
ك	خراسان : ٢٧ و ٤٧
الكوفة : ١١٤ و ١١٥	د
م	دجلة : ١٣١ و ١٣٢
الحرقة : ٣٧	دمشق : ١ و ١٠ و ١٢٠
	ر
	رصافة دمشق : ١٥

هـ	الحلة : ٣٠
	المدينة : ٨١
الهند : ١٢٢	مدينة السلام : ٣٢ و ١١٠ و ١١٢ و ١٣٠
و	(بغداد)
واسط : ٧٧ و ٣١	مصر : ٥٠ و ١٧ و ١٨ و ٢٨ و ٢٩ و ٤٢ و ٥٠ و ٨٥
ي	و ٨٨ و ٩٣ و ١٠٣ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٣٥
	المغرب : ٦١ و ٥٥ و ٥٣
الين : ٩٣	مكة : ٣٨ و ٣٩

فهرس الكتاب

صفحة

ترجمة المؤلفات ، الأستاذ محمود محمد شاكر

مقدمة المؤلف

رقم

١ — المكافاة على الحسن

- | | |
|----|--|
| ٣ | ١ — حديث خالد القسرى وديوانياته |
| ٥ | ٢ — « ماشاء الله بن مرزوق ومتضمن |
| ٧ | ٣ — « أحمد بن دعيم وأعرابيان |
| ٩ | ٤ — « موسى بن مصلح ومحبوس |
| ١١ | ٥ — « إسماعيل بن أسباط والخنّاق |
| | ٦ — « مسلمة بن عبد الملك ومحمد بن علي جد الخلفاء |
| ١٥ | العباسيين |
| ١٦ | ٧ — « إسحاق بن نصير العبادى ووراق |
| ١٨ | ٨ — « ابن الزنق النّحاس والقاسم بن شعبة |
| ٢٥ | ٩ — « هارون بن ملول وإسحاق بن تميم |
| ٢١ | ١٠ — « المؤلف وأعراب من القيسية |
| ٢٤ | ١١ — « المؤلف وعباسى من ولد المأمون |
| ٢٦ | ١٢ — « يحيى بن نجه وعمر بن فرج الرخجى |

رقم	صفحة
١٣	— حديث يوسف بن إبراهيم والد المؤلف ومصطنعيه ٢٨
١٤	— المؤلف وبعض التجار ٢٩
١٥	— » أحمد بن بسطام وصاعد ٣١
١٦	— » نجاح بن مسلمة وإسحاق بن تميم ٣٣
١٧	— » محمد بن يزيد ومسافر « أحد المتألفين » ٣٦
١٨	— » أبي حبيب المقرئ وراعى غنم ٣٨
١٩	— » أحمد بن أبي عصمة الكاتب وأحمد بن طغان ٤٠
٢٠	— » نصراني (من أرياف مصر) ومستتر ٤٢
٢١	— » يحيى بن خالد البرمكى والفضل بن سهل ٤٥
٢٢	— » على المتطبب وبعض ولد أفلاطون ٤٨
٢٣	— » المؤلف وأبو علي محمد بن سليمان ٥٠
٢٤	— » المؤلف وسوار بن أبي شراة الشاعر ٥١
٢٥	— » علان بن المغيرة وبعض الفقهاء ٥٢
٢٦	— » يوسف بن إبراهيم ورجل من أشرف الطالبيين ٥٦
٢٧	— » موسى بن مصلح وجماعة من التجار ٥٧
٢٨	— » تاجر وزوجته ٥٨
٢٩	— » هرثمة بن أعين والرشيد ٦١
٣٠	— » أبي يوسف القاضي والرشيد ٦٢
٣١	— » أبي يوسف القاضي وبذل جارية الرشيد ٦٤
٣٢	— » المنصور ورجل من عمال هشام بن عبد الملك ٦٦
	بعض أقوال الفلاسفة في حسن المكافأة ٦٦
	خاتمة الباب الأول ٦٧

٢ - المكافأة على القبيح

- | | | | |
|-----|------|---|----|
| ٦٨ | حديث | ملك الهياطلة وفيروز ملك الفرس | ٣٣ |
| ٧٢ | » | محمد بن عبد الملك الزيات والمتوكل العباسي | ٣٤ |
| ٧٤ | » | ابن سليمان كاتب شقيق الخادم وجلاد | ٣٥ |
| ٧٥ | » | أبي عبد الرحمن العمرى وغلمايه | ٣٦ |
| ٧٦ | » | عامل متسلط وجماعة من الخوارج | ٣٧ |
| ٧٧ | » | أحد عمال الصدقة ومظلم | ٣٨ |
| ٧٨ | » | عدي بن زيد والنعمان بن المنذر | ٣٩ |
| | » | رجل من أشرف المدينة ورجل من | ٤٠ |
| ٨١ | | أولياء الأمويين | |
| ٨٢ | » | مولى لأبي العباس ورجل من رؤساء الأمويين | ٤١ |
| ٨٣ | » | أحد الأكاسرة وولده | ٤٢ |
| ٨٣ | » | خالد بن سهم ومروان بن محمد الجعدي | ٤٣ |
| ٨٥ | » | أحمد بن طولون وأحمد بن المدبر | ٤٤ |
| ٩٠ | » | أحمد بن المدبر ومتقبل | ٤٥ |
| ٩١ | » | نهارويه بن طولون ومحمد بن أبي الساج | ٤٦ |
| ٩٣ | » | أحد قرابة ابن يعفر وعجوز يمانية | ٤٧ |
| ٩٥ | » | الخيزران أم الرشيد وامرأة هشام بن عبد الملك | ٤٨ |
| ٩٦ | » | اليون وميخائيل ملكا الروم | ٤٩ |
| ٩٩ | » | سيف بن ذي يزن ومتغلب على مملكته | ٥٠ |
| ١٠١ | » | كاتب أبي الوزير وجماعة من العمال | ٥١ |

رقم	صفحة
٥٢ -	حديث ابن الأبرد وكاتبه ١٠٢
٥٣ -	عمر بن العاص ورعية من القبط ١٠٣
٥٤ -	الدقاني والحناق ١٠٤
	خاتمة الباب الثاني ١٠٥

٢ - حسن العقبي

٥٥ -	حديث ابني عمر الأخباري و غلام يتشطر ١٠٧
٥٦ -	رجل اختلت حاله وعباس بن خالد البرمكي ١١٠
٥٧ -	أبي يوسف القاضي وابن القاسم الغنوي ١١٤
٥٨ -	علي بن سند وأبي الجيش ثابت ١١٦
٥٩ -	محمد بن صالح الغوري واصل ١١٧
٦٠ -	مصقلة بن حبيب ومعن بن زائدة ١١٩
٦١ -	جيش بن خمارويه وأعمامه ١٢٠
٦٢ -	رجل من تجار مصر وأحد ملوك الهند ١٢١
٦٣ -	الفضل بن يحيى البرمكي وشامي ١٢٤
٦٤ -	يوسف بن إبراهيم وأحمد بن المدبر ١٢٦
٦٥ -	إبراهيم بن العجمي وابن موسى بن شاكر ١٢٨
٦٦ -	محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر وسند بن علي ١٣٠
٦٧ -	المرابطين بأقريطش وجيش من الروم ١٣٢
٦٨ -	سهل بن شنيف وأحمد بن بسطام ١٣٤
٦٩ -	المؤلف وأحمد بن بسطام ١٣٥
٧٠ -	قابلة أولاد خمارويه وأختها ١٣٧

رقم	صفحة
٧١ -	حديث سند بن علي وابن سعيد الجوهري ١٤٠
٧٢ -	جبريل بن بختيشوع والرشيدي ١٤٤
٧٣ -	عمرو بن عثمان الكاتب والرشيدي ١٤٥
	بعض أقوال الفلاسفة في حسن العقبي ١٤٦
	خاتمة الباب الثالث ١٤٧
	فهرس الأعلام ١٤٩
	فهرس الأماكن ١٥٤



